نموذج ترخيص

أنا الطالب : إياد أمين عبد الله حامد أمنح الجامعة الأردنيــة و/ أو من تفوضه ترخيصاً غير حصري دون مقابل بنشر و / أو استعمال و / أو اســتغلال و / أو ترجمة و / أو تصوير و / أو إعادة إنتاج بأي طريقة كانت سواء ورقية و / أو إلكترونيــة أو غير ذلك رسالة الماجستير / الدكتوراه المقدمة من قبلي وعنوانها.

الخطاب الإلهي للنبي محمد صلى الله عليه وسلم في السور المكية، دراسة أسلوبية.

وذلك لغايات البحث العلمي و / أو التبادل مع المؤسسات التعليميــة والجامعــات و / أو لأي غاية أخرى تراها الجامعة الأردنية مناسبة، وأمنح الجامعة الحق بالترخيص للغير بجميــع أو بعض ما رخصته لها.

اسم الطالب: إياد أمين عبد الله حامد

التوقيـــــع: إياد

التاريـــخ: ٢٠/٨/٢٠١٤م

الخطاب الإلهي للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم-

في السور المكيّة، دراسة أسلوبية

إعداد

إياد أمين عبد الله حامد

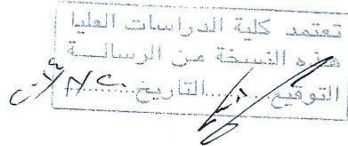
المشرف

الأستاذ الدكتور إبراهيم خليل

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية



آب - ٢٠١٤م

نوقشت هذه الرسالة (الخطاب الإلهي للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - في السور المكيّة ، دراسة أسلوبية) وأجيزت بتاريخ   /   / ٢٠١٤م .

أعضاء لجنة المناقشـــة:	التوقيـــع
الدكتور إبراهيم محمود خليل ، مشرفا أستاذ – اللسانيات .	....
الدكتور ياسين عايش خليل ، عضوا أستاذ مشارك –الأدب العباسي .	....
الدكتورة فوز سهيل نزّال ، عضوا أستاذ مشارك – النقد الأدبي الحديث (الأسلوبية) .	....
الدكتور إسماعيل محمود القيّام ، عضوا أستاذ مشارك – نحو ولغة . (جامعة فيلادلفيا)	....

الإهداء

أهدي هذا الجهد المتواضع

إلى أبي الكريم وأمي العزيزة...........

إلى أخواتي الطيّبات وإخوتي الأحبّة..........

إلى خطيبتي وتلميذتي الغالية الحنونة............

إلى أساتذتي وطلابي الأعزاء أينما كانوا............

إلى أصدقائي الأحبّة الأوفياء المُخْلِصين................

إلى أخي الذي لم تلده أمي، أحمد الدباس............

إلى كل قارئٍ للقرآن حافظٍ له عاملٍ به.................

شكر وتقدير

قال الله تعالى في مُحكَم تنزيله: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡ﴾ البقرة: ٢٣٧.
ويُقال: من لا يَشكُرُ النَّاس لا يشكر الله.

إنه ليطيب لي أنْ أتقدّم بالشكر الجزيل إلى مُشرفي العزيز الأستاذ الدكتور إبراهيم خليل، الذي تكرَّم عليَّ بعلمه وخبرته ووقته وساهم في إنجاح هذا العمل، وأخَذَ بتثقيفه وتنقيحه، بعد توجيه ومتابعة حثيثة متميزة، بل إنه لم يألُ جهدا في تقديم النصح والإرشاد في كل حين، والشكر موصول أيضا لأساتذتي الكرام أعضاء لجنة المناقشة:
الدكتور ياسين عايش الأب الحاني على تلاميذه، والأستاذ الغيور على لغة الكتاب الكريم، وسادنها المُخلِص الذي زرعَ عِشقَ العربية في نفسي.
والدكتورة فوز نزّال الكريمة التي أنارت لنا دروبا في خوض غمار التلذذ بالنصّ القرآني، والوقوف عند وجوهٍ من إعجازه.
والدكتور إسماعيل القيّام عاشق العربية والذائد عن حِماها.
والذين تفضلوا بقبول مناقشة هذه الرسالة وتحملوا مشاق القراءة والتقويم لها.

وأشكرُ الأستاذ الدكتور جاسر أبو صفية الذي تفضّل عليّ باقتراح هذا الموضوع.
وأشكر كلَّ مَن وقف إلى جانبي ودعا لي الله في السرّ والعلن لتخرج الرسالة على هذا النحو الذي أرجو أن يكون طيّبا.

فهرس المحتويات

الخطاب الإلهي للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم- في السور المكيّة، دراسة أسلوبية

إعداد
إياد أمين عبد الله حامد

المشرف
الأستاذ الدكتور إبراهيم خليل

الملخص

اشتملت هذه الرسالة على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، عَرَضَت المقدمة لمشكلة الدراسة وأهميتها وأهدافها وذكرتْ أبرز الدراسات السابقة، وتَطَرَّقَتْ إلى الحديث عن منهج الدراسة، أمّا الفصول فكان أولها عن مفهوم الخطاب الإلهي لغة واصطلاحا، ثم ذُكِرَتْ فيه خصائص السور المكية وما يميزها عن المدنية، وأقسام الخطاب الإلهي للنبي الكريم، وهي ثلاثة: قِسْم يخاطب الله فيه نبيه الكريم تعيينا، وقِسْم آخر يشترك فيه المؤمنون معَ النبي في الخطاب، وقِسْم فيه خطابٌ للكافرين، علاوة على خطاب الله لنبيه الكريم، وخُصِّصَ الفصل الثاني للحديث عن خصوصية أسلوب الخطاب الإلهي للنبي في المستوى الصوتي، وجاء الفصل الثالث عن خصوصية أسلوب الخطاب الإلهي للنبي في المستوى الدلالي، وما فيه من تنوّع أسلوبَي الخبر والإنشاء في الخطاب، وتطرّقتُ للحديث عن أسلوب الأمر، فالنهي، فالنداء، فالاستفهام، فالقَسَم، وما ينماز به كل أسلوب من هذه الأساليب عن غيره، وكيف ورد في مكّي القرآن؟ وكم ورد؟ واختصَّ رابع الفصول ببعض جماليات الأسلوب التي نجدها في الخطاب الإلهي، كأسلوب التقديم والتأخير والتكرار والحذف والالتفات، وقد خَلُصَت الرسالة إلى عدد من النتائج، نذكرها في الخاتمة إنْ شاء الله، فهو وليّ التوفيق.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أمّا بعد: فإنَّ النظر في القرآن الكريم واجبٌ على طالب العلم الحريص على لغة كتاب الله، لغة الضاد الخالدة التي تسلب الألباب، وتجعلها تقف حائرة أمام عظمته ودقته وإعجازه، كيف لا؟ ونحن نرى كل يوم العديد من الأسرار التي تُسْتَخرجُ منه، ونلمس وجوه الإعجاز الباهرة.

ونرى العديد ممّن وصفه بكلامٍ عذبٍ عَطِرٍ بعد تذوقٍ للنّصِ الإلهي البديع، ومن هؤلاء الخطيب الإسكافي، الذي يقول كلاما جميلا عن كتاب الله يلامس شغاف قلوبنا ويشنّف آذاننا، فحواه: "إنَّ كلام الله جل ذِكْره؛ وعلا شأنه وأمره، هو بحر لا تُستنفَدُ جواهره؛ وذو عجائب لا تستدرك بواطنه وظواهره، وذو عمق لا يبلغ آخره، وذو طول وعرض لا يقطع مزاخره، وهو الغُنْمُ الذي من حازه ظفرت يداه؛ ولم يجزع لفوات ما عداه" [1].

إنّه وصف رقيق أنيق آسِر، ومَن يشمّر عن ساعده ليخوض غمار هذا النص العظيم عليه الحذر والتريّث وعدم الاستعجال في إصدار الأحكام قبل التيقّن منها، "فمن يُقْدِم على دراسة كتاب الله فقد استعان على الواحد الأحد، ومن أحجم فقد أحجم إجلالا لكتاب الله وتهيبا من عظمته وإشفاقا على نفسه" [2]، و كتاب الله بحره عَمِيقٌ وفَهْمُهُ دقيقٌ لا يَصِلُ إلى فهمِهِ إلا مَنْ تَبَحَّرَ في العلومِ، وعامَلَ الله بتقواهُ في السِّرِّ والعلانيةِ، وأَجَلَّهُ عندَ مواقف الشّبهاتِ، واللطائفُ والحَقَائقُ لا يفهمها إلا مَنْ أَلقى السَّمعَ وهو شهيدٌ، فالعباراتُ للعُمُومِ وهي للسمع، والإشارات للخصوص وهي للعقل [3].

ولمّا كان ذلك كذلك فقد اخترت القرآن الكريم مجالا لدراستي؛ للمساهمة المتواضعة في خدمة كتاب الله تعالى، والوقوف على بعض أسراره وفَهْم آياته وتدبّرها، مُرِيدا بذلك عدم هجر القرآن، ومنتبها لأمر مهم، ألا وهو كون القرآن منبعا مهما استقت منه العربية علومها، وبَنَتْ عليه أركانها، وأنّه المصدر الرائد الذي لاذ إليه العلماء والباحثون، وكان من أوائل ما استشهدوا به في كتاباتِهم.

---

[1] الإسكافي، الخطيب (ت:٤٢٠هـ)، (١٩٧٣م)، **درّة التنزيل وغرّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز برواية ابن أبي الفرج الأردستاني**، ط١، دار الآفاق الجديدة: بيروت، ص ٨.

[2] أبو شادي،مصطفى عبد السلام،(١٩٩١م)،**الحذف البلاغي في القرآن الكريم**،(د.ط)،مكتبة القرآن:القاهرة، ص٧

[3] انظر الزركشي، محمد بن عبد الله (ت:٧٩٤هـ)، (١٩٥٧م)، **البرهان في علوم القرآن**، ط١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية: القاهرة، ١٥٣/٢- ١٥٤.

وشرعتُ بالاطلاع على غير بحث في القرآن الكريم ومحاولة العثور على موضوع طريف، وبدا لي أنَّ قارئ القرآن يجد كثيرا من الآيات التي خاطب الله بها نبيه الكريم محمد-صلى الله عليه وسلم-، إمّا بتخصيص بعض آي الذكر الحكيم له، أو إشراك بعض الفئات معه في الخطاب، ولا شكّ في أنَّ الخطاب الإلهي للنبي الكريم، ما هو إلا خطاب خاص يُرَاد به العموم، فمثلا: عندما يقول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ الإخلاص: ١، فإنَّ الخطاب الذي هو في الأساس للنبي الكريم، هو للمسلمين أيضا، ونجد قِسْمَا آخر من أقسام الخطاب يقترن في الآية كل من النبي والمؤمنين، ونجد قِسْما آخر يخاطب الله فيه النبي والمؤمنين وغير المؤمنين في الآية الواحدة، ومضمون كل خطاب يختلف من قِسْم لآخر، كما تتنوع أساليب الخطاب وأدواته مثلما تنوّعت أوامره ونواهيه، وهذا التنوّع يحتاج منّا إلى دراسة تكشف عن جماليات الخطاب القرآني وإعجازه، لا سيما في السور المكية.

فممّا نجده في آيات الخطاب: الأوامر المختصة بالنبي الكريم وبعض النواهي التي نهاه الله عنها، ونجد عتابا وتوجيها وتنبيها ومدحا وتثبيتا وتسلية وغيرها من الأمور، وهذا التنوّع في الأغراض يعقبه تنوّع في الأساليب، ولا بدَّ أنَّ لهذا الأمر حكمة سامية يجب أنْ نسبرَ غوره؛ ونُنقّبَ عن خفاياه؛ ونميط اللثام عنه؛ ونذكر جماليات هذا الأسلوب ومزاياه، والقيام بدراسة أسلوبية لهذا الخطاب الكريم.

وهذه الأساليب، والمضامين التي يخاطب الله بها نبيه الكريم، لا تختلف أحيانا عن خطاب موجه لنبي آخر، وفي البعض الآخر نجد اختلافا واضحا حينما يكون الخطاب لنبينا الكريم، تلك هي المشكلة التي تقوم عليها هذه الدراسة، وأرجو من الله أن تكون رسالتي مُعِينَة للباحثين وطلاب العلم في الدراسات القرآنية، وأنْ تُضاف إلى جهود العلماء والباحثين في المكتبة العربية، فالموضوع أحسبه مهما، فهو يدرس خير الكتب ويقوم بالبحث فيه عمّا يتعلق بخير الخلق والمرسلين سيدنا محمد الأمين.

وتنبع أهمية هذه الدراسة من تسليطها الضوء على الآيات التي خاطب الله فيها نبيه الكريم في السور المكيّة خاصة، و تِبيان مزايا الأساليب التي خاطبه بها، والتركيز على الجانب البياني وإظهار جماليات الخطاب، وعليه فإنَّ الدراسة تحاول الإجابة عن التساؤلات الآتية:

هل ثمّة فوارق بين الخطاب الإلهي للنبي في السور المدنية وبين الخطاب الإلهي له في السور المكية؟ وما هي هذه الفروق؟ وما الأساليب التي خاطب الله بها نبيه الكريم؟ وما أكثر الأساليب تواترا في الخطاب؟ وأين نجد خطابا مكثفا للنبي الكريم؟ وأي السور هي التي يتجلى فيها هذا الخطاب أكثر من غيرها؟ و أي السور جاء الخطاب فيها أقل من السور

الأخرى؟ وما السور التي خَلَتْ من خطاب مباشر للنبي الكريم؟ وما الملامح الأسلوبية التي نجدها في هذا الخطاب؟

وفي سبيل الإجابة عن هاتيكَ التساؤلات، كان لا بدَّ من الانتفاع بما اطّلعتُ عليه من دراسات سابقة، وقد رتبتها زمنيا، أوّلها: دراسة عبد الرحمن إبداح الموسومة بـِ: أدب الخطاب في القرآن الكريم، فقد عرّفت الخطاب وبيّنتْ أغراضه وأنواعه في القرآن الكريم، وذكرتْ مزايا الخطاب القرآني، وكذلك دراسة محمد زكي خضر: ذِكْر القرآن الكريم للرسول- صلى الله عليه وسلم-، ولهذه الدراسة فضل الريادة في حصر الآيات التي تخص الرسول الكريم، وهي إلى المعجم أقرب منها إلى الدراسة.

ويُضاف إلى ذلك كتاب: لغة الحوار في القرآن الكريم دراسة وظيفية أسلوبية، للدكتورة فوز نزال، الذي أشارتْ فيه إلى الخطاب الإلهي للنبي، واستشهدت فيه بآيات توضّحُ بعض الملامح الأسلوبية وعلّقت على مكوّنات الخطاب في القرآن، وتحدثت عن الحوار التلقيني لنبينا الكريم، إلا أنَّ غايتها من الدراسة هي الحوار عامة، لا الإحصاء لخطاب النبي؛ لذا تكتفي بالشواهد على هذا الموضوع بالإضافة إلى أمثلة أخرى تدور بين أطراف متعددة حاورهم الله في كتابه العزيز، ولهذا سعيتُ لإكمال ما بدأتْ به الدكتورة الكريمة؛ ليغدو هذا الموضوع مستقلا بذاته لا يعوزه الاستقصاء ولا ينقصه الشمول والاستقراء.

علاوة على دراسة عمر خليل الهاشمي الموسومة بعنوان: الخطاب الإلهي للنبي- صلى الله عليه وسلّم- في السور المدنية، مضامينه و أساليبه البلاغية، وقد جاءت هذه الرسالة في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول، تم الحديث في المقدمة والتمهيد عن الأسلوب وعلوم البلاغة وخصائص أسلوب القرآن، وخصائص السور المدنية، ثم تبعتها ثلاثة فصول تحدث فيها عن المستوى التركيبي وعن كيفية الخطاب للنبي وما هي الأساليب المستخدمة في السور المدنية؟ وتحدث عن المستوى التصويري، ثم عن المستوى الصوتي.

واطّلعتُ على أطروحة غير منشورة لعبد الصمد محمد، بعنوان: خطاب الأنبياء في القرآن الكريم، خصائصه التركيبية وصوره البيانية، وفيها تحدث عن غير نبي، وكان قد ذكر شيئا عن دعوتهم، فعرضَ لدعوة النبي الكريم إلى التوحيد ومكارم الأخلاق، ثم ذكر شيئا عن الاستفهام، والأمر، والنهي، والفصل والوصل، والقَصْر، وانتقل إلى الحديث عن مسائل في عِلْم البيان، لكننا نجد عدم اختصاص دراسته بالسور المكية، وعدم قيامه بحصر الدراسة بنبينا الكريم- صلى الله عليه وسلّم-، بالإضافة إلى عدم التركيز على تشكيلات الخطاب الإلهي له في السور المكية، بل شملت دراسته الأنبياء شمولا عاما، ولم يركز على البنيات الأسلوبية.

ودراستي هذه تختلف عن هذه الدراسات، فهي تدرس السور المكية جميعها، وتُبرز الجوانب الجمالية في الخطاب الإلهي للنبي، أمّا تلك الدراسات فقد مرت مرور الكرام على موضوعنا المطروح، وعَرَضَ بعضها للسور المدنية فقط، وقد اطّلعتُ على غير تفسير للقرآن الكريم، واتكأتُ على مصادر ومراجع عديدة لإتمام هذه الرسالة، أبرزها: تفسير الطبري، وتفسير الرازي، والتحرير والتنوير لابن عاشور، والبرهان في علوم القرآن للزركشي وغيرها.

أما منهج البحث الذي اتبعته، فقد كان الأمر- بعد قيام الدراسة بتتبع الآيات التي يخاطب الله نبيه الكريم فيها- يستدعي استخدام المنهج الاستقرائي التحليلي، والمنهج الأسلوبي الوصفي، وعرّجتُ على المنهج الإحصائي، و قد تكونت الرسالة مما يلي:

مقدمة موجزة بسيطة عن الموضوع، تليها أربعة فصول:

الفصل الأول: مفهوم الخطاب الإلهي للنبي وأقسامه، وقد اشتمل على ما يلي:

-المبحث الأول: المقصود بالخطاب لغة واصطلاحا.

-المبحث الثاني: السور المكية، مزاياها وخصائصها.

-المبحث الثالث: أقسام الخطاب الإلهي للنبي ومستوياته:

أولا: خطاب النبي تعيينا.

ثانيا: خطاب النبي أثناء خطابه للمؤمنين.

ثالثا: خطاب النبي أثناء خطابه لغير المؤمنين.

وقد تطرقتُ في هذا الفصل إلى تعريف الخطاب لغة واصطلاحا، وتِبيان مزايا وخصائص السور المكية، وما تتفرّد به عن السور المدنيّة، ثُمَّ انتقلنا إلى الحديث عن أقسام الخطاب الإلهي للنبي الكريم ومستوياته، فبدأتُ بخطابه تعيينا، ومِنْ ثَمّ انتقلنا إلى الحديث عن خطاب الله لنبيه أثناء خطابه للمؤمنين، فقمنا بتحليل الآيات المُستخرَجة، وذِكْرِ بعض اللطائف التي نجدها فيها، وبعدها انتقلنا إلى خطاب النبي أثناء خطاب الله لغير المؤمنين، وقمنا بالأمر ذاته الذي في القِسْم السابق، ولا شكّ في أنَّ هذا القِسْمَ من الخطاب يختلف عن سابِقَيْهِ، فلكل قِسْم سماته الخاصة، وأسلوبه المتفرّد، وألفاظه الدقيقة، المميزة له، ولكل حادثة معينة ما يميزها عند الخطاب الإلهي، ففي هذا القِسم نجد ألفاظ الوعيد والتهديد، أمّا القِسمان الأول والثاني؛ فلا نجد الكثير من هذه الألفاظ؛ لأنَّ المُخاطَبَ فيها مؤمنٌ بربه، مطيعٌ له، وَجِلٌ منه.

الفصل الثاني: خصوصية أسلوب الخطاب الإلهي للنبي في المستوى الصوتي، وقد اشتمل على:

- الجرْس اللفظي.
- بعض جماليات الأسلوب التي تؤثر على المستوى الصوتي:

أولا: التقديم والتأخير

ثانيا: الحذف

ثالثا: التكرار.

- الفاصلة القرآنية.
- التوازي الصوتي والإيقاع.

لقد كان للأسلوبية الصوتية مكان في الرسالة، وساعد على ذلك اختصاص الدراسة بالسور المكيّة التي تميّزت بالعديد من الأمور التي تخصّ علم الأصوات، فتطرّقتُ إلى الحديث عن الجرْس اللفظي، ثُمَّ انتقلتُ إلى الحديث عن بعض جماليات الأسلوب التي تؤثر على المستوى الصوتي في الآيات المكيّة، كالتقديم والتأخير، والحذف، والتكرار، فما من كلمة في كتاب الله تعالى قُدِّمتْ أو أُخِّرَتْ، أو حُذِفَت، أو تكررت، إلا لغرض.
ثمّ عرضنا للفاصلة القرآنية، وتحدثنا عن التوازي الصوتي في الآيات، الذي يربط بعضها ببعض، وتحدثنا عن الإيقاع الذي نلمسه فيها، وذكرنا أنواعه، وأثرها الصوتي الذي يشيع في الآيات المكيّة الكريمة.

الفصل الثالث: خصوصية أسلوب الخطاب الإلهي للنبي في المستوى الدلالي، وقد اشتمل على:

أولا: تنوّع التراكيب بين الخبر والإنشاء.

ثانيا: مكوّنات الخطاب وأساليبه: الأمر والنهي والنداء والاستفهام والقَسَم.

تطرّقنا في هذا الفصل إلى توضيح المقصود بالخبر والإنشاء، ثم انتقلنا إلى الحديث عن مكوّنات الخطاب وأساليبه، فبدأنا بالأمر الذي يشكل ركيزة أساسية في الخطاب الإلهي، وعرضنا للحوار التلقيني بـِ " قُلْ"، ثُمَّ انتقلنا إلى أسلوب النهي، بعدها تحدثنا عن أسلوب النداء، ومن ثَمّ تطرّقنا إلى أسلوب الاستفهام الذي نجده في العديد من آيات الخطاب، وتحدثتُ عن غير سؤال تكرر لهدف مُعيّن، وختمنا الفصل بالحديث عن أسلوب القَسَم.

الفصل الرابع: جماليات أسلوب الخطاب الإلهي في المستوى التركيبي، واشتمل على:

- التقديم والتأخير
- التكرار
- الحذف
- الالتفات.

لقد عَرَضَ هذا الفصلُ لبعض جماليات الأسلوب؛ فبدأ بتعريف التقديم والتأخير، وذِكْر مزاياه، ثُمَّ الحديث عن أقسامه، وتصنيف الآيات المُستخرَجَة حسب كُلّ قِسْم، وتحليلها، وبعدها انتقلنا إلى الحديث عن التكرار؛ فقمنا بتعريفه، وعَرْض أبرز آراء القُدَامى والمُحْدَثين بهذا الموضوع في القرآن، ثم انتقلنا لعرض الآيات التي فيها تكرار عند الخطاب الإلهي، ما بين تكرار لجملة أو لكلمة أو لحرف، وتكرار جزئي لبعض الآيات في سورتين مختلفتين حينا، وفي سورة واحدة في حين آخر، وكذلك الأمر عند وجود تكرار مطابق في سورة واحدة أو أكثر، وانتقل الحديث إلى موضوع الحذف، فبيّنا مواضعه، وما تمّ حذفه في الجملة الاسمية من مبتدأ أو خبر، أو ما في الجملة الفعلية من فعل أو فاعل أو نائبه أو المفعول به أو المفعول فيه، أو حذف المضاف، أو الصفة، أو المعطوف عليه، أو حذف حرف معين في كلمة، أو حذف في بنية السؤال، أو في التركيب الشرطي، أو في أسلوب القَسَم، أو حذف شبه جملة، وكذلك ما يُحذف في آية ويُثبت في أخرى لسبب ما، وخُتِم الفصل بعرض أسلوب الالتفات، الذي تمّ تعريفه وذِكْر أبرز مواطنه عند الخطاب.

ومن ثَمّ كانت الخاتمة التي بيّنت أهمّ النتائج التي توصَّلَ إليها الباحث.

وقبل المُضِيّ في الحديث عن هذا الموضوع، سأشير إلى أمر مهم، هو:

لماذا قلتُ في العنوان: الخطاب الإلهي للنبي، وليس إلى النبي؟

إنَّ مِن الدقّة اللغوية في استعمال الحروف التفرقة بين إلى واللام، ففي قولنا: ما أحبَّ عمر إلى المسلمين وما أحبَّ عمر للمسلمين، ففي المثال الأول، المسلمون يحبون عمر، وفي الثاني عمر هو الذي يحب المسلمين؛ وذلك لأنَّ ما بعد إلى يكون فاعلا في المعنى، وما قبلها مفعولا به، واللام على عكس ذلك، فما قبلها يكون فاعلا وما بعدها مفعولا به، وقال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا ﴾ يوسف: ٨، هم لا يقصدون أنَّ يوسف

كان يحب أباهم، بل إنَّ أباهم كان يحب يوسف أكثر منهم [١]، ولهذا اخترنا اللام ولم نختر إلى في عنوان الرسالة، وقيل عن أهمية الحرف وعدم إمكانية سداد حرف آخر مكانه وإعطاء المعنى ذاته كاملا، وأنَّ سياقا معينا يستدعي حرفا محددا لا غير: " فما في القرآن حرف واحد إلا ومعه رأي يسنح في البلاغة، من جهة نظمه، أو دلالته، أو وجه اختياره، إذْ يستحيل ألبتة أنْ يكون فيه موضعٌ قلقٌ أو حرفٌ نافرٌ أو جهةٌ غير مُحكمة أو شيء مما تنفذ في نَقْدِهِ الصَّنعة الإنسانية من أي أبواب الكلام، إنْ وَسِعَهَا منه باب " [٢].

---

[١] انظر عباس، فضل، (٢٠١٠م)، **لطائف المنان وروائع البيان في نفي الزيادة والحذف في القرآن**، ط١، دار النفائس للنشر والتوزيع: عمّان، ص ٤٢.

[٢] الرافعي، مصطفى صادق،(٢٠٠٥م)، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، ط ٨، دار الكتاب العربي: بيروت، ص ١٥٩.

الفصل الأول: مفهوم الخطاب الإلهي للنبي وأقسامه

-المبحث الأول: المقصود بالخطاب لغة واصطلاحا

-المبحث الثاني: السور المكية، مزاياها وخصائصها

-المبحث الثالث: أقسام الخطاب الإلهي للنبي ومستوياته

أولا: خطاب النبي تعيينا، واشتمل على:

- أسماء النبي الكريم في السور المكية
- صفات النبي الكريم
- تثبيت النبي ومواساته وتسليته وردّ التُّهَم الموجهة إليه
- عتابه

ثانيا: خطاب النبي أثناء خطابه للمؤمنين

ثالثا: خطاب النبي أثناء خطابه لغير المؤمنين

المبحث الأول: المقصود بالخطاب لغة واصطلاحا

لا شكَّ في أنَّ للخطاب مادة لغوية غَنِيّة نجدها في غير معجم، ومنها: " الخِطابُ والمُخاطَبَة: مُراجعة الكلامِ، وقد خاطَبَه بالكلامِ مُخاطَبَة وخِطابا، وهما يَتخاطَبانِ " [١].

وخاطبه مُخاطبة وخِطابا أي: كَالَمَهُ و حادثه ووجّه إليه كلاما، ويقال: خاطبه في الأمر حدّثه بشأنه، والخطاب: الكلام والرِّسالَة، وفَصْلُ الخطاب هو: ما ينفَصلُ به الأمرُ من الخِطاب، والخِطاب المفتوح: خطابٌ يُوجَّهُ إلى بعضِ أولي الأمر عَلانية مُحْدثة، وفصلُ الخِطاب أيضا: الحُكمُ بالبَيِّنَةِ، أَو اليمين، أَو الفقه في القضاء، أو النّطْقُ بأمَّا بعدُ، أو أنْ يفصل بين الحقِّ والباطل، أَو هو خطابٌ لا يكون فيه اختصار مُخِلٌّ، ولا إسهاب مُمِلّ [٢].

وقد وردت لفظة الخِطاب في القرآن الكريم مرتين، وذلك في سورة واحدة هي: (ص) الآية ٢٠ والآية ٢٣، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴾ص: ٢٣، وقال سبحانه:﴿ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴾ص: ٢٠.

والخطاب اصطلاحا: هو إيصال المعنى إلى السامع عن طريق الكلام، حيثُ يُعَدُّ الخطاب حدثا كلاميا يتألف من أربعة عناصر هي المُرسِل، والمُرسَل إليه والرسالة والهدف [٣].

وممّا سبق يتبين لنا أنَّ الخطاب هو كلام موجه إلى شخص واحد، أو أكثر، يتم فيه إيصال رسالة معينة، يرجو صاحبها القيام بها والعمل بمقتضاها مِنْ قِبَلِ المُخاطَب.

---

[١] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت:٧١١هـ)، (١٩٩٣م)، **لسان العرب**، ط٣، دار صادر: بيروت، مادة خطب، وانظر مصطفى، إبراهيم وآخرين، (١٩٦٠م)، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية: القاهرة، مادة خطب.

[٢] **المعجم الوسيط**، مادة خطب.

[٣] انظر العموش، خلود، (١٩٩٨م)، **الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النَصّ والسياق**، أطروحة دكتوراه (غ.منش)، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ص ١١.

المبحث الثاني: السور المكية، مزاياها وخصائصها

لقد اختُلِفَ في تحديد المقصود بالسور المكية، وكيفية تمييزها عن المدنية، وكان للعلماء ثلاثة اصطلاحات في تعريف المكّي، هي:

أوّلها: أنّه كلّ ما نزل بمكة، سواء أكان قبل الهجرة أمْ بعدها، و هنا اعتبار للمكان وحده.

وثانيها: أنَّ المكي ما وقع خطابا لأهل مكة، وهنا اعتبار للموضوع وحده.

وثالثها: أنَّ المكي ما نزل قبل الهجرة دون النظر إلى مكان النزول بالذات، والاعتبار هنا للزمان وحده، والاصطلاح الثالث هو أشهر ما قد قيل في هذا الموضوع [١].

ولا شكّ في أنَّ السور المكية لها مزايا وخصائص تختلف عن المدنية، لعل أبرزها الآتي: فيها آيات السجدة، وفيها كلمة كلّا، وصيغة الخطاب فيها تكون بقوله تعالى: يا أيها الناس، على خلاف المدنية التي تتصدر فيها عبارة: يا أيها الذين آمنوا، ونجد في مكيّ القرآن قصص الأنبياء والأمم السابقة وقصة سيدنا آدم- عليه السلام- معَ الشيطان، إلا سورة البقرة المدنية التي نجد فيها الأمرين الأخيرين، ومعظم السور المكية تبدأ بأحرف مُقَطَّعَة، وتمتاز بقصر الآيات والسور، والإيجاز، وحرارة تعبيرها وتجانسها الصوتي، والدعوة إلى أصول الإيمان بالله واليوم الآخر والوحدانية، وتصوير الجنة والنار، وتدعو إلى التمسك بالأخلاق الكريمة، وتجادل المشركين وتسفّه أحلامهم، ويظهر فيها كثرة استخدام القَسَم جريا على أساليب العرب [٢].

ونجد في مكيّ القرآن ما يشير إلى إثبات نبوته إلى الخلق، و أنَّ الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ونجد حديثا عن الصفات والخصال التي تقرب العبد من ربه، والأخرى التي تبعده عن ربه، ونجد الصيغة الآتية في السور المكية: يا بني آدم [٣]، "ونجد تثبيتا لفؤاد النبي الكريم، ودعوته إلى الصبر على الأذى تأسّيا بمن سبقه من الأنبياء والمرسلين" [٤].

---

[١] انظر الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ١٨٧/١، وانظر البوطي، محمد سعيد، (١٩٩٦م)، **من روائع القرآن، تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عزّ وجلّ**، (د.ط)، مؤسسة الرسالة: بيروت، ص ٨٣- ٨٤.

[٢] انظر الصالح، صبحي،(١٩٥٨م)، **مباحث في علوم القرآن**،(د.ط)،مطبعة الجامعة السورية: دمشق،ص ١٨٤

[٣] انظر الطائي، كمال الدين، (١٩٧١م)، **موجز البيان في مباحث القرآن**، مطبعة سلمان الأعظمي: بغداد، ص ٣٩-٤٠.

[٤] البوطي، **من روائع القرآن، تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عزّ وجلّ**، ص ٨٦.

وإنَّ أكثر السور المكية لا سيما المنزلة في أوائل البعثة قوارع تصدع الوجدان وتفزع القلوب إلى استشعار الخوف، وتدعو العقول إلى إطالة الفكر، كما أنذرت السور المكية أولئك المخاطَبين، إذا أصروا على شركهم [١]، "وإنَّ القارئ للآيات المكية ليجد فيها شِدّة لا يجدها في الآيات المدنية، ذلك لأنَّ النبي كان بمكة مُضْطَهَدا قليل الناصر، فكان بحاجة إلى من يشد عضده ويربط على قلبه، فجعل الله له من قوة التبليغ ما يجعله يؤمن كل الإيمان بفوز حقّهِ على باطلهم، وقهرِ دينه لوثنيّتهم" [٢].

ولوجود قوم طغاة معاندين يضطهدون نبي الله والمؤمنين في مكة، فإنّه ناسب أنْ ينزل على النبي في مكة مِثْل قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ الأنعام: ٣٣، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ الأنعام: ٣٤، وهكذا كثر في مكة نزول الآيات التي تقرع المشركين وتشتد في تسفيه أحلامهم، وتسلّي النبي والمؤمنين وتعلمهم السماحة والصفح الجميل [٣].

ولا نجد حديثا عن الأمر بالجهاد في مكيّ القرآن، بل هو في مدنيّه فقط، والحديث عن نساء النبي لا يوجد إلا في مدنيّه أيضا، ومثال ذلك سورة الأحزاب الآية ٣٠ والآية ٣٢، وهذه الأمور السابقة تُعَدُّ أبرز سمات السور المكية في الكتاب العزيز.

وقد نزلت السور المكية على سيدنا محمد على مدار ثلاثة عشر عاما، أمّا المدنية منها فنزلت على مدار عشرة أعوام [٤]، والحكمة من نزول القرآن الكريم مُنَجَّمًا، لها أسرار كثيرة، منها تثبيت قلب النبي وإشعاره بأنَّ الله معه مؤيدا وناصرا، كقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ الفرقان:

---

[١] انظر رضا، محمد رشيد بن علي، (١٩٩٠م)، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للنشر: القاهرة، ٢٧/١.

[٢] الطائي، **موجز البيان في مباحث القرآن**، ص ٤٤.

[٣] الصالح، **مباحث في علوم القرآن**، ص ١٨٨.

[٤] البوطي، **من روائع القرآن، تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل**، ص ٨٥، وانظر ضيف، شوقي، (٢٠٠٠م)، **محمد خاتم المرسلين**، دار المعارف: القاهرة، ص ٢٣٣.

٣٢، وكان الله يقصّ عليه من أنباء الرسل؛ ليقوّي بها عزمه تارّة كالآية ١٢٠ من سورة هود؛ وليبشره بالنصر على الكفار تارّة كالآية رقم ٤٥ من سورة القمر؛ وليخبره بنهاية الكفار والمكذبين تارّة أخرى كالآية ٤٠ من سورة العنكبوت، وهذا كله لتقوية عزيمته ومضاعفة صبره، كما أنَّ السبب الآخر لنزول القرآن مُنَجَّمًا هو: التدرج في تشريع الأحكام [١]، والدعوة لا بُدّ أنْ يحدث في سبيلها العديد من الوقائع، وسيطرح الناس: المؤمن منهم والكافر، على النبي العديد من الأسئلة التي تحتاج جوابا، وعِلْمها في الغيب.

أمّا عن عدد السور المكيّة، فقد قال أبو الحسن بن الحصار: المدنيُّ باتِّفاق عشرون سورة والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة وما عدا ذلك مكّيٌّ باتِّفاق [٢]، أي أنَّ عدد السور المكية المتفق عليها هو ٨٢ سورة من أصل ١١٤ سورة، والسور المدنية باتفاق، هي: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة والنور والأحزاب ومحمد والفتح والحجرات والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والجمعة والمنافقون والطلاق والتحريم والنصر، أمّا السور المُخْتَلَف عليها، فهي: الفاتحة والرعد والرحمن والصف والتغابن والمطففين والقَدْر والبيّنة والزلزلة والإخلاص والفلق والناس، ولم أدرس منها: الرعد والرحمن والصف والتغابن والبيّنة والزلزلة؛ لأن جُلّ العلماء قالوا بمدنيّتها، ودرستُ: الفاتحة والمطففين والقدر والإخلاص والفلق والناس؛ للقول بمكيّتها عند جُلّ العلماء؛ ولقِصَر بعضها؛ وسهولة تناولها.

---

[١] انظر الباز، عوني، (٢٠١٠م)، **من اللمسات البيانية والإشارات العلمية في القرآن الكريم**، ط١، دار البداية ناشرون وموزعون: عمّان، ص ١٣.

[٢] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت: ٩١١هـ)، (١٩٧٤م)، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتب: القاهرة، ٤٤/١.

المبحث الثالث: أقسام الخطاب الإلهي للنبي ومستوياته

عندما نشرع بقراءة القرآن، نلتفت إلى آيات عديدة فيها خطاب لنبينا الكريم، وهذا الخطاب يتنوع من حيثُ الأسلوب والصيغة والفئة التي يخاطبها الله معَ النبي الكريم، وقد اتضح أنَّ الخطاب الإلهي ذو أقسام عدّة هي:

خطاب النبي تعيينا
خطاب النبي أثناء خطابه للمؤمنين
خطاب النبي أثناء خطابه لغير المؤمنين.

وقد يعجب المرء حين يعلم أن القرآن خاطب النبي في ٢٦٧٢ موضِعًا، موزعة على ١٢٠٣ آيات، أي ما يقرب من خُمس آيات القرآن الكريم [١]، وقد اشتمل هذا العدد على الأقسام الثلاثة المذكورة، وهذا بيان ذلك:

أولا: الخطاب الإلهي للنبي محمد- صلى الله عليه وسلم- تعيينا:

يخاطب الله تعالى نبيه خطابا يخصه به في عدد من آي الذكر الحكيم ولا يشترك معه فيه أحد، وثمّة مواضِع عديدة خاطب الله بها نبيه تعيينا من خلالها، كمدحه وذكر أخلاقه وأسمائه وبعض أجزاء جسمه الشريف، وتسليته، ومواساته، وتثبيته عندما استهزأ الكفار به، وردّ التهم الموجهة إليه من قِبَلِ المكذبين المفترين، وكذلك عندما عاتبه الله في كتابه العزيز.

فالخطاب الموجَّه للنبي في القرآن الكريم على ثلاثة أقسام، أحدها أن يقوم الدليل على أنّه خاص به، وثانيها أنْ يقوم الدليل على أنه عام، وثالثها لا يدلّ دليل على هذا ولا على هذا فيكون خاصا به لفظا، عاما له وللأمة حُكما [٢].

ومثال القسم الأول، قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ﴾ الشرح:

١- ٢، فشرح الصدر خاص بالنبي في حادثة شهيرة، وقيل: يقول الله تعالى ذِكْره لنبيه محمد- صلى الله عليه وسلّم-، مُذكِّرا إياه بآلائه عنده، وإحسانه إليه، حاضّا له بذلك على شكره على ما أنعم به عليه؛ ليستوجب بذلك المزيد منه: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ يا محمد للهدى والإيمان بالله ومعرفة الحقّ ولنلّين لك قلبك، ونجعله وعاء للحكمة، ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ

---

[١] انظر خضر، محمد زكي محمد، (٢٠٠١م)، **ذِكْر القرآن الكريم للرسول- صلى الله عليه وسلم-**، (د.ط)، (د.ناشر): عمّان، ص ٣.

[٢] انظر العثيمين، محمد بن صالح بن محمد، (٢٠٠٢م)، **تفسير جزء عمّ**، ط ٢، إعداد وتخريج فهد بن ناصر السلمان، دار الثريا للنشر والتوزيع: الرياض، ص١٥٦-١٥٧.

وِزۡرَكَ ﴾ أي: حططْنا عنك ثِقَلَ أيام الجاهلية التي كنتَ فيها [١]، ومن نِعَم الله عليه أنه شَرَحَ صدرَه للنبوَّةِ وهَيأَه لها، وذَهَبَ الجمهورُ إلى أنَّ شَرحَ الصدرِ المذكورِ إنما هو تنويرُه بالحكمةِ، وتوسِيعُه لتلقي ما يُوحَى إليه، وقال ابن عباس: هذه إشارة إلى شرحه بشَقّ جبريل عنه في وقت صِغره، وفي وقت الإسراء، إذْ التشريحُ شَقُّ اللحم، والوِزرُ الذي وضعَهُ اللَّهُ عنه هو عند بعض المتأولين الثقلُ الذي كان يجده في نفسهِ من أجل ما كانت قريش فيه من عبادةِ الأصنَامِ، فَرَفَعَ اللَّهُ عنه ذلكَ الثقل بنبوَّتِه وإرسالهِ، وقال أبو عبيدة: المعنى خَفَّفنَا عنك أثقَال النبوَّةِ وأعنَّاكَ على الناسِ [٢].

ومثال القسم الثاني الموجه للنبي، وفيه قرينة تدل على العموم، قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ الطلاق: ١، هنا وُجِّه الخطاب أولا للنبي الكريم، فقال سبحانه: يا أيها النبي ولم يقل: يا أيها الذين آمنوا إذا طلقتم، وقال: يا أيها النبي إذا طلقتم، ولم يقل: يا أيها النبي إذا طلقتَ، فدلَّ هذا على أنَّ الخطاب الموجه للنبي موجه له وللأمة.

وأما أمثلة القسم الثالث: فهي كثيرة جدا يوجه الله الخطاب فيها للنبي الكريم، والمراد الخطاب له لفظا وللعموم حكما، ومن هذا قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴾ الإسراء: ٧٨.

ومن الأمثلة على خطاب نبي الله تعيينا ما نراه من مدحه بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ القلم: ٤، فهذا الخطاب مُوَجَّه لنبي الله الكريم، الذي عُرِفَ بأخلاقه الكريمة العالية الرفيعة التي تميزه عن غيره، ولم يُعْرَف بأخلاقه الحسنة في الإسلام فحسب، بل إنّه عُرِفَ قبل مجيء الإسلام بأخلاقه التي لا مثيل لها، فلقّبوه بالصادق الأمين، الذي ما نطق إلا بالحق، والذي إنْ وُضِعَتْ أمانة عنده ردّها إلى صاحبها كما هي دون نقصان أو إنكار، وهنا في

---

[١] انظر الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير (ت:٣١٠هـ)، (٢٠٠٠م)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ط١، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة: بيروت، ٤٩٣/٢٤.

[٢] انظر ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي (ت:٥٤٢هـ)، (٢٠٠١م)، **المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز**، ط١، تحقيق عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية:بيروت، ٤٩٦/٥، وانظر الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت: ٨٧٥هـ)، (١٩٩٧م)، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، ط١، تحقيق محمد معوض وعادل عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي:بيروت، ٦٠٤/٥.

هذه الآية تأكيدان من رب العالمين بأنَّ نبي الله الكريم على خُلُقٍ عظيمٍ، إذْ نجد: إنَّ المشددة و اللام المزحلقة في الآية لتأكيد الصفة التي وصف الله بها نبيه الكريم، إنَّ مَدْحَ نبي الله في القرآن الكريم وإطراءَهُ والثناءَ عليه وتعدادَ محاسنه ورفعَ شأنه والدفاع عنه وتصديقَ قوله، وذمّ أعدائه، وتسفيه آرائهم منهجٌ قرآني واضح، وسبيلٌ رباني صريح، وطريقٌ إلهي بيّن.

ومن هنا كان اقتداءُ المؤمنين والمؤمنات بنبي الله تعالى والثناء عليه بكل وسيلة؛ حتى نسجوا له بُرَدَ المديح، وصاغوا فيه العديد من قلائد القصيد، وعيون الأشعار التي تليق بوجهه الكريم.

أسماء النبي الكريم في السور المكية:

لا شكَّ في أنَّ خطاب الله لنبيه الكريم، كان بطرق عديدة، ومنها ذكر أسمائه وصفاته، وقيل عن أسمائه: "كلها نعوت ليست أعلاما مَحْضَة لمجرد التعريف، بل أسماء مشتقة من صفات مشتقة قائمة به توجب له المدح والكمال" [١]، ووُضِعَت الصفاتُ معَ الأسماء فزاد العدد زيادة ملحوظة، وقيل: "بعضها صفات، وإطلاقها على الأسماء هو مجاز" [٢]، "وقد تَتَبَّعَ السيوطي أسماء النَّبِي فبلغت نحو أربعمائة، وأفردها بشرحها في مجلد سمّاه المرقاة ثمَّ لخصه في جُزء سمّاه الرياض الأنيقة ثمَّ لخصه في مُختَصر سمّاه الوسِيلَة وكان أكثرها صِفَات، وقالَ ابن عبد البرّ: الأَسماء والصِّفَات هُنا سَوَاء" [٣].

وقد وردت عدة أسماء لنبينا في القرآن الكريم، منها:

محمد: وقد ورد أربع مرات في السور المدنية [٤]، ولم يرد اسمه صريحا في السور المكية.

أحمد: ورد مرة واحدة في سورة الصف الآية: ٦، وهي مدنية أيضا، وقيل: النبي اسمه في السماء أحمد وفي الأرض محمد، وعندما بشّر سيدنا عيسى بقدوم نبينا قال: أحمد، وقيل: "إنَّ كلمة أحمد أبلغ من كلمة محمد في معنى الحمد، فهو اسم مبني على صيغة اسم التفضيل" [٥].

وتمَّ تفسير اسم أحمد بلاغيا فقيل: "الألف فيه للمبالغة في الحمد، وله وجهان: أحدهما أنّه مبالغة من الفاعل أي الأنبياء كلّهم حمّادون لله عز وجل، وهو أكثر حمدا لله من غيره، والثاني أنّه مبالغة من المفعول أي الأَنبِيَاءُ كُلُّهُم مَحْمُودُون لِمَا فِيهِم مِنَ الخِصَالِ الحَمِيدَةِ

---

[١] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت:٧٥١ هـ)، (١٩٩٤م)، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ط ٢٧، مؤسسة الرسالة: بيروت، ٨٥/١.

[٢] النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت:٦٧٦هـ)، (د.ت)، **تهذيب الأسماء واللغات**، عُنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية: بيروت، ٢٢/١.

[٣] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت:٩١١هـ)، (١٩٦٩م)، **تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك**، المكتبة التجارية الكبرى: مصر، ٢٦٣/٢.

[٤] آل عمران: ١٤٤، الأحزاب: ٤٠، محمد: ٢، الفتح: ٢٩.

[٥] الرازي، أبو عبد الله زين الدين محمد بن أبي بكر الحنفي (ت:٦٦٦ هـ)، (١٩٩١م)، **أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب التنزيل**، ط١، تحقيق عبد الرحمن المطرودي، دار عالم الكتب: الرياض، ص ٥١٧.

وهو أكثر مُبَالَغَة وأجمَعُ للفضَائِلِ والمَحَاسِنِ التي يُحْمَدُ بِهَا" [١]، "وأحمد إشارة إلى النبيّ باسمه وفعله، وهو محمود في أخلاقه وأحواله، وخصّ لفظة أحمد فيما بشّرَ به عيسى؛ تنبيها أنّه أحمدُ منه ومن الذين قبله" [٢]، وأحمد اسم سُمِّي به النبي قبل أنْ يُخلَق، يقول سبحانه على لسان سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ الصف: ٦.

طه: قيل: هو اسم من أسماء الله، وقيل: قَسَم أقسم الله به، وقيل: هو من الحروف المُقَطَّعَة يدلّ كلّ حرف منها على معنى، وقيل: هو اسم يعني يا رجل، وأنشدَ الشاعر مُتَمِّم بن نُويرة صاحب المراثي:

هَتَفْتُ بِطَه فِي القِتالِ فَلَمْ يُجِبْ فَخِفْتُ عَلَيْهِ أنْ يَكونَ مُوَائِلا [٣].

"وقيل: هو اسم من أسماء النبي الكريم، وقِيل: طه، أَي طَأ الأَرْضَ أَو اطمَئِن، فيَكُون فعل أمر والهاءُ مَفعُولٌ أَو للسَّكتِ أَو مُبْدَلَة مِن الهَمزَةِ" [٤].

ويقول الله تعالى: ﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ طه: ٢ ومن لطائف هذه الآية ما نجده عن الفرق بين أنزلنا إليك وأنزلنا عليك ما يلي: إذْ كُلّ مَوْضِع خاطب الله فيه النَّبي بقوله: "إنا أَنزلنا إِليك الكتاب"، فيه تكليف، وإِذا خاطبه بقوله: "إنا أَنزلنا عليك"، ففيه تخفيف، فالذي في أَوّل سورة الزمر: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ الزمر: ٢، هنا كلّفه الإِخلاص في العبادة، والذي في آخرها ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾ الزمر: ٤١، فختم الآية بقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾، أي لست بمسؤول عنهم، فخفَّف

---

[١] البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد (ت:٥١٠هـ)، (١٩٩٩م)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)**، ط١، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ٨٠/٥:.

[٢] الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت:٥٠٢هـ)، (١٩٩١م)، **المفردات في غريب القرآن**، ط١، تحقيق صفوان الداودي، دار القلم: دمشق، ص ٢٥٦.

[٣] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ٢٦٨/١٨.

[٤] انظر السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ٣٣/٣.

عنه ذلك [١]، وقيل: إنْ قصدَ تعميمَه وتبليغَه وانتهاءَه إلى عامّةِ الأمّة قال: (إِلَيْكَ)، وإنْ قصد تشريفه وتخصيصه به قال: (عَلَيْكَ)، وعلى تُشعِرُ بالعلوّ، وإلى تُشعر بالنهاية [٢]، وقيل عن الفرق بين أنزلَ ونَزّلَ: أنزلَ تعني الإنزال مرة واحدة أو جملة واحدة [٣]، **"**ونزّل تعني الإنزال على مراحل أو أجزاء متفرقة**"** [٤].

يس: قيل: هو اسم بِمعنى يا رجل أو يا محمد أو يا إنسان، وقِيلَ هو اسم مِن أَسمَاءِ النَّبِيِّ، وقال الكرمَانِي في غَرَائِبِه: ويُقَوِّيه في يس قراءة يسن بِفَتْحِ النُّونِ وقولُهُ: إل ياسين، وقِيلَ في قولِهِ: يس أَي يا سَيِّدَ المُرسَلِين [٥].

---

[١] انظر الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر المعروف بتاج القراء (ت:٥٠٥هـ)، (١٩٧٦م)، **أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان**، ط٢، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام: القاهرة، ص ١٨٤، وانظر الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت:٨١٧ هـ)، (١٩٩٦م)، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية و لجنة إحياء التراث الإسلامي: القاهرة، ٤٠٥/١.

[٢] انظر ابن جماعة، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن إبراهيم الشافعي (ت:٧٣٣ هـ)، (١٩٩٠م)، **كشف المعاني في المتشابه من المثاني**، ط ١، تحقيق عبد الجواد خلف، دار الوفاء: مصر، ص ٣١٢-٣١٣.

[٣] انظر القدر: ١، الدخان: ٣.

[٤] شملول، محمد، (٢٠٠٠م)، **تأملات في إعجاز الرسم القرآني وإعجاز التلاوة والبيان**، ط٢، (د. ناشر): دبي، ص ١٩٧.

[٥] انظر السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ٣٢/٣-٣٣.

صفات النبي الكريم:

لقد تعددت صفاته الكريمة في الخطاب، وكان لكلّ مقام مقال خاص، وصفة مختارة دون أختها، فمنها: الحسن الذي أطلقه رب العزة عليه وشرّفه به، ومنه ما تقوّله المكذبون عليه واتّهموه به فَرَدَّ الله على افتراءاتهم الكاذبة، فمن صفات نبينا في السور المكية، ما يلي:

النبي: وردت الكلمة في السور المكية مرتين [١].

رسول/ الرسول: وردت الكلمة في السور المكية إحدى عشرة مرة [٢].

نَذير: وردت الكلمة في السور المكية ستا وعشرين مرة [٣].

مُنْذِر/ مُنذِرين: وردت الكلمة في السور المكية ستّ مرات [٤].

مُبين: وردت الكلمة في السور المكية اثنتي عشرة مرة [٥].

مبشرا: وردت الكلمة في السور المكية مرتين [٦].

بشير: وردت الكلمة في السور المكية أربع مرات [٧]، فالنبي نذير وبشير للناس كافّة، وهو لم يُخاطِبْ قومه كالأنبياء والرسل الآخرين بـِ: يا قوم؛ وهذا لعالمية رسالته، يقول سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ سبأ: ٢٨.

مُذكِّر: وردت الكلمة في السور المكية مرة واحدة في سورة الغاشية ٢١.

يهدي إلى صراط مستقيم، وردت هذه الصفة مرة واحدة في سورة الشورى: ٥٢.

يدعوهم إلى صراط مستقيم، وردت هذه الصفة مرة واحدة في سورة المؤمنون: ٧٣.

---

[١] الأعراف ١٥٧، الأعراف ١٥٨.

[٢] الأعراف ١٥٧، الأعراف ١٥٨، الفرقان ٧، الفرقان ٢٧، الفرقان ٣٠، العنكبوت ١٨، الزخرف ٢٩، الدخان ١٣، الحاقة ٤٠، المزمل ١٥، التكوير ١٩.

[٣] الأعراف ١٨٤، الأعراف ١٨٨، هود ٢، هود ١٢، الحِجر ٨٩، الإسراء ١٠٥، الفرقان ١، الفرقان ٥٦، الشعراء ١١٥، العنكبوت ٥٠، القصص ٤٦، السجدة ٣، سبأ ٢٨، سبأ ٤٤، سبأ ٤٦، فاطر ٢٣، فاطر ٢٤، فاطر ٤٢، ص ٧٠، الأحقاف ٩، الذاريات ٥٠، الذاريات ٥١، النجم ٥٦، الملك ٨، الملك ٩، الملك ٢٦.

[٤] ص ٤، ص ٦٥، ق ٢، النازعات ٤٥، الشعراء ١٩٤، النمل ٩٢.

[٥] الأعراف ١٨٤، يونس ٢، الحجر ٨٩، الشعراء ١١٥، ص ٧٠، العنكبوت ٥٠، الزخرف ٢٩، الدخان ١٣، الأحقاف ٩، الذاريات ٥٠ و ٥١، الملك ٢٦.

[٦] الإسراء ١٠٥، الفرقان ٥٦.

[٧] الأعراف ١٨٨، هود ٢، سبأ ٢٨، فاطر ٢٤.

هذه الصفات السابقة تدل على وظيفة نبينا الكريم ومهمته السامية عند الدعوة، فهو منذر مبين مبشّر مذكّر مبلّغ هادٍ إلى صراط مستقيم، وقد عمل جاهدا على سبر غور ظلمات السبل التي كان يمشي فيها كل كافر ضالّ متخبط، وأنار برسالته السماوية العظيمة تلك السبل، فتمّت هداية الكثير من الكفار الضالّين، وأصبحوا يرون الحق فتشرفوا بالإسلام والهداية، أمّا من استحبَّ الكفر على الإيمان، فقد بقي يتخبط تائها عن الحق، وقد خاطب الله نبيه قائلا عنهم: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ الأنعام: ١٠٧، فما على الرسول إلا البلاغ، إذْ تمَّ حصر مهمة النبي بالإبلاغ، وليس النبي وكيلا على هؤلاء، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ الإسراء: ٥٤، ويقول الله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴾ الشورى: ٤٨، هنا تأكيدُ مهمة الرسول بالبلاغ، فمن قَبِلَ الدعوة فقد أفلح ونال رحمة واسعة من ربه، وأمّا من أعرض فسيكون من الخاسرين، ونجد صفة للإنسان الجاحد الذي يذكر الله وقت الشدّة وينساه وقت الرخاء، ألا ساء ما يعملون.

ونجد أسلوب نفي في القرآن عن أنْ يكون النبي وكيلا على الكافرين، كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ الإسراء: ٥٤، وكقوله: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ الإسراء: ١٠٥، فهذه هي مُهمّة الرسول.

ويقول أيضا: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ الزمر: ٤١، ويقول: ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ النحل: ٣٧، ويقول: فاعلم يا نبي الله أمرا مهما هو: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ الأنعام: ١٢٨، فالله يدبر الأمور وييسرها ويُدخِلُ في رحمته من يشاء ويُضلّ من يشاء.

ومن صفاته الكريمة أيضا:

شاهِد: وردت الكلمة في السور المكية مرتين [١].

شهيد: وردت الكلمة في السور المكية مرة واحدة في سورة النحل الآية ٨٩.

رجل: وردت الكلمة في السور المكية إحدى عشرة مرة [٢].

عبدُ اللهِ: وردت الكلمة في السور المكية مرة واحدة في سورة الجن آية ١٩، وكلمة عبد للتشريف ولرفع مكانة نبينا الكريم، فهو خير عباد الله تعالى.

عبده: وردت الكلمة في السور المكية خمس مرات [٣]، منها ثلاث سور بدأت بخطاب إلهي للنبي الكريم، هي سورة الإسراء والكهف والفرقان.

مُطاع: وردت الكلمة في السور المكية مرة واحدة في سورة التكوير الآية ٢١.

أمين: وردت الكلمة في السور المكية مرة واحدة في سورة التكوير الآية ٢١.

أول المسلمين: وردت الكلمة في السور المكية مرتين [٤].

أول العابدين: وردت الكلمة في السور المكية مرة واحدة في سورة الزخرف الآية ٨١.

رحمة للعالمين: وردت الكلمة في السور المكية مرة واحدة، في سورة الأنبياء: ١٠٧، وكيف لا يكون كذلك؟ وهذه بعض الآيات التي تدل على رحمته الكبيرة حتى بغير المؤمنين، يقول سبحانه: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ الشعراء: ٣، ويقول: ﴿ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾ النمل: ٧٠، ويقول: ﴿ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾ فاطر: ٨، ففي هذه الآيات بيان لمدى رحمة نبي الله وشفقته بمن دعاهم إلى الهداية فأعرضوا عنها، حتى كاد يهلك من الحزن والأسى؛ لأنّهم لم يؤمنوا.

كريم: وردت الكلمة في السور المكية مرتين [٥].

المدثّر: وردت الكلمة مرة واحدة في سورة المدثر.

---

[١] المزمل ١٥، البروج ٣.

[٢] الأنعام ٩، الأعراف ٦٣، الأعراف ٦٩، يونس ٢، الإسراء ٤٧، المؤمنون ٢٥، المؤمنون ٣٨، الفرقان ٨، سبأ ٧، سبأ ٤٣، الزخرف ٣١.

[٣] الإسراء ١، الكهف ١، الفرقان ١، الزمر ٣٦، النجم ١٠.

[٤] الأنعام ١٦٣، الزمر ١٢.

[٥] الحاقة ٤٠، التكوير ١٩.

المزمّل: وردت الكلمة مرة واحدة في سورة المزمل.

الأميّ: وردت الكلمة في السور المكية مرتين [١].

ذو قوة: وردت الكلمة مرة واحدة في سورة التكوير الآية ٢٠.

بَشَر: وردت الكلمة في السور المكية ست مرات [٢]، فنبينا الكريم كان بشرا يأكل ويشرب، ينام ويستيقظ، يسعد ويغضب، ويعمل أعمالهم، بل إنَّ الله أكّد على بشريته، فقال: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ الأنبياء: ٣٤، فنبينا الكريم مات؛ لأنّه من البشر، وما من أحد من البشر إلا وسيشرب من كأس الموت الذي يدور على الناس تِباعًا، ولا بقاء إلا لوجه الله، ويؤكد سبحانه ذلك بقوله:﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ الزمر: ٣٠، "فالميّت بالتشديد هو الحي الذي فيه الروح، وما يزال ينتظر أجله، والميْت بالتخفيف هو الذي خرجت روحه منه، ولهذا خاطب الله النبي وخصومه الكفار بهذه اللفظة التي فيها تشديد؛ لأنّهم أحياء، ولم يقل إنك ميْت وإنهم ميْتون" [٣].

ويقول سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾ فصلت: ٦، هنا طلب من الله لنبيه بأنْ يُبَيّن للناس أنّه من البشر، ويطالبه بتوحيد الله ودعوتهم إلى ذلك، وأنْ يستقيموا ويستغفروا الله، أمّا مَن أصرّ على التكذيب والكفر، فإنَّ عذابًا شديدًا سيكون بانتظاره.

ويقول الله تعالى على لسان الكافرين عن النبي الكريم:﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾الفرقان: ٧، فهم يستغربون من

---

[١] الأعراف ١٥٧، الأعراف ١٥٨.

[٢] الإسراء ٩٣، الإسراء ٩٤، الكهف ١١٠، الأنبياء ٣، الأنبياء ٣٤، فصلت ٦.

[٣] الخالدي، صلاح عبد الفتاح، (١٩٩٢م)، **لطائف قرآنية**، ط١، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع: دمشق، ص ٦٤.

أعمال النبي البشرية، فهو يأكل الطعام ويمشي في الأسواق بين الناس، لكن الله يقول:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾الفرقان: ٢٠.

ويقول: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ الأنعام: ٥٠، فالنبي بشر لا يعلم الغيب من تلقاء نفسه [١]، بل يُخْبِر بما أعلمه الله، وهو ليس مَلَكا، ويؤكد الله أنَّ نبيه لا يعلم الغيب بقوله: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ﴾ هود: ٤٩، ويقول: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾ يوسف: ٣، وثمّة آيات عديدة ينفي الله فيها عن نبيّه معرفته بالغيب، وتلك الآيات تبدأ بـ: وما أدراكَ [٢]، كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴾ المدثر: ٢٧.

وهو مُبلِّغٌ لرسالة ربه، يقول الله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾الأنعام: ١٠٦، هنا طلب الله من نبيه الابتعاد عن المشركين، واتّباع الوحي.

ويقول الله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ يونس: ٢، يبلغ العجب أقصى مداه من إرسال رجل منهم برسالة سماوية، فهم يستكثرون ذلك، بل وصفه الكافرون فيما بعد بأنّه ساحر مبين، يقوم بأعمال عديدة لا تُرضي غرورهم، وهذا ليس بغريب عمّن يتكبر ويتجبر، وبدلا من شكر الله على إرسال رجل رشيد يهدي إلى الحق، قاموا بمعاندته والكفر برسالته، وإيذائه، والله عندما بعث رجلا منهم متكلما بلسانهم، كان من باب الرحمة بهم، ولترغيبهم بالإسلام والدخول فيه، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ

---

[١] انظر هذه الآيات التي تتحدث عن عدم معرفة النبي بالغيب: الأنعام ٥٩، الأعراف ١٨٨، يونس ٢٠، القصص ٤٤-٤٦، هود ٣١، يوسف ١٠٢، النمل ٦٥.

[٢] انظر هذه الآيات: الحاقة ٣، المرسلات ١٤، الانفطار ١٧، الانفطار ١٨، المطففين ٨، المطففين ١٩، الطارق ٢، البلد ١٢، القدر ٢، القارعة ٣، القارعة ١٠، الهمزة ٥.

لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ إبراهيم: ٤،

ويقول الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ يوسف: ٢.

ووصفه الله أيضا بأنّه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ النجم: ٣- ٤، فهو رسول يبلغ رسالة من ربه إلى البشرية جمعاء، فهو ينقل ما يُوحَى إليه من الله، ولا ينطق لسانه إلا بالحق، فوظيفة الرسول البلاغ، كما يقول الله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ النحل: ٨٢، وكما وصفه الله تعالى أيضا بقوله: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ ﴾ الضحى: ٦- ٨، فنبينا- صلى الله عليه وسلم- عاش يتيم الأبوين منذ صغره، فقد توفي أبوه عندما حملته والدته، وقيل: بعد ولَادَته بشهرين، وتوفيت أمه وهو ابن ستّ سِنِين، وكَفِلَه جده عبد المطلب، ثمَّ مَاتَ وهو ابن ثمان، وكَفِلَه عمه أَبو طَالب، ومعنى قوله: فآوى، أَي: جعل لَك مأوى، وهو أبو طالب، والمعنى: يأوي إليهِ، وتُوفّي أبو طالب قبل الهجرَة بِثَلَاث سِنِين، وقوله: ووجدك ضَالًّا فهدى، أي: عن الشرَائِع والإسلام والتوحيد والنبوة فهداكَ إليها، اختاره الحسن البصري والضحّاك وابن كيسان، وقيل: ووجدك ضالّا أي: غافلا عَمَّا يُرَاد بكَ فهداكَ إليهِ، وهو أحسن، وقيل: كان ضالا عن طريق الحق فهداه إليه، وقيل: وجدكَ في قوم ضالّين، وقال أبو حيان: "وجدكَ ضالا فهدى، أي وجد رهطكَ ضالا فهداه بكَ، إذْ حُذف المضاف رهط" [1]، وقوله: ووجدك عائلا فأغنى، أي: كنتَ فَقِيرا فأغناك بِمَال خَدِيجَة والغنائم، وقالَ الكلبِيّ ومُقاتِل: أَغنَاك بِالرِّضَا والقناعة بما أعطاك، وهو أَوْلَى القولينِ وقد اختاره الفراء [2] .

---

[1] أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي (ت:٧٤٥هـ)، (١٩٩٩م)، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق صدقي محمد جميل، طبعة دار الفكر: بيروت، ٤٩٧/١٠.

[2] انظر السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي (ت:٤٨٩هـ)، (١٩٩٧م)، **تفسير القرآن**، ط١، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن: الرياض، ٢٤٤/٦-٢٤٥، وانظر البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ٢٦٨/٥.

وأنشد أُحَيْحَةُ بنُ الجُلَاح [١]:

وَمَا يَدْري الفقيرُ مَتى غِناه   وَمَا يَدْري الغَنِيُّ مَتى يَعِيل [٢]

"إنَّ ارتباط هذه الآيات بما قبلها واضح، فهو تعالى يبثّ في نفس النبي الطمأنينة، ويُثبّت قلبه بلفته إلى ما أسبغ الله عليه من نِعَم: كان يتيما، بل مضاعف اليُتم، فآواه ووَقَاه مسكنة اليتم، وكان ضالّا حائرا، فهداه تعالى إلى دين الحق، وكان عائلا فأغناه بفضله وكرمه" [٣].

ونجد آيات تبين قَدْر النبي العظيم وتزكيته، فهو:

راجح العقل لا يَضِلّ، يقول الله تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ النجم: ٢، وكذلك زكّاه في صدقه وعدم تقوّله، فقال: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ النجم: ٣، وقد زكّاه من حيثُ البصر، فقال: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ النجم: ١٧، وقال: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ النجم: ١١، وشرّفه الله بتعليمه إياه، فقال: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ النجم: ٥، وشرح صدره ونقّاه، فقال: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ الشرح: ١، ووضع الله وِزْرَ نبيه، فقال: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ الشرح: ٢، ورفع له ذِكْرَه، فقال: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ الشرح: ٤، وأبان مقدار رحمته الكبيرة وحِلمه العظيم، فقال: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ التوبة: ١٢٨، وزكّاه تزكية إجمالية، فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم: ٤، "هذه شهادة إلهية بعظمة خُلُق المصطفى، تُتَوِّجُ ما كان معروفا من

---

[١] هو أبو عمرو أُحَيْحَة بن الجُلَاح بن الحريش الأوسي: شاعر جاهلي من دُهاة العرب وشجعانهم، قال الميداني: كان سيد يثرب وكان له حصن فيها سماه (المستظلّ) وحصن في ظاهرها سماه (الضحيان) ومزارع وبساتين ومال وفير، وقال البغدادي: كان سيّد الأوس في الجاهلية، وكان مُرَابيا كثير المال، أمّا شعره فالباقي منه قليل جيد، انظر الزرِكْلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (ت:١٣٩٦هـ)، (٢٠٠٢م)، **الأعلام**، ط ١٥، دار العلم للملايين: بيروت، ٢٧٧/١.

[٢] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة عيل.

[٣] بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، (١٩٦٢م)، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ط٣، دار المعارف: القاهرة، ٤٣/١.

مكارم أخلاقه وتمنحه القوة على مواجهة المكذبين الطاغين" [١]، وهذه الأنواع من التزكية لم تُوهَب لأحد قبله ولا لأحد بعده، فميّزته ورفعته وحبّبته إلى خلقه، وكيف لا يزكيّه ربنا تعالى وهو الصادق الأمين المؤمن بالله وكلماته، يقول سبحانه: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ الأعراف: ١٥٨، وإنْ اتّبعناه فسنكون من المهتدين الفائزين بعون الله العلي العظيم.

وقد شرّفه الله بصفات تميزه عن غيره من الرسل، فنحن لا نجد في القرآن اسما له إلا وتتبعه صفة ولا نجد حديثا عنه إلا وتتبعه صفه كذلك، فلا يكون الحديث مجردا من صفة النبوة والرسالة مثلا، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ آل عمران: ١٤٤، وكقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ الفتح: ٢٩.

وأما الصفات التي أطلقها الكفار والمعاندون على نبينا الكريم ونفاها الله عنه، فهي:

شاعر: وردت الكلمة في السور المكية أربع مرات [٢].

كاهن: وردت الكلمة في السور المكية مرتين [٣].

ساحر: وردت الكلمة في السور المكية أربع مرات [٤]، وليس هذا بغريب عن الكافرين، فقد اتهموا أنبياء آخرين بمثل هذه الصفة، فقد اتّهموا عيسى- عليه الصلاة والسلام- بالسحر، وذلك في سورة الصف الآية ٦، وهذه التهمة تعرض لها كذلك نبي الله موسى- عليه الصلاة والسلام- [٥]، بل إنَّ معظم الأنبياء والمرسلين اتُّهِموا بهذه الصفة أو بصفة الجنون، يقول سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾الذاريات:٥٢.

مسحور: وردت الكلمة في السور المكية مرتين [٦].

---

[١] انظر بنت الشاطئ، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ٥٢/٢.

[٢] الأنبياء ٥، الصافات ٣٦، الطور ٣٠، الحاقة ٤١.

[٣] الطور ٢٩، الحاقة ٤٢.

[٤] يونس ٢، ص ٤، الذاريات ٣٩، الذاريات ٥٢.

[٥] انظر سورة غافر ٢٤.

[٦] الإسراء ٤٧، الفرقان ٨.

وقد وُصِفَ بالجنون بثلاثة ألفاظ، هي:

أولا: به جِنَّة: وردت الكلمة في السور المكية خمس مرات [١].

ثانيا: مجنون: وردت الكلمة في السور المكية عشر مرات [٢].

ثالثا: معلم مجنون في سورة الدخان الآية ١٤.

ووصفوه بأنه:

مُفْتَرٍ: وردت الكلمة مرة واحدة في سورة النحل الآية ١٠١.

كذّاب: وردت الكلمة مرة واحدة في سورة ص: ٤، وقد كذّبت ثمود نبيّها صالحًا عليه السلام، واتّهمته بالكذب في سورة القمر: ٢٣- ٢٦.

واتُّهِمَ النبي بكتابة القرآن وأنه يكتب عن الأحبار أساطير الأولين، يقول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ الفرقان: ٥، وأساطِيرُ الأَوّلِين: "ما سطّره وكتبه المتقدمون، اكتَتَبَها: كتبها لنفسه أو استكتبها، وقُرِئ على البناء للمفعول لأنّه أمّي لا يقرأ ولا يكتب، وأصله: اكتتبها كاتب له، فحذف اللام وأفضى الفعل إلى الضمير فصار اكتتبها إيّاه كاتب ثم حذف الفاعل، وبُنِي الفعل للضمير فاستتر فيه، فهِيَ تُمْلى عَلَيهِ بُكْرَة وأصيلا ليحفظها" [٣]، لكنّ النبي أميّ لا يقرأ ولا يكتب، وهذا سبب من أسباب تأكيد إعجاز القرآن الكريم وأنّه من رب العالمين، وذكر الله تعالى أميّة النبي مرتين في القرآن، وذلك في سورة واحدة هي: الأعراف الآية ١٥٧و ١٥٨، وأكّد عدم معرفته بالقراءة والكتابة، حينما قال: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ العنكبوت: ٤٨، وقيل: "لقد أُنزِلت التوراة جملة لأنّها أُنزلت مكتوبة على نبي يكتب ويقرأ وهو موسى، وأما الفرقان فأُنزِل متفرّقًا؛ لأنّه أُنزِل غير مكتوب على نبيّ أميّ"

---

[١] الأعرف ١٨٤، المؤمنون ٢٥، المؤمنون ٧٠، سبأ ٨، سبأ ٤٦.

[٢] الحجر ٦، الشعراء ٢٧، الصافات ٣٦، الدخان ١٤، الذاريات ٣٩، الذاريات ٥٢، الطور ٢٩، القلم ٢، القلم ٥١، التكوير ٢٢.

[٣] البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر (ت:٦٨٥هـ)، (١٩٩٧م)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل،** ط١، تحقيق محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١١٨/٤.

[١]، "والقرآن المُعْجِز هو البرهان القاطع على صحّة النبوة" [٢]، فأُميّته كانت سببًا في إعجاز القرآن دون ريب.

وعندما نرى صفاته الكريمة التي وردت في السور المكية، فسنجد أحيانًا صفتين أو أكثر في آية واحدة، ومن الأمثلة على ذلك: " النذير المبين " في سورة الحِجْر الآية ٨٩.

و هذه الكثرة من الأوصاف والأسماء والألقاب للنبي، تدلّ على عِظَمِ مكانته عند الله تعالى، وتشير إلى وجوب المزيد من إكرامنا له صلوات الله وسلامه عليه، كما يوجد غرضان من ذكر هذه الأوصاف العديدة لنبينا الكريم، أحدهما: الثناء، والآخر: تعريف الناس بمكانته ومنزلته حتى يحبه ويُعظّمه ويقدّره الجميع، لِمَا اتصف به من الحرص على هداية الناس دون تمييز بين أحد منهم، وبذله جهدًا عظيمًا لإخراجهم من الظلمات إلى النور، وقد أشفق عليه المولى سبحانه وتعالى وهدّأ من روعه، فخاطبه بقوله: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ الشعراء: ٣، وقال: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ الكهف: ٦.

ومن الأمور التي عجّل الله تعالى الثواب فيها لنبيه الكريم: إعطاء الكوثر، وهذا الأمر يُثبّت النبي والمؤمنين ويجعلهم يصبرون على اضطهاد الكافرين وتجبّرهم وتكبّرهم حتى ينالوا ما وعدهم ربهم حقا، يقول سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ الكوثر: ١، كما وعد الله نبيه بالجِنان والقصور، يقول سبحانه: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴾ الفرقان: ١٠، ويقول الله تعالى: ﴿ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ

---

[١] ابن فورك، أبو بكر محمد بن الحسن الأنصاري الأصبهاني (ت:٤٠٦هـ)، (٢٠٠٩م)، **تفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون- آخر سورة السجدة**، ط١، دراسة وتحقيق علاء عبد القادر بندويش، جامعة أم القرى: السعودية، ١٩١/١، لكن الدكتور جاسر أبو صفية، يرفض هذا الأمر جملة وتفصيلا ويصرّ على أنَّ الأميّ لا يعني الجاهل بالقراءة والكتابة، وله بحث عن هذا الأمر يَخْلُصُ فيه إلى أنَّ كلمة الأمي تعني: الإمام العالي القدر المتفرد، الذي يلتفّ حوله الناس ويأتمّون به، انظر أبو صفية، جاسر، (٢٠١٠م)، **أمية الرسول والعرب وقضايا نقدية في اللغة والأدب**، ط١، دار فضاءات للنشر والتوزيع: عمّان، ص ٣٧، ويقول أستاذنا الدكتور ناصر الدين الأسد عن لفظة أميّ وأميّون: لم أجد هاتين اللفظتين فيما اطّلعت عليه من شعر الجاهلية ولا من سجع كُهّانِها وأقوال خطبائها وحكمائها وقد ذُكِرَتا لأول مرة في القرآن الكريم، انظر الأسد، ناصر الدين، (٢٠٠٩م)، **ألفاظ من القرآن الكريم**، ط١، دار الفتح للدراسات والنشر: عمّان، ص ٩.

[٢] شاكر، محمود محمد، (٢٠٠٢م)، **مداخل إعجاز القرآن**، ط١، مطبعة المدني: مصر، ودار المدني: جدّة، ص ١٥٥.

﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾ الضحى: ٤-٥، إنَّ عطاء الله موصول غير مقطوع، فقد أعطى نبيه الخيرات في الدنيا، وما عند الله خير وأبقى،فما لذّات الدنيا إلا قطرة في بحر لذّات الآخرة، إذْ يَجِدُ المؤمن ما لا عين رأتْ ولا أذن سمعتْ ولا خطر على قلب بشر، وقيل عن تعجيل البُشرى للنبي في الدنيا: "عجّل الله له المسرّة فأعلمه بما أعطاه، قال سبحانه: "إنا أعطيناك الكوثر" ، وقال: "ولسوف يعطيك ربك فترضى"، وعبّر بالإعطاء دون الإتيان معَ أنَّ الإتيان أقوى من الإعطاء في إثبات مفعوله؛ لأنَّ النبي وأمّته يَرِدُون على الحوض ورود النازل على الماء ويرتحلون إلى منازل العزّ، والأنهار الجارية في الجِنان والحوض للنبي- صلى الله عليه وسلّم- عند عطش الأكباد قبل الوصول إلى المقام الكريم، فقال: "إنّا أعطيناك الكوثر"[١]، "والإيتاء يحتمل أنْ يكون واجبًا وأنْ يكون تفضّلا، وأمّا الإعطاء فإنّه بالتفضّل أشبه" [٢].

ومن الأمور التي تخصّ نبينا الكريم في القرآن، ذِكْرُ بعض أجزاء جسمه الشريف وما يتعلق بشخصه الكريم، ولكل منها دلالة مختلفة، فنجد في القرآن ما يلي:

ظَهْره ورد مرة واحدة في: الشرح ٣، عنقه ورد مرة واحدة في: الإسراء ٢٩.

جناحك ورد مرتين في: الحجر ٨٨، الشعراء ٢١٥.

لسانه ورد ثلاث مرات في: مريم ٩٧، الدخان ٥٨، القيامة ١٦.

عينه وردت ثلاث مرات في: الكهف ٢٨، طه ١٣١، الحجر ٨٨.

فؤاده ورد ثلاث مرات في: النجم ١١، الفرقان ٣٢، هود ١٢٠.

قلبه ورد ثلاث مرات في: البقرة ٩٧، الشعراء ١٩٤، الشورى ٢٤.

بصره ورد أربع مرات في: النجم ١٧، الملك ٣، الملك ٤، الملك ٤.

صدره ورد أربع مرات في: الأعراف ٢، هود ١٢، الحجر ٩٧، الشرح ١.

يده (يمينه) وردت أربع مرات في: الإسراء ٢٩، العنكبوت ٤٨، الأحزاب ٥٠ و ٥٩.

نفسه وردت سبع مرات في: النساء ٨٤، الأعراف ٢٠٥، الكهف ٦، الكهف ٢٨، الشعراء ٣، الأحزاب ٣٧، فاطر ٨.

وجهه ورد سبع مرات في:البقرة ١٤٤مرتين،البقرة١٤٩و١٥٠،يونس ١٠٥،الروم ٣٠ و٤٣

---

[١] انظر الزركشي، **البرهان في علوم القرآن،** ٤/٨٥-٨٦،وانظر إبداح، عبد الرحمن سعود إدريس، (١٩٩٢م)، **أدب الخطاب في القرآن الكريم،** رسالة ماجستير (غ. منش)، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ص ١٠٢-١٠٣

[٢] الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الملقب بفخر الدين الرازي (ت:٦٠٦هـ)، (١٩٩٩م)، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)،** ط٣، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ٣٢/٣١٢.

تثبيت النبي ومواساته وتسليته وردّ التهم الموجه إليه:

لقد لقي نبينا الكريم صعوبات عديدة عندما شرع في الدعوة لدين الله، منها الشتائم ورفض الدخول في هذا الدين والإصرار على التمسك بدين الآباء والأجداد، والتخبّط في ظلمات السبل المُضِلّة، ورفض الهداية، وقد تعرض النبي للضرب حتى سال دمه الشريف يوم الطائف، واتّهموه بِتُهم باطلة، لكن رب العالمين نفاها عن نبيه الكريم، وأعلمه أنَّ أعمال الكافرين باطلة، وأقوالهم لن تقوم لها قائمة؛ لأنّها تقف في وجه حقّ، وسيعلمون من الذي سيسعد ومن الذي سيشقى، ولو بعد حين، يقول الله تعالى: ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴾ القمر: ٢٦، هذا ردّ على تكذيب ثمود لصالح- عليه السلام- بل هو ردّ على كل كافر معتدٍ أثيم.

في القرآن آيات لتثبيت قلب النبي وقلوب المؤمنين، كقوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ هود: ١٢٠، فقصص الأنبياء المذكورة تكون له عزاء لما يلقاه من أذى قومه، وتمَّ التهوين على النبي الكريم، وتخفيف الشدائد، كما حثّه الله على الصبر [١]، يقول الله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ المزمل: ١٠، وقد نهاه عن الحزن [٢]، وقد تناولت القصص أنبياء الله ورُسُله مع أقوامهم وما آل إليه من أنهم كذبوهم، وطرق انتقام الله منهم لتكذيبهم أنبياءهم، ولم تذكر هذه القصص لتسلية النبي فقط، ولكن ليزيد الله من عزمه ويطالبه بالصبر على الأذى والتكذيب ويبشّره بالنصر في النهاية لرسله، والخزي لأعداء الله أجمعين منذ نزول آدم إلى الأرض وإلى يوم القيامة [٣].

والقرآن لم ينزل مرة واحدة؛ لأنه نزل حسب الحوادث التي مرّت على مدار ثلاثة وعشرين عاما، وأيضا لتثبيت النبي الكريم، وللإجابة على الأسئلة التي تُلْقَى على النبي.

---

[١] انظر الصالح، **مباحث في علوم القرآن**، ص ٤٤-٤٥.

[٢] انظر مثلا: يس ٤٦، يونس ٦٥، الحجر ٨٨.

[٣] انظر حامد، عبد الحافظ سلامة، (٢٠٠٤م)، **ومضات من نور القرآن الكريم**، ط١، مركز الكتاب للنشر: القاهرة، ١٠٥/٢.

وهو نزل بلسان عربي مُبين [١]؛ لينذر الناس في مكة ومن حولها، بل في كل مكان في الدنيا، يقول المولى عزّ وجلّ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾ الشورى: ٧.

ونجد في معجزة النبي محمد الخالدة ذِكْرا لبعض معجزاته، فسورة القمر وسورة الإسراء بدأتا بالحديث عن إحدى معجزات نبينا الكريم، إذْ يقول الله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ القمر: ١، "يقول ابن مسعود: انشَقَّ القمَرُ على عهد نبي الله شقَّين حتَّى نظرُوا إليه، فقالَ نبي الله: اشهدُوا" [٢]، ويقول الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ الإسراء: ١، هنا حديث عن معجزة الإسراء والمعراج.

وذكر الله في القرآن الكريم بعض القصص عن استهزاء الأقوام بالأنبياء؛ ليُثَبِّتَ نبينا الكريم ويخبره أنه لن ينساه بل سيحميه من المعتدين، وسينال كل مُعْتَدٍ جزاء عملِهِ الآثِمِ وتكبّرِهِ واستهزائِهِ برُسُلِ الله تعالى، ولا يحيقُ المكر السيء إلا بأهله، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ الأنعام: ١٠، وكُرِّرت الآية في سورة الأنبياء آية ٤١، "وقد مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم بالوليد بن المغيرة وأُمَيّة بن خلف وبأبي جهل بن هشام، فهمزوه واستهزأ هؤلاء به، فغاظه ذلك وأنزل الله عليه هذه الآية" [٣].

---

[١] انظر: يوسف ٢، الرعد ٣٧، النحل ١٠٣، طه ١١٣، الشعراء ١٩٥، الزمر ٢٨، فصلت ٣، فصلت ٤٤، الزخرف ٣، الأحقاف ١٢، بالإضافة إلى سورة الشورى ٧.

[٢] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي (ت:٧٧٤هـ)، (١٩٩٩م)، **تفسير القرآن العظيم**، ط٢، تحقيق سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع: (د. مكان)، ٤٧٤/٧، وانظر الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ٥٦٩/٢٢.

[٣] ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري (ت:٢١٨هـ)، (٢٠٠٦م)، **السيرة النبوية**، ط١، تحقيق جوده محمد جوده، دار ابن الهيثم: القاهرة، ٢٠٣/٢.

ويقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾الحجر: ٩٥، فالله خير الحافظين لنبيه الكريم، وهو الذي سيصرف كيد المستهزئين عن نبيه الكريم، بل إنّه دعا نبيه إلى الصبر وأنْ يعمل؛ لأنَّ عمله لن يضيع هباءً منثورًا، فقال:﴿ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ هود:١١٥، والصبر سِمَة مهمة من سمات أولي العزم من الرسل [١]، فقد عانى الأمرّين من قومه.

كما يقول الله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ مريم: ٩٨، كل ظالم كافر مُعْتدٍ أخذ جزاءه ولم تقم له قائمة [٢]، وأصبح رأسه مُطَأطأ بعد أنْ كان يعانق السماء تكبرا، ولكن لكل ظالم مصير أكيد، وعذاب شديد لا محالة، يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ الأنعام: ٤٧.

وعندما اتُّهِمَ النبيُّ الكريمُ بأنّه أبتر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ الكوثر: ٣، "لقد نزلت في العاص بن وائِل، وذلك أنَّهُ قال: إنِّي شانئ محمدا، فقالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ الآية السابقة التي تعني: مَن شنَأهُ مِن النَّاسِ كُلّهِم فهو الأَبتَرُ" [٣]، بل إنَّ العاص هو الأبتر الذي قُطِعَ من رحمة الله، " فالأبتر الذي لا عقب له، إذْ لا يبقى منه نسل ولا حُسْن ذِكْر" [٤]، وإنَّ النبي دخل المسجد الحرام من باب بني سهم بن عمرو، وأناس من قريش جُلوس في المسجد، فمضى النبي الكريم، ولم يجلس حتى خرج من باب الصفا، فنظروا إلى النبي حين خرج ولم يروه حين دخل فلم يعرفوه، فتلقاه العاص بن وائل السهمي على باب الصفا، وهو يدخل، وكان النبي قد توفي ابنه عبد الله، وكان الرجل إذا مات ولم يكن له من بعده ابن يرثه سمي الأبتر، فلما انتهى العاص إلى المقام، قالوا: من الذي تلقاك؟ قال: الأبتر، فنزلت

---

[١] أولو العزم من الرسل هم: نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، بالإضافة إلى نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلّم.

[٢] انظر غافر: ٥.

[٣] مجاهد، أبو الحجاج بن جبر القرشي (ت:١٠٤هـ)، (١٩٨٩م)، **تفسير مجاهد**، ط١، تحقيق محمد أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة: مصر، ص ٧٥٧.

[٤] الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت:١٢٧٠هـ)، (١٩٩٤م)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط١، تحقيق علي عطية، دار الكتب العلمية: بيروت، ٤٨١/١٥.

﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴾، يعني إنَّ مُبْغِضَكَ العاص هو الأبتر، وأنتَ يا محمد ستذكر رفع الله ذِكْرك في الناس عامة، فذِكْرُ النبي في كل عيد للمسلمين وفي صلواتهم وفي الأذان والإقامة وعند خِطبة النساء وفي كلّ موطن [١]، ولكن توجد رواية أخرى، "ذَكَرها عكرمة عن ابنِ عَبَّاس قال: كان أَهلُ الجاهِلِيَّةِ إذا مات ابنُ الرَّجُلِ قالوا: بُتِرَ فُلَانٌ، فلمَّا ماتَ إبراهيمُ ابنُ النَّبيِّ عليه الصلاة والسلام خرجَ أبو جهل إلى أصحابه، فقال: بُتِر محمد" [٢].

وكذلك ذُكِرَ استهزاء الأقوام بالرسل في هذه الآيات: ﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ الرعد: ٣٢، إنَّ الله أملى للكافرين المكذبين المستهزئين بالرسل، لكنه عاقبهم عقابًا شديدًا فيما بعد؛ لإصرارهم وعنادهم، والله لا ينسى رسله وأنبياءه الكرام، انظر يوسف: ١١٠، فالنصر من الله قد أتى للأنبياء والمرسلين، وكل مجرم سينال عقابه، يقول الله تعالى عن عقابه للمجرمين: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ الروم: ٤٧.

ومن نصر الله لأنبيائه وإنزال عقابه على أعدائهم، قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾ هود: ٨٢- ٨٣، ومن عقاب الله لهؤلاء قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴾ هود: ١٠٢، ويقول الله تعالى عن عقابه لقوم لوط عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ الأعراف: ٨٤، فالعقاب لن يكون هيّنا ولن يتصوره عقل، وهذا جزاء أفعالهم وأقوالهم، بل

---

[١] مقاتل، أبو الحسن بن سليمان بن بشير (ت:١٥٠هـ)، (٢٠٠٢م)، **تفسير مقاتل بن سليمان**، ط١، تحقيق عبد الله شحاته، دار إحياء التراث: بيروت، ٨٨٠/٤.

[٢] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري، (ت:٦٧١هـ)، (١٩٦٤م)، **الجامع لأحكام القرآن**، ط٢، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية: القاهرة، ٢٢٢/٢٠، وانظر الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت:١٢٥٠هـ)، (١٩٩٣م)، **فتح القدير**، ط١، دار ابن كثير: دمشق، ودار الكلم الطيب: بيروت، ٦١٥/٥.

يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ الأنعام: ١٣٥.

ومن إعجاز القرآن ولطائفه، قوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ النمل: ٦٩، نلاحظ أنَّ كلمة انظروا قد ارتبطت فيها الفاء، وكُلّما وردت هذه الجملة في القرآن ارتبطت الفاء بكلمة انظروا [١]، إلا في موضع واحد جاء قبلها الحرف ثُمّ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ الأنعام: ١١، وهذا له دلالة، إذْ "جعل النظر مسببا السير في قوله: فانظروا، فكأنه قيل: سيروا لأجل النظر، ولا تسيروا سير الغافلين، وأما قوله: سيروا في الأرض ثم انظروا، فمعناه إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من المنافع وإيجاب النظر في آثار الهالكين، ونَبّه على ذلك بثُمّ؛ لتباعد ما بين الواجب والمباح" [٢]، وأمّا قوله "سيروا في الأرض فانظروا"، فيدلّ على أنَّ السير يؤدي إلى النظر فيقع بوقوعه وليس كذلك ثُمّ، ألا ترى أنَّ الفاء وقعت في الجزاء، ولم تقع فيه ثمّ، وسائر الأماكن التي دخلتها الفاء عَلِقَ فيها وقوع النظر بوقوع السير؛ لأنّه لم يتقدم الآية ما يحدو على السير الذي حدا عليه فيما قبل هذه الآية [٣]، والآية الحادية عشرة من سورة الأنعام فيها حديث عن الاتعاظ بمَن سبق مِن المكذبين وأنَّهم قد نالوا عقابًا أليمًا، وكُرِّرَت هذه الآية؛ فجاءت في سورة النحل الآية السادسة والثلاثين، وفي سورة الزخرف الآية الخامسة والعشرين، وهذا يدلّ على أنَّ الاتعاظ بالسابقين أمر مهم يجب أنْ نلتفت إليه من حين لآخر.

وأمّا مكذبو الرسلِ فقد خسروا خُسرانًا مبينًا، يقول الله تعالى:﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ الأنعام: ٣٤، فهنا خطاب من الله

---

[١] انظر هذه الآيات: يوسف ١٠٩، العنكبوت ٢٠، الروم ٩، الروم ٤٢، النحل ٣٦، فاطر ٤٤، غافر ٢١، غافر ٨٢، محمد ١٠.

[٢] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت:٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٠/٢.

[٣] انظر الإسكافي، **درّة التنزيل وغرّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز**، ص١١١- ١١٢.

لنبيه الكريم، بأنَّ رُسُلا كانوا قبلك يا محمد كُذِّبوا، لكنهم صبروا ولم يتوانَوا عن الدعوة، وألقوا بتكذيب أقوامهم خلف ظهورهم، وقامُوا بتحمّل الأذى، حتى جاء نصر الله تعالى، وقد قصَّ الله على نبيه العديد من قصص الأنبياء والمرسلين وبيّن له إيقاع العقاب الوخيم بكل مكذّب معاند متكبّر، فمن الأقوام التي كَذّبت الرسل: قوم نوح وهود وثمود ولوط وموسى وصالح، وذلك في هذه الآيات: الشعراء ١٠٥، الشعراء ١٢٣، الشعراء ١٤١، الشعراء ١٦٠، ص ١٢، ق ١٢، الحاقة ٤، القمر ١٨، القمر ٢٣، القمر ٣٣، الشمس ١١، لكنّ رسل الله وأنبياءه صبروا على ذلك صبرا جميلا، وكذلك ذَكَرَ الله في القرآن الكريم آيات تدل على أنَّ تكذيبَ الرسل أمرٌ ليس بالجديد على نبينا الكريم، فقد كُذِّبَتْ رُسُلٌ آخرون، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ الأنعام: ٣٤، في هذه الآية تسلية للنبي، وإرشاد له إلى سُنَّتِهِ تعالى في الرُّسُلِ والأُممِ، أو هي تذكيرٌ بهذهِ السُّنَّةِ، وما تتضَمَّنُهُ مِن حُسْنِ الأُسوة، إِذْ لم تَكُنْ هذه الآيَةُ أوَّلَ ما نزلَ في هذا المعنى، وقد صرَّحَ بوجوب هذا الصَّبرِ عليه بقولِهِ: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ الأحقاف: ٣٥، وقد ثبتَ بالتَّجاربِ أنَّ التَّأسِّي يُهَوِّنُ المُصَابَ ويفيد شيئا من السَّلوة [١] ، ولولا أَنَّ دفعَ الأسى بالأَسَى مِنْ مُقتضى الطَّبع البشَرِيِّ لمَا ظهرت حكمة تكرار التَّسلية بأمثالِ الآية السابقة، فإِنَّ النَّبِيَّ الكريم كان يتلو القرآنَ في الصَّلاة، فربَّما يقرأ السُّورة ولا يعودُ إليها إلا بعد أَيَّام يفرغ فيها من قراءة ما نزلَ من سائر السُّوَرِ، فاحتِيجَ إلى تكرار تسليته وأمره بالصَّبرِ المرَّة بعد المرَّة ؛ لأنَّ الحزن والأَسف اللذينِ كانا يعرضان لهُ من شأنهما أن يتكرّرَا بتكَرُّرِ سببهما وبتذكّره حتى عند تلاوة الآيات الواردة في بيان حال الكُفَّار ومحاجَّتهم وإنذارهم [٢].

ويذكر تعالى في غير آية تكذيب الأقوام للرسل واستهزاءهم، كما في: الأنعام: ٣٣، سبأ: ٣٤، وفاطر: ٤، فاطر: ٢٥، الحجر: ١١.

---

[١] قالتِ الخَنسَاءُ:

ولولا كَثرَةُ البَاكِينَ حَــولِي ... على إخوَانِهِم لَقَتَلتُ نفسِي

وما يَبكُونَ مِثْلَ أَخِي ولَكِن ... أُعَزِّي النَّفسَ عنهُ بِالتَّأَسِّـي

انظر الخنساء، تماضر بنت عمرو (ت:٢٤هـ)، (١٩٨٨م)، **ديوان الخنساء بشرح ثعلب**، ط١، تحقيق أنور أبو سويلم، دار عمّار للنشر والتوزيع: عمّان، ص ٣٢٦-٣٢٧.

[٢] رضا، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، ٣١٥/٧.

ويقول الله تعالى لنبيه الكريم: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ غافر: ٧٨، فقصص الأنبياء الذين عانَوا من تعنّت قومهم وتكذيبهم كثيرة، إلا أن الله لم يُطلع النبي ومن ثَمَّ الناس على تلك القصص كلّها- لحكمة أرادها-، بل إنّه أخبرنا عن خمسة وعشرين نبيّا في القرآن، وأمّا قصص الآخَرين- وعددهم في عِلْمِ الغيب- فالله وحده يعلمها، "وتكررت بعض القصص للبرهنة على أنَّ القرآن من عند الله، فكلام المخلوقين مهما نالوا من قوة البلاغة وسحر البيان، إذا تكرر حصل مع تكراره هجنة في اللفظ، وملّت الآذان سماعه، أمّا القرآن فكلما تكرر ازداد حلاوة في الأسماع، وتأثيرا في القلوب، فباينَ بذلك كلام المخلوقين" [1].

ومن استمع إلى النبي الكريم واتّبع الحق واجتنب الباطل وخشي الرحمن بالسرّ والعلن، فإنَّ له مغفرةً كبيرةً من الله وأجرًا عظيمًا، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ يس: ١١، لكنه بالمقابل يعذب المكذبين المُصرِّين على الكفر والنِّفاق، يقول الله تعالى:﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ الحجر:٥٠، ويقول الله تعالى مخاطبا النبي بتوصيل رسالة للمكذبين: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ الأنعام: ١١.

كما يجب الانتباه إلى أمر مهم، ألا وهو أنَّ الله هو الهادي وهو الذي ينصر أنبياءه وعباده المؤمنين، فهو الضامن لذلك، يقول الله تعالى:﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ الفرقان: ٣١، وقد ذكر الله تعالى في سورة العنكبوت بعض أنواع العذاب التي وقعت على الأمم المكذبة السابقة، فقال: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ العنكبوت: ٤٠، ويقول الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا

---

[1] شيخون، محمود السيد، (١٩٨٣م)، **أسرار التكرار في لغة القرآن**، ط ١، مكتبة الكليات الأزهرية: القاهرة، ص ٨٣.

مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ الأنعام: ٦٥، هذه أدلة على قدرة الله على تلقين المكذبين الكافرين دروسًا متنوعةً كتلك التي أصابت الأمم المكذبة السابقة.

ونجد في سورة الحاقة مثالا على دفاع رب العالمين عن نبيّه الأمين، وتثبيته، يقول الله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ الحاقة: ٣٨- ٤٢، "فللسائل أنْ يسأل عن الوجه في نفي الإيمان عنهم عقب تنزيه ما جاء به النبي من القرآن عن أنْ يكون شِعْرًا، ونفي التذكر عنهم عقب تنزيهه عن أنْ يكون من قبيل قول الكهان؟ والجواب عن ذلك، والله أعلم: أنَّ نفي كون القرآن من أقوال الكهنة أمر لا يحتاج إلى كبير نظر ولا استعمال طول فكر، بل يوصل إلى ذلك بأدنى التفات، فناسب هذا نفي: التذكر، وأما تنزيهه عن إلحاقه بقبيل الشعر وما يرجع إلى نحو ذلك من أقوال الخطباء وأسجاعهم فقد توهم الجاحد الظلوم المُتعَامِي عن النظر وصرف التفكير إلى تدبره والإصغاء إلى سماعه، المترامي إلى التعلق بأدنى شبهة يستريح إليها رجوعه إلى ذلك، فناسب هذا نفي التصديق لأنّه إنّما يكون عن ركوب إلى نظر وتفكّر، فجاء كل على ما يناسب" [1]، وقيل: "نفي الصفة أبلغ من نفي الفعل، لِمَا يُوْحِي به الفعل من تقلّب وحركة، وما توحي به الصفة من ثبات وديمومة" [2]؛ ولهذا ذكر الله الصفات التي افتراها عليه الكفار، ونفاها ليكون النفي قاطعا، وهنا يقسم الله تعالى بأنَّ نبيّه الكريم لا يقول إلا الصدق، وأبعد ما يكون كلامه وكذلك القرآن الذي يتلوه عن الشعر، فالقرآن يعلو ولا يُعلى عليه، ولا يدانيه أي نصّ في الدنيا، ونبيّنا ليس كاهنا يتقوّل، ولا يذكر الخزعبلات والأباطيل التي لا تصحّ بوجه من الوجوه، بل هو الصادق المُصَدَّق الصدوق.

---

[1] الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي (ت:٧٠٨هـ)، (د.ت)، **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**، تحقيق عبد الغني الفاسي، دار الكتب العلمية: بيروت، ٤٨٢/٢.

[2] نزّال، فوز سهيل كامل، (٢٠٠٣م)، **لغة الحوار في القرآن الكريم دراسة وظيفية أسلوبية**، ط١، دار الجوهرة: عمّان، ص ٥٣.

ونبيّنا الكريم ليس من الذين ضلّوا وحادوا عن الحق والصواب، بل ينفي ربنا ذلك عنه فيقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ الأنعام: ١٥٩،، فقد أزال الغشاوة عن عيون كثيرة، فأبصرت الحق.

ويقول الله تعالى في هذه الآية: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ الزمر: ٦٥، فهنا دعوة الأنبياء للصبر والأناة وعدم الإشراك؛ حتى لا يحبط عملهم وحتى لا يكونوا من الخاسرين، "فثمّة شرط هنا، والشرط لا يقتضي جواز الوقوع" [١]، ويقول الله تعالى: ولقد أوحى إليك ربك يا محمد، كما أوحى [٢] إلى الذين من قبلك من الرسل، لئن أشركت بالله شيئا، ليبطلنّ عملك، ولا تنال به ثوابا، ولا تدرك جزاء إلا جزاء من أشرك بالله، فاحذر أنْ تشرك بالله شيئا فتهلك [٣]، "فهذا خطاب معَ نبي الله، والمُرَادُ منه غيرُهُ، وقِيلَ: هذا أَدَبٌ مِن اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ لِنَبِيِّهِ وتهديدٌ لِغيرِهِ؛ لأنَّ اللَّه تعالى عَصَمَهُ مِنَ الشِّركِ" [٤].

لكن كيف صَحَّ هذا الكَلَامُ معَ علم اللَّهِ تعالى أَنَّ رُسُلَهُ لا يُشْرِكُون ولا تُحْبَط أَعمَالُهُم؟ الجواب هو: إنَّ قولَهُ لَئِن أَشركتَ ليحبَطَنَّ عملُكَ، قضيَّةٌ شَرطِيَّةٌ، والقضِيَّةُ الشَّرطِيَّةُ لا يلزمُ مِن صدقِهَا صدق جُزأيها، أَلَا تَرَى قول سبحانه: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ الأنبياء: ٢٢، ولم يَلزَم من هذا صِدقُ القول بأَنَّ فيهما آلهة وبأَنَّهما قد فَسَدَتا، وما معنى قولِهِ ولتكُونَنّ مِن الخاسرين؟ الجوابُ: كمَا أَنَّ طاعاتِ الأنبياءِ والرُّسُل أفضلُ من طاعات غيرهم، فكذلِكَ القبائحُ الَّتي تصدُرُ عنهُم تكونُ أَقبَح، لقوله تعالى: ﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ

---

[١] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ٢٩٩/٣.

[٢] لقد أوحى الله أيضا لغير الأنبياء، فقد أوحى إلى أم موسى (القصص:٧)، وأوحى إلى الحواريين (المائدة: ١١١)، وأوحى إلى النحل (النحل:٦٨).

[٣] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ٣٢٢/٢١.

[٤] البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)**، ٩٩/٤.

ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ الإسراء: ٧٥، فكان المعنى ضِعْف الشِّرك الحاصل منهُ، وبتقديرِ حصولهِ منهُ يكونُ تأثيرُهُ في جانب غضبِ اللَّه أَقوى وأعظم [١].

وهذه قائمة بأسماء سور كريمة، والآيات التي فيها لتثبيت نبينا الكريم- صلى الله عليه وعلى آله وسلّم-: الأنعام: ١٠، ٣٣- ٣٥، ٤٢- ٤٣، ١٠٦- ١٠٧، ١٦١، يونس: ٤٢- ٤٣، ٤٦، ٦٥، ٩٤، ١٠٩، هود: ١٢، ٤٩، ١١٥، ١٢٠، الحجر: ١٠- ١٣، ٩٤، ٩٧- ٩٩، النحل: ٣٧، ٦٣، ١٢٧، الإسراء: ١٠٥، الكهف: ٦، ٢٨، طه: ١- ٣، ١٣٠، الأنبياء: ٤١، المؤمنون: ٧٢- ٧٣، الفرقان: ٥٦- ٥٨، الشعراء: ٣، ٢١٧- ٢١٩، النمل: ٧٠، ٧٩- ٨١، القصص: ٤٤- ٤٥، ٥٦، الروم: ٤٧، ٥٢- ٥٣، ٦٠، لقمان: ١٧، ٢٣، السجدة: ٣٠، سبأ: ٢٨، ٤٧، فاطر: ٤، ٨، ٢٢- ٢٦، يس: ١- ٤، ٣٠، ٧٦، الصافات: ٧١- ٧٣، ١٧٤- ١٧٥، ص: ١٧، غافر: ٢١، ٥٥، ٧٧، ٨٢، فصلت: ٤٣، الشورى: ٥٢- ٥٣، الزخرف: ٦- ٨، ٤١- ٤٢، الأحقاف: ٣٥، ق: ٣٩- ٤٠، الذاريات: ٥٤- ٥٥، الطور: ٤٥- ٤٦، ٤٨- ٤٩، النجم: ٢٩- ٣٠، القلم: ٤٨- ٤٩، المعارج: ٥- ٧، المزمل ٩- ١٠، المدثر: ٧ الإنسان: ٢٤، البروج: ١٢، الفجر: ٦، ١٣- ١٤.

وعندما نقرأ القرآن نجد العديد من الآيات التي فيها إنكار لدعوة النبي الكريم، منها: الأنعام: ٤، ١٩، ٢٦، ٣٧، ٥٠، ٥٧، ٥٨، ١٠٩، ١١١، ١٣٦-١٤٠، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، الأعراف: ٢٨، ١٨٤، ١٨٨، ٢٠٣، يونس: ٢، ١٥، ١٦، ٢٠، ٣٧-٣٩، ٥٠-٥٢، ٥٩، هود: ٥، ٨، ١٣، ١٤، ٣٥، الحجر: ٦، ٧، النحل: ١٠١-١٠٣، الإسراء: ٤٧، ٨٨، ٩٠-٩٦، الأنبياء: ٥، ٣٦، المؤمنون: ٦٩، ٧٠، الفرقان: ٤، ٥، ٧، ٨، ١١، ٢١، ٣٢، ٤١، ٤٣، الشعراء: ٥، ١٨٧، ٢٠٤،القصص: ٤٧-٥٠، العنكبوت: ٥٠، ٥٣، ٥٤، لقمان: ٢١، السجدة: ٣، سبأ: ٨، ٣١، ٤٣، فاطر: ٤٢، الصافات: ١٤-١٥، ٣٥-٣٦، ١٥١-١٥٩، ١٧٦، ص: ٤-٧، فصلت: ٢٦، ٤٤، الشورى: ٢٤، الزخرف: ٣٠-٣١، الأحقاف: ٧، الذاريات: ٥٢، الطور: ٣٠، ٣٣، القلم: ٥١، المدثر: ٢٤.

ونختم صفاته الكريمة بقول سيدتنا عائشة- رضي الله عنها-:" كان خُلُقه القرآن" [٢].

---

[١] انظر الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ٤٧٢/٢٧.

[٢] مقاتل، **تفسير مقاتل بن سليمان**، ٧/٥، وانظر الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ٥٢٩/٢٣، وانظر ابن عاشور، محمد الطاهر، (١٩٨٤م)، **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير والتنوير)**، (د.ط)، الدار التونسية للنشر: تونس، ٤٠/١.

وقيل: موجبات محبة الله عشرة في الكتاب العزيز، هي [١]:

التوبة والتطهير كما في سورة البقرة: ٢٢٢، التوكل كما في سورة آل عمران: ١٥٩

الصبر كما في سورة آل عمران: ١٤٦، التقوى كما في سورة التوبة: ٧

الإحسان كما في سورة آل عمران: ١٣٤، الإقساط كما في سورة المائدة: ٤٢ [٢]

الجهاد كما في سورة الصف: ٤، الطهارة كما في سورة التوبة: ١٠٨

اتباع النبي، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ آل عمران: ٣١، وهذه الآية مفتاح مهم يمسّ الموضوع الذي نحن بصدده، ويدلّ على أنَّ محبة النبي من محبة الله، وإنْ تمَّت المحبة للنبي فإنَّ الله سيحبنا ويغفر لنا الذنوب لأنّه غفور رحيم عظيم يتجاوز عن الذنوب مهما كانت.

ونختم هذا الأمر بقوله تعالى مخاطبا نبيه الكريم لتحذير الكافرين: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ الانشقاق: ٢٤، وانظر الجاثية: ٨، ولقمان: ٧، وإنْ سأل سائل عن قوله تعالى: فبشّرهم بعذاب أليم، كيف يكون الأمر كذلك؟ فالبشارة تكون للأمر الحسن لا السيء، والإجابة: هي أنَّ رب العالمين أرادَ أنْ يستهزئ بهؤلاء الكفار ويتهكّم بهم، ولهذا قال الله تعالى في آيات أخرى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ الجن: ٢٣.

---

[١] انظر عاشور، قاسم، (٢٠٠١م)، **لطائف قرآنية في ١٠٠٠ سؤال وجواب**، ط١، دار طويق للنشر والتوزيع: الرياض، ص٤٧٠- ٤٧١.

[٢] ثمّة فرق بين القاسطين والمقسطين، فالفئة الأولى تعني الذين يظلمون الناس، وأما الأخرى فتعني الأشخاص أصحاب العدل، فالله يحب العادلين لا الظالمين، ونجد في **لسان العرب** في مادة قسط: المُقسِط: هو العادل، يقال: أقسط يقسط، فهو مقسط إذا عدل، وقسط يقسط، فهو قاسِط إذا جار، فكأن الهمزة في أقسط للسلب.

عتابه:

ومن الأمور الأخرى التي فيها خطاب لنبينا الكريم، عتاب الله له، وهذا العتاب يُعدُّ من الأمور الأخرى التي تؤكد أنَّ القرآن من رب العالمين، أوحاه إلى النبي الأميّ الأمين، إذْ كيف يعاتب شخصٌ نفسه عند كتابته لمذكرات أو قصص أو ما شابه ذلك مما حدث معه في الحياة؟ بل كيف لا يذكر أسماء أولاده وأزواجه وأصحابه المقربين منه في القرآن؟ [١]، ولهذه الأسباب وغيرها نؤمن بأنَّ القرآن من لدن حكيم خبير.

ونحن نجد غير آية في القرآن تحدّثت عن عتاب الله لنبيه، **"فقد كان العتاب على أفعال فعلها ببشريته ولم يقرّه الله عليها بنبوته"** [٢]، منها قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأنعام: ٥٢، في هذه الآية قد يظن بعض الناس أنَّ عتاب الله لنبيه كان لتقصير، ونرد على هؤلاء: ليفهم الإنسان منكم هذا اللون من العتاب على وجهه الحقيقي، فثمّة فرق بين عتاب لمصلحة المُعاتَب، وعتاب للومه وتوبيخه؛ لأنَّ المُعاتَب خالف وعصى، ونضرب هذا المَثَل- ولله المَثَل الأعلى- أنتَ في يومك العادي إنْ نظرت إلى ابنك فوجدته يلعب ولا يذهب إلى المدرسة ولا يقرأ دروسه، فأنت تعاتبه وتؤنبه لأنّه خالف المطلوب منه، ولكنك إنْ وجدت ابنك يضع كل طاقته ويصرف أوقات راحته ويقضيها في

---

[١] فنحن لا نجد من صحابة نبي الله إلا اسم زيد بن حارثة في القرآن كلّه وذلك في سورة الأحزاب الآية ٣٧، ولا نجد أبا بكر أو عمر أو غيرهما، وإنْ بحثنا عن الكُنَى فإننا نجد كُنية واحدة هي لأبي لهب، وكانت في مقام ذمّ لا حَمْد، كما نجد من أسماء النساء اسم مريم عليها الصلاة والسلام وهي ليست من زوجاته أو بناته، إذْ الأولى-لو كان القرآن من عند محمد- أنْ يذكر خديجة التي ساندته في دعوته وآمنت به، أو يذكر عائشة بنت الصديق التي أحبها حُبّا عظيما، أبعد هذا يُشك في أنَّ القرآن من عند الله؟ ويقول سبحانه:﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾يونس: ١٥، فالنبي لا يمكن له أن يأتي بقرآن جديد أو يُبدّل فيه ما لا يروقهم، إنه نبي الهدى الذي يخشى الله ولا يعصيه.

[٢] الهاشمي، محمد علي، (١٩٨٣م)، **شخصية الرسول ودعوته في القرآن الكريم**، ط٣، عالم الكتاب: بيروت، ص ١٨.

المذاكرة، فأنت تطلب منه ألاّ يكلف نفسه كل هذا العناء، وتخطف منه الكتاب وتقول له: اذهب لتستريح، أنتَ في هذه الحالة تلومه لمصلحته هو، فكأن اللوم والعتاب له لا عليه، إذن قد حُلّ هذا الإشكال الذي يقولون فيه: إنَّ الله كثيرا ما عاتب نبيه، ونوضح أنَّ الحق في عتابه كان له لا عليه؛ لأنَّ النبي وجد طريق الإيمان برسالته يسيرا سهلا بين الضعفاء، ولكنه شغل نفسه وأجهدها رجاء أنْ يتذوق المستكبرون المتجبرون حلاوة الإيمان [١]، وجاء في ذلك قول الحق: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ ﴾ عبس: ١- ١١.

"فهذا من عتاب الله لنبيه، والذي لم يُوجهه رأسا إليه، بل افتتحه بضمير الغيبة، يحكي به المشهد ويصير به الواقع، مع ابن أم مكتوم الذي أتى للنبي في وقت كان يجتمع فيه مع قريش ويرجو إيمانهم وانتشار الإسلام في جميع العرب، لكنه تولّى عنه" [٢]، ولو طرحنا سؤالا هنا، ألا وهو: العتاب هنا لصالح مَن؟ إنه عتاب لصالح نبي الله.

وحين يقول الحق سبحانه وتعالى لنبيه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ التحريم: ١، الآية تشير إلى أمر أغضب النبي، فامتنع عن بعض ما ترغب فيه النفس البشرية من أمور حلَّلها الله، والعتاب هنا أيضا لصالح نبي الله، ولِشِدّة حرصه على هداية القوم أجمعين، كان يحب أنْ يعامل الطغاة بشيء من اللين ليؤلف بين قلوبهم، ولكن الطغاة لا يريدون أنْ يتساوَوا معَ المستضعفين، فقد مرّ الملأ من قريش ووجدوا عند نبي الله صحابة مستضعفين كخبّاب بن الأرت وصهيب الرومي وبلال بن رباح وعمار بن ياسر وسلمان الفارسي، فقالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك؟ أهؤلاء الذين منَّ الله عليهم من بيننا؟ أنحن نصير تبعا كهؤلاء؟ اطردهم فلعلك إنْ طردتهم أنْ نتَّبعك [٣]، ونلاحظ أنَّ الله خاطب نبيه بلفظ الرسول عندما عاتبه ولم يخاطبه بلفظ النبي، انظر كذلك الأنفال: ٦٧.

---

[١] الشعراوي، محمد متولي، (١٩٩٧م)، **تفسير الشعراوي**، (د.ط)، مطابع أخبار اليوم: القاهرة، ٣٦٤٧/٦.

[٢] الصالح، **مباحث في علوم القرآن**، ص ٣٦.

[٣] انظر الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ٣٦٤٧/٦-٣٦٤٨.

وبعد عتاب الله لنبيه على عبوسه في وجه عبد الله بن أم مكتوم بسبب انشغاله مع رؤساء قريش، سرّى عنه بقوله في سورة عبس: ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ١١ ﴾ أي لا تفعل مثل ذلك، وعرّفه بأنَّ الهداية لا تحتاج لجهود ومحاولات كثيرة، وأنَّ هذا التأديب الذي أوحى إليه به كان لإجلال الفقراء وعدم الالتفات إلى أهل الدنيا، وهذا القرآن مُجرّد تذكرة لتنبيه الغافلين، فمن رغب فيها، اتّعظ بها وحفظها وعمل بموجبها، وهي مودعة في صحف شريفة القَدْر[١]، وجاء في التفسير: أنَّ النبيّ الكريم لحقه، وأمر بطلبه وكان بعد ذلك يبرّه ويكرمه، فاستخلفه على المدينة مرتين، وقيل: إن النبي لم يعبس بعد هذا في وجه فقير قطّ ولم يُعْرِض عنه، ويقال: في الخطاب لطف، وهو أنه لم يواجهه، بل قاله على الكناية [٢]، "وكان نبينا الكريم إذا رَآهُ قال: مرحبا بِمَنْ عاتبني فيهِ ربي، ويقولُ لهُ: هل لكَ مِنْ حاجةٍ؟" [٣].

فهذا عتاب الحبيب لحبيبه، والعتاب بينهما يفتح القلوب للخير، والأفئدة للصواب والعقول للحق، دون استثارة أو حنق، والعبوس هنا لا يعني الفظاظة ولا قسوة القلب، فالله تعالى يقول: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾ آل عمران: ١٥٩، وحاشاه أنْ يكون فظّا بل إنّه نِعْمَ النبي، ونِعْمَ الرجل الذي اصطفاه الله على العالمين ليكون بشيرا ونذيرا ورحمة للعالمين، وما هذا العتاب إلا لأنّه يوجد أمر كان أَوْلَى من غيره، لكنَّ النبي لم يقم به كقيامه بالعبوس وعدم الانتباه لابن أمّ مكتوم، وفي هذا العتاب لا نجد حرجا للنبي أو جرحا لمشاعره، وما العتاب هنا إلا تذكرة.

ومن اللطائف التي تدل على إعجاز القرآن، أنَّ الله قال: جاء ولم يقل: أتى عن ابن أم مكتوم، وهذا له دلالة مهمة يجب التريث عندها قليلا قبل شدّ الرحال إلى الآيات الأخرى التي فيها عتاب لنبينا الكريم، فكلمة جاء فيها صعوبة ومشقة وأما أتى ففيها يُسر، وعبد الله ابن أم مكتوم جاء إلى النبي بعد مشقة كبيرة، كيف لا؟ وهو رجل ضرير يحتاج إلى جهد كبير حتى يصل إلى مبتغاه، ومن الأمثلة الأخرى على كلمة جاء قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ

---

[١] الزحيلي، وهبة بن مصطفى، (١٩٩٧م)، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ط٢، دار الفكر المعاصر: دمشق، ٦٥/٣٠.

[٢] انظر القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت:٤٦٥هـ)، (د.ت)، **لطائف الإشارات (تفسير القشيري)**، ط٣، تحقيق إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، ٦٨٧/٣-٦٨٨.

[٣] البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)**، ٢١٠/٥، وانظر القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ٢١٣/١٩، وانظر الصابوني، محمد علي، (١٩٩٧م)، **صفوة التفاسير**، ط١، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع: القاهرة، ٤٩٤/٣.

نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ النصر: ١، فالنصر لا يأتي بسهولة أبدا، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ يس: ٢٠، فالمجيء فيه مشقة بل إنَّ الرجل جاء من مكان بعيد تسبب في إجهاده، وقيل: "كلمة جاء تُسْنَد غالبا إلى الجواهر والأعيان، كقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ﴾ يوسف: ٧٢، وقوله تعالى: ﴿ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَ ﴾ الفجر: ٢٣، بينما تسند كلمة أتى إلى المعاني والأزمان" [١]، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا ﴾ يونس: ٢٤، وكلمة أتى لها من الظلال والإيحاءات ما هو سلبي، ويقال: أتى عليه أي قضى عليه، يقول الله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴾الإنسان: ١، "فالإعجاز القرآني لا ينتهي عند حدّ، وإنما تتجدد آفاقه عبر التاريخ، وتتسع باتساع علمنا بالحياة والطبيعة والنفس ومذاهب فن القول" [٢].

ومن الآيات التي عاتب الله فيها نبيه، قوله: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ﴿٧٣﴾ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ﴿٧٥﴾ ﴾ الإسراء: ٧٣-٧٥، وقد ذُكِر أنَّ القرشيين خَلَوا برسول الله ذات ليلة يكلمونه، وكان من جملة أقوالهم أنهم قالوا: إنك تأتي بشيء لا يأتي به أحد من الناس، وأنت سيدنا وابن سيدنا، فما زالوا يكلّمونه حتى كاد أنْ يقاربهم، ثم منعه الله وعصمه من ذلك، فقال:﴿ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ

---

[١] عباس، فضل وسناء،(٢٠٠٧م)، **إعجاز القرآن الكريم**، ط٧، دار النفائس للنشر والتوزيع: عمّان، ص ١٦٦

[٢] انظر الشرقاوي، عفّت، (١٩٨١م)، **بلاغة العطف في القرآن الكريم دراسة أسلوبية**، (د.ط)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر: بيروت، ص ١٥- ١٦، وفن القول المقصود به (البلاغة)، وكان الأستاذ أمين الخولي يفضل هذه التسمية على البلاغة.

﴿ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ وقيل: إنَّ بني ثقيف قالوا للنبيّ الكريم: يا نبي الله أجِّلنا سنة حتى يُهْدَى لآلهتنا، فإذا قبضنا الذي يُهْدى لآلهتنا أخذناه، ثم أسلمنا وكسرنا الآلهة، فهمَّ نبي الله أنْ يعطيهم وأنْ يؤجِّلهم، والصواب من القول في ذلك أنْ يقال: إنَّ الله تعالى أخبر عن نبيّه أنَّ المشركين كادوا أنْ يفتنوه عما أوحاه الله إليه، لكن الله ثبّته، وكان النبي الكريم، يصدّ عن هؤلاء الكافرين [١].

ويجبُ على المسلم المُجَاهِدِ نفسَهُ، الرَّائِضِ بزمامِ الشَّريعةِ خُلُقهُ أَنْ يتَأَدَّبَ بأدبِ القُرآنِ في قولِهِ وفعلِهِ، ومُحاوراتِهِ، فهو عنصرُ المعارف الحقِيقِيَّةِ، وروضةُ الآدَابِ الدِّينِيَّةِ، والدُّنيَوِيَّةِ، ولِيَتَأَمَّلَ هذهِ المُلاطفةَ العجيبةَ في السُّؤالِ مِن ربِّ الأربابِ، المنعم على الكُلِّ، المُستَغنِي عن الجميعِ، ويستشيرَ ما فيها مِنَ الفوائدِ، وكيفَ ابتدأ بالإكرام قبل العتبِ، وآنَسَ بالعفوِ قبلَ ذكر الذَّنبِ إِنْ كانَ ثَمّ ذَنْبٌ، وهذا تعقيب على قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ الإسراء: ٧٤ [٢]، وقيل عن جزئية مهمة في الآية ٧٤ من سورة الإسراء: "إذا دخل الفعل كاد على جملة مثبتة دلّت على عدم وقوعها، وإذا دخلت على جملة منفية دلّت على وقوعها، أي أنْ نفيها إثبات، وإثباتها نفي" [٣]، وبمعنى آخر: لم يركن النبي لهؤلاء.

وقيل: عاتبَ الله تعالى الأنبياء- عليهِمُ السَّلَامُ- بعدَ الزلَّاتِ، وعاتبَ نَبِيَّنَا قبْلَ وقوعِهِ؛ لِيَكُونَ بذلكَ أَشَدَّ انتهاء، ومحافظة لشرائطِ المحبَّةِ، وهذه غايةُ العنايةِ، ثمَّ انظرْ كيفَ بَدَأ بِثَبَاتِهِ، وسلامتهِ قبلَ ذِكْرِ ما عتبَهُ عليهِ، وخِيفَ أَنْ يركنَ إليهِ، ففي عتبه براءتهُ، وفي طَيِّ تَخويفِهِ تأمينُهُ وكرامَتُهُ، ومثلهُ قولُهُ تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ الأنعام: ٣٣ [٤]، وهذه الآية الكريمة كان سبب نزولها أنَّ الأخنس خلا بأبي جهل، فقال: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد، أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس ههنا من قريش أحد غيري وغيرك

[١] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ٥٠٧/١٧.

[٢] الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل (ت:٣١١هـ)، (١٩٨٨م)، **معاني القرآن وإعرابه**، ط١، تحقيق عبد الجليل شلبي، عالم الكتاب: بيروت، ٢٥٤/٣.

[٣] الخالدي، **لطائف قرآنية**، ص١٣٧.

[٤] الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، ٢٥٤/٣، وانظر عياض، أبو الفضل بن موسى بن عياض بن عمرون السبتي، (ت:٥٤٤هـ)، (١٩٨٧م)، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، ط٢، دار الفيحاء: عمان، ٨١/١-٨٢.

يسمع كلامنا، فقال أبو جهل: ويحك، والله إنَّ محمدا لصادق، وما كذب محمد قطّ، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟ [١].

وفي هذه الآية منزع لطيفُ المأْخَذِ مِن تسليتِهِ تعالى لهُ، وإلطافِهِ في القولِ بأَن قَرَّرَ عندهُ أَنَّهُ صَادِقٌ عِندَهم، وأَنَّهُم غيرُ مُكذِّبينَ لهُ، مُعتَرِفُونَ بِصِدقِهِ قولا واعتِقادا، وقد كانُوا يُسَمُّونَهُ قَبلَ النُّبُوَّةِ الأَمين، فَدَفَعَ بهذا التَّقريرِ ارْتماضَ نَفسِهِ بِسِمَةِ الكذبِ ثمَّ جعلَ الذَّمَّ لهم بتسمِيتِهِم: جاحِدِينَ ظالمِينَ، فقال الله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴾، وحاشاه من هذا الوصم، وطوقهم بالمعاندةِ بِتَكذِيبِ الآيَاتِ حقيقَة الظُّلْمِ، إذْ الجحدُ إنَّما يكونُ مِمَّن علمَ الشّيء ثمَّ أَنكرهُ، كقوله تعالى: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗا ﴾ النمل: ١٤، ثمَّ عَزَّاهُ وآنَسَهُ بما ذكرَهُ عمَّن قبلَهُ ووعده بالنصر بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ ﴾، فَمَنْ قرَأَ الآية ﴿ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ بالتَّخفِيفِ، فمعناهُ لا يجدونكَ كاذبا، وقالَ الفَرَّاءُ والكسائيُّ: لا يقولون إنَّكَ كاذبٌ، وقيلَ: لا يحتجُّونَ على كذبكَ ولا يُثبتُونَهُ، ومن قرأَ بالتَّشديدِ، فمعناهُ لا ينسبونكَ إلى الكذبِ، وقيلَ: لا يعتقدون كذبَكَ [٢]، فمهما فعل الكفار فهم لن يقفوا في وجه الحق الأبلج، بل إنهم لن يقوَوا على ذلك، ومهما حاولوا فالفشل حليفهم في كل زمان ومكان، والنجاح أبعد ما يكون عن أيديهم التي سيَعَضّونها ندما على ما فعلوا وقالوا.

ومن الكلام المهم عن العِتاب: وأنت لو نظرتَ في هذه الذّنوب التي رفع العتاب عليها لوجدتها تنحصر في شيء واحد، وهو أنه عليه السلام كان إذا ترجّح بين أمرين اختار أقربهما إلى رحمة أهله وهداية قومه وتأليف خصمه، وأبعدهما عن الغلظة والجفاء، وعن إثارة الشبهة في دين الله، ولم يكن بين يديه نَصّ فخالفه كفاحا، أو جاوزه خطأ ونسيانا، بل إنه مجتهدٌ بذل وسعه في النظر، ورأى نفسه مخيرا فتخير، هَبْه مجتهدا أخطأ باختيار خلاف الأفضل، أليس معذورا ومأجورا؟ على أنَّ الذي اختاره كان هو خير ما يختاره ذو حكمة بشرية، وإنما نبّهَه القرآن إلى ما هو أرجح في ميزان الحكمة الإلهية، هل ترى في ذلك ذنبا يستوجب عند العقل هذا التأنيب والتثريب؟ أم هو مقام الربوبية ومقام العبودية، وسنة العروج بالحبيب في معارج التعليم والتأديب؟ عندما توفي عبد الله بن أُبَيّ كبير المنافقين، كفّنه النبي في ثوبه، وأراد أن يستغفر له ويصلي عليه، فقال عمر- رضي الله عنه-: أتصلي

---

[١] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ٣٣٣/١١، وانظر ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ٢٥٢/٣.
[٢] انظر عياض، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، ٨٢/١-٨٤.

عليه وقد نهاك ربك؟ فقال: إنما خيّرني ربي، فقال[١]: ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ التوبة: ٨٠، وسأزيده على السبعين، وصلّى عليه، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ التوبة: ٨٤، فَتَرَكَ الصلاة عليهم.

وإنْ نظرنا في القرآن الكريم إلى عتاب الله لنبيه، وجدنا أكثر العتاب في السور المدنية، فقد بلغ عدد العتاب فيه ثماني مرات، يقول صلاح الخالدي: عاتبَ الله نبيه الكريم في سورة النساء في شأن طُعْمة بن أُبَيْرق السارق المنافق، الذي لامَ النبي من أجْلِه وأَجْلِ قومه مَنْ اتّهمه بالسرقة، وفي سورة الأنفال في شأن أسرى بدر، وفي سورة التوبة في شأن المتخلفين عن غزوة تبوك الذين أَذِنَ لهم بالقعود، وفي السورة ذاتها لصلاة النبي على زعيم المنافقين عبد الله بن أُبيّ، وفي سورة الحج، وفي سورة الأحزاب، وفي سورة التحريم؛ لتحريمه الحلال على نفسه؛ مرضاة لأزواجه، وفي السورة ذاتها؛ لاعتزاله نساءه، أمّا عتاب الله لنبيه في السور المكية فقد بلغ أربع مرات، في السور الآتية: الأنعام، الإسراء، الكهف، عبس، وهذه أشهر مواقف العتاب في القرآن [٢].

---

[١] انظر دراز، محمد بن عبدالله، (٢٠٠٥م)، **النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم**، (د.ط)، دار القلم للنشر والتوزيع: الكويت، ص٥٥-٥٦.
[٢] انظر الخالدي، صلاح عبد الفتاح، (٢٠٠٢م)، **عتاب الرسول في القرآن، تحليل وتوجيه**، دار القلم: دمشق، ص ٧-٨.

ثانيا: خطاب النبي أثناء خطابه للمؤمنين

إنَّ خطاب الله لنبيه قد يرافقه خطاب للمؤمنين، عندها يصبح الخطاب عامّا شاملا للنبي وللمؤمنين في الوقت ذاته، وهذا الخطاب قد يكون لمدح أعمالهم، أو لتحذيرهم من عذاب الله الشديد إنْ حادوا عن الصواب، واتّبعوا خطوات الشيطان، ولهذا قال الله تعالى:﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾ الأنعام:١٤٢، ولنا بالملائكة أسوة حسنة، بعد نبي الهدى في عمل الطاعات واجتناب المحرمات فهم يعبدون الله دون كلل، يقول الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ ﴾الأعراف: ٢٠٦، والمؤمن عليه أنْ يعبد ربه مُقْبِلا برغبة وعاملا برهبة وشاعرا بلذّة عند قيامه بأي نوع من أنواع العبادات.

وأنزل الله كتابا كريما على النبي الأمين، يقول الله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ ص: ٢٩، فالمسلم عليه تدبّر الآيات والاعتبار بما فيها من قصص لأقوام سابقين، وأصحاب العقول هم من سيعتبرون، وهم كذلك على ثقة بأنَّ القرآن من عند الله تعالى، نزّله على نبي الهدى، يقول سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾ الأنعام: ١١٤، وللمتدبر أجرٌ عظيمٌ، بل إنّه ينفع الآخرين بما استخرج من كنوز وجدها في كتاب الله تعالى، وقِيل عن أهمية تلاوة القرآن: "أخبرنا محمد بن كثير، قال: أخبرنا سفيان عن ليث عن ابن سابط: تفتح أبواب السماء لخمس: لنزولِ الغيثِ، ولقي الزحف، والنداء بالصلاة، والدعاء، وقراءة القرآن" [١].

ويقول سبحانه: ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ الأنعام: ١٥، وهذا الخطاب موجه للنبي وللمؤمنين أيضا، فَهُمْ إنْ عصوا الله بعد إيمانهم، فإنهم يعلمون أنَّ عذابا شديدا سيلقونه يوم القيامة، ولهذا فإنَّ التحذير السابق من الأولويات التي لا بدَّ من الأخذ بها للنجاة من عذاب العلي العظيم.

---

[١] ابن الضريس، أبو عبد الله محمد بن أيوب بن يحيى (ت:٢٩٤هـ)، (١٩٨٧م)، **فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة**، ط١، تحقيق غزوة بدير، دار الفكر: دمشق، ص ٣٨.

ويقول الله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ الأنعام: ٥١، فالنبي أمره الله بأنْ يجعل القرآن منذرا للمؤمنين الذين يخافون ربهم ويقومون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويعلمون أنه لا يوجد وليّ ولا شفيع إلّاه، ولن يشفع النبي لأمته إلا بإذن ربه، وما عليكم إلا الإيمان به وعبادته حق العبادة، يقول سبحانه: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ يونس: ٣.

ويقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ الأنعام:٥٤، هنا تبيان لمدى رحمة الله بعباده، فمن عمل سيئة عن جهالة ثُمّ تابَ إلى رب العالمين، فإنه غفور رحيم، ويقول الله تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ هود: ١١٢، بعد أنْ بيّنَ الله أمر المختلفين في التوحيد والنبوة، وذكر وعدهم ووعيدهم أمر نبيه الكريم ومن تاب معه بالاستقامة؛ وهي كلمة جامعة لكل ما يتعلق بالعلم والعمل والأخلاق الفاضلة، ومعنى الآية: الزمْ يا نبي الله محمد الصراط المستقيم الذي لا عوج فيه، واثبتْ عليه، وكذلك فَلْيَسْتَقِمْ من تابَ من الشّرك وآمن معك، ولا تنحرفوا عمّا رسم لكم بتجاوز حدوده غُلُوّا في الدين، فإنَّ الإفراط فيه كالتفريط كلاهما زيغ عن الصراط المستقيم، وفى هذا إيماء إلى وجوب اتباع النصوص في الأمور الدينية من عقائد وعبادات واجتناب الرأي وبطلان التقليد فيها [1].

ويخاطب الله نبيه الكريم قائلا: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ الإسراء: ٥٣، فهو يحذّرهم من عدوّ لدود، إنه الشيطان الرجيم، وهنا دعوة إلى أحسن القول وأطيبه، وما هذا إلا لأنَّ النبي حائز على أحاسن

---

[1] انظر المراغي، أحمد بن مصطفى (ت:١٣٧١هـ)، (١٩٤٦م)، **تفسير المراغي**، ط١، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده: مصر، ٩٠/١٢.

الأخلاق وأفضلها، "وقد قال الكلبيّ: كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلّم- بمكة، فقال الصحابة: يا نبي الله، اسمحْ لنا بقتالهم، فيقول لهم: إني لم أؤمر فيهم بشيء، فأنزل الله هذه الآية، والمعنى: قل لعبادي المؤمنين يقولوا للكافرين الكلمة التي هي أحسن، قال الحسن: يقولون له: يهديك الله، وإنَّ الشيطان هو الذي يُفْسِدُ بينهم لأنّه عدوّ للإنسان، ظاهر العداوة " [1].

كما نجد عدة أوامر من الله لنبيه الكريم وللمؤمنين، منها ما ورد في سورة المزمل: ٢٠، فالله يطلب قراءة ما تيسّر من كتابه العزيز وعدم هجره؛ لأنّه يعلم أنَّ البعض يقوم الليل والبعض الآخر مريض أو يقوم بعمل شاقّ يأخذ جُلَّ وقته، ويدعوهم إلى إقامة الصلاة والمحافظة عليها، وتأدية الزكاة، والتصدق على كل فقير أو محتاج، واستغفار الله تعالى الذي سيجزل لهم العطاء ويغفر ذنوبهم ويرحمهم، بل إنّه سيُعِدُّ لهم أجرًا عظيمًا، جزاء أعمالهم الحسنة الكريمة.

وعندما يخاطب الله نبيه الكريم والمؤمنين، فإنّه يُحذّرهم من أمور عديدة؛ حتى لا يُوصَفُوا بصفة من صفات المشركين؛ وحتى يحافظوا على إيمانهم، ومن تلك النواهي قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١، نلاحظ في هذه الآية نهيا عن أكل شيء من لحم حيوان لم يُسمَّ عليه باسم الله، والشيطان يُزيّن لضعيفي الإيمان، ويقول سبحانه: ﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ الزخرف: ٦٢، فهذا تنبيه مهم لاجتناب التسليم لوساوس الشيطان التي لا تنتهي، كما يجب الحذر من هذا العدوّ اللدود، وهل يمكن أنْ ينصحنا عدوٌّ أو يُرجو خيرا لنا؟ فما بالنا بمخرج سيدنا آدم من جِنان الرحمن؟

كما يُحذّر الله نبيه الكريم والمؤمنين من إشراك أحد في عبادته، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾ يونس: ١٠٦، "والدُّعاء يكون بمعنيين: أَحدهما بمعنى النداء، كقولك: يا زيد، و يا عَمرو، والآخر بمعنى الطّلب، وقوله:

---

[1] الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي (ت:٤٦٨هـ)، (١٩٩٤م)، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، ط١، تحقيق وتعليق الشيخ عادل عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية: بيروت، ١١٢/٣.

﴿ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ معناه: لا ينفعك إنْ دعوته، ولا يضرك إنْ تركت دعاءه، وقوله: ﴿ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ يعني: الشخص الذي وضع الدُّعَاء في غير موضعه سيكون ظالما لنفسه" [١]، فلا تعبد ما لا تنفعك عبادته ولا تضرّك، وتلك صفة كل ما يُعْبَد من دون الله، واستعانة الخلق بالخلق تبديد للوقت بلا طائل، فمن لا يملك لنفسه ضرّا ولا نفعا كيف يستعين به من هو في مثل حاله؟ وإذا استعان الضعيف بالضعيف ازداد ضعفا [٢]، وقيل في تفسير الآية ١٠٦ من سورة يونس: ولا تدعُ يا محمد من دون معبودك وخالقك شيئا لا ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يضرك في دين ولا دنيا، يعني بذلك الآلهة والأصنام، ويقول: لا تعبدها راجيا نفعها أو خائفا ضرَّها، فإنها لا تنفع ولا تضر، فإنْ فعلت ذلك، فدعوتها من دون الله ﴿ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، المشركين بالله [٣]، "فميزان الله لا يحابي، وعدله لا يَلِين" [٤]، فمن أشرك فعليه إثمه كائنا من كان، فالعبودية لله وحده، وصدق القائل: "لا تَلِيقُ العبادةُ إلا له ولا تنبغي الألوهيّة إلا لعظمتِهِ" [٥]، ويقول الله تعالى مخاطبا نبيه والمؤمنين: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ النحل:٢، ويقول: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء:٩٢، ويقول: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ العنكبوت:٥٦،ويقول:﴿ فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ﴾ النجم: ٦٢.

والله تعالى غفور رحيم يغفر لكل تائب، يقول رب العالمين مخاطبا نبيه الكريم والمسلمين: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الزمر: ٥٣، فمن عاد لله تائبا لن يذلّ أبدا، وعليه أنْ يعلم أنَّ الله يتقبّل توبته ويغفر ذنوبه جميعها، كما يقول الله تعالى: ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ

---

[١] السمعاني، **تفسير القرآن**، ٤٠٩/٢.
[٢] القشيري، **لطائف الإشارات**، ١١٩/٢.
[٣] انظر الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ٢١٨/١٥-٢١٩.
[٤] قطب، سيد، (١٩٩١م)، **في ظلال القرآن**، ط ١٧، دار الشروق: بيروت، ١٨٢٤/٣.
[٥] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ٢٦١/٦.

ﵟٱلۡمُشۡرِكِينَﵞ الروم:٣١، هنا دعوة لاتقاء رب العالمين وإقامة الصلاة وعدم مخالفة أوامر الله واجتناب نواهيه من قِبَلِ النبي والمؤمنين، حتى لا يكونوا من المشركين الخاسرين.

والله عز وجلّ يحب العبد الداعي الحامد الشاكر له على نعمه العديدة في كل زمان ومكان، يقول الله تعالى: ﵟٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًﵞ الأعراف: ٥٥.

ويقول الله تعالى: ﵟوَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡﵞ الضحى:١١، فالشاكرون لربهم يتحدثون عن نِعَمِ الله العديدة عليهم، " والعمل الصَّالحُ يعملهُ الرَّجُلُ فيحدِّث به إخوانهُ مِن أهلِ ثقاتِهِ ليستنَّ به ويعملَ مِثلهُ" [١]، وقيل: "حدِّثْ يا محمد بالنبوة، وقيل: كان المسلمون يرون من شكر النعمة أنْ يُحَدِّثُوا بها" [٢].

ونجد خطابا للناس كافّة في بعض الآيات، فالمقصود بالخطاب المؤمن والكافر في قول الله تعالى: ﵟقُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤ﵞ الإخلاص: ١- ٤، إنَّ مشركي مكة قالوا لنبي اللَّه: انعت لنا ربك، وقال عامر بن الطفيل العامري: أخبِرْنَا عن ربك أَمِنْ ذهب هو أو من فضة أو من حديد؟ وقالت اليهود: عزير ابن الله، وقد أنزل الله-عزّ وجلّ- نعته في التوراة فأخْبِرْنَا عنه يا محمد، فأنزل الله- عز وجل- في قولهم: "قُلْ" يا محمد "هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" لا شريك له، "اللَّهُ الصَّمَدُ" أي: الذي لا جوف له كجوف المخلوقين، ويُقال: الصمد السيد الذي تصمد إليه الخلائق بحوائجهم وبالإقرار والخضوع، "لَمْ يَلِدْ" فيورث، "وَلَمْ يُولَدْ" فيشارك، وذلك أنَّ مشركي العرب قالوا: الملائكة بنات الرحمن، وقالتِ النَّصارى: المسيح ابن الله، فكذّبهم عزَّ وجلَّ، وبرّأ نفسه من قولهم، فقال: "لَمْ يلد" يعني لم يكن له ولد، "وَلَمْ يُولَدْ" كما وُلِدَ عيسى وعزير ومريم، "وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوا أَحَدٌ" أي لم يكن له عَدْل، ولا مِثْل من الآلهة، تبارك الله وتعالى علوا كبيرا [٣]،

---

[١] مجاهد، **تفسير مجاهد**، ص ٧٣٥.

[٢] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ٤٨٨/٢٤.

[٣] انظر المصدر السابق، ٩٢٥/٤.

"فهو الواحِدُ الوِترُ الذي لا شَبِيه لهُ، ولا نظيرَ، ولا صاحبة، ولا ولد ولا شريك، وأصل أحد: وَحَدَ، قُلِبَتِ الواوُ همزة" [١]، ومنه قولُ النَّابغة الذبياني[٢]:

كأنَّ رَحْلي وقد زالَ النّهارُ بنا   بِذِي الجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنِسٍ وَحَدِ

وأَمَّا أحدٌ فاسمٌ بمعنى (واحِد)، وأصلُ هَمزَتِهِ الواو، قُلِبَتِ الواو همزة على غيرِ قِيَاسٍ لأَنَّها مفتُوحَة، بخلافِ قلبِ واوِ وجوه، ومعناهُ مُنفردٌ، وهو صفةٌ مُشَبَّهَةٌ مِثل حَسَن، يُقالُ: وَحُدَ مِثل كَرُمَ، ووحِدَ مِثل فَرِحَ، وصِيغَةُ الصِّفَةِ المُشَبَّهَةِ تُفِيدُ تَمَكُّن الوصفِ في موصُوفِهَا بأَنَّهُ ذَاتِيٌّ لَهُ، فلذلكَ أوثِرَ أَحَدٌ هنا على واحِد؛ لأَنَّ واحِد اسمُ فَاعِل لا يُفِيدُ التَّمَكّن، فواحدٌ وأحدٌ وصفان مَصُوغانِ بالتّصريف لمادة مُتَّحِدة وهي مادَّةُ الوحدة، هذا هو أَصلُ إطلاقهِ، وتَفَرَّعت عنه إطلاقاتٌ صارت حقائق للفظ أحَد، أَشهَرُهَا أَنَّهُ يُستَعمَلُ اسما بمعنى إنسان في خصوص النَّفي، كقوله تعالى: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ البقرة: ٢٨٥، وقوله: ﴿ وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٣٨، فأَحَد جَامِعٌ للدلالة على الوحدانية مِن جَمِيعِ الوجُوهِ وأَنَّهُ لا كثرة في موصوفِهِ، وقد فَهِمَ المسلمون هذا؛ فقد رُوِيَ أَنَّ بلال بن رباح كان إذا عُذّبَ على الإسلام يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ، وكانَ شعارُ المسلمين يومَ بدر: أَحَدٌ أَحَدٌ [٣]، ويتضح مما سبق أنَّ "أحد" صفة مشبهة تدل على الثبات، أمّا واحد فاسم فاعل لا يدلّ على الثبات، كما أنَّ كلمة واحد تستخدم لنفي التعدد، فالله واحد لا ثاني له ولا ثالث، وأمّا كلمة أحد فهي لنفي التقسيم، فهو ليس ربعا ولا ثلثا ولا نصفا، بل هو كامل، والكمال لا يكون إلا لوجهه.

وممّا خاطب الله فيه نبيه والمؤمنين، قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ الفلق: ١- ٥، "الخطاب للنبي- صلّى الله عليه وسلّم- والمرادُ هو وآحادُ أمتِهِ" [٤]، فالله يأمر نبيّه والمؤمنين بالاستجارة به من الشرور التي قد يتعرض لها، فالشرّ في كل

---

[١] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ٢٤٤/٢٠.
[٢] هذا البيت ذُكِرَ عند القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ٢٤٤/٢٠، لكنني وجدتُ اختلافا في رواية عَجُز البيت عند عند العودة إلى ديوان النابغة، إذ يقول في معلقته: يوم الجليل، وليس بذي الجليل، كما قال: وَحِد، بكسر الحاء لا بفتحها، انظر النابغة الذبياني (ت:١٨ ق.هـ)، **ديوان النابغة**، تحقيق كرم البستاني، دار صادر: بيروت، ص٣١.
[٣] انظر ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ٦١٣/٣٠-٦١٥
[٤] الثعالبي، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، ٦٤٠/٥.

مكان وزمان، ولهذا علينا الحذر الشديد، وقيل: "الفلق جُبٌّ مغطّى في جهنّم" (١)، وقيل: إنَّ المقصود بالفلق غير الصبح وغير الجُبّ الذي في جهنّم، "فهو كل ما يفلقه الله كفلق الأرض عن النبات، والجبال عن العيون، والسحاب عن المطر، والأرحام عن الأولاد (٢)، وبعد ذلك يستعيذ من شرّ كلّ شيء خلقه الله، ما نعلمه وما لا نعلمه، وقيل: هذه السورة بدأت بالاستعاذة برب الفلق، أي برب الصبح، فالصبح حين يُنير الظلمة ويسلّط ضوءه وأشعته على هذه الشرور؛ فإنها تظهر واضحة للعيان، وتبطل مكائدها وتهرب إلى جحورها راجعة بالهزيمة والخذلان (٣)، ونلاحظ أنَّ كلمة شرّ نكرة، أي أنَّ الشرّ بعمومه نستعيذ بالله منه، ولم تكن الكلمة معرفة، فلو كانت معرفة لعلمنا شرّا معيّنا سنستعيذ بالله منه ونحذر منه أكثر من غيره، وهنا نستعيذ بالله من الليل وشروره إنْ أَقْبَلَ، كما نستعيذ من السَّحرة وأعمالهم، وقيل: "((النَّفَّاثات فِي العُقَدِ)) هنّ السواحر اللواتي ينفخن في عقد الخيط عند الرّقية، ويوهمنّ إدخال الضرر بذلك" (٤).

ورُوِي أنَّ يهوديا (٥) سَحَرَ النبي الكريم، وكان قد عمل إحدى عشرة عقدة في وتر دَسَّهُ في بئر، فمرض النبي ونزلت المعوذتان، وأخبره جبريل عليه الصلاة والسلام بموضع السحر، فأرسل عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، فجاء بهما فقرأهما عليه، فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفّة، ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في أنه مسحور، لأنّهم أرادوا به أنه مجنون بواسطة السحر، وقيل: "المراد بالنفث في العقد إبطال عزائم الرجال بالحيل؛ مستعار من تليين العقد بنفث الريق ليسهل حلها، وثمّة ملحوظة على إفراد كلمة (النفاثات) بالتعريف؛ لأن كل نفاثة شريرة بخلاف كل غاسق وحاسد" (٦).

---

(١) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ٦٩٩/٢٤، وانظر ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز**، ٥٣٨/٥.

(٢) ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله (ت:٧٤١هـ)، (١٩٩٦م)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، ط١، تحقيق عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم: بيروت، ٥٢٦/٢، وانظر أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ٥٧٥/١٠.

(٣) انظر شملول، **تأملات في إعجاز الرسم القرآني وإعجاز التلاوة والبيان**، ص ٢٢٢-٢٢٣.

(٤) القشيري، **لطائف الإشارات**، ٧٨٥/٣.

(٥) هو لبيد بن الأعصم، انظر حامد، **ومضات من نور القرآن الكريم**، ٨٢/١.

(٦) البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ٣٤٨/٥.

"واللافت ما في السورة من التخصيص بعد التعميم، فالاستعاذة من شرّ ما خلق يعمّ جميع الشرور، والفائدة من تخصيص الغاسق، والنفاثات، والحاسد" [١]، أنَّ شرها وضرها خفيّ غير ظاهر، ولهذا يعظم الحذر منها، وشدة الحاجة إلى الاستعاذة منها؛ لأنَّ الضرر الظاهر يمكن التحرز منه؛ أمّا هذه الثلاثة فضررها خفيّ يصعب التحرّز منه.

ومن الآيات التي خاطب الله فيها النبي والمؤمنين، قوله: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ الناس: ١- ٦، نلاحظ أننا نستعيذ بثلاث صفات سامية من شيء واحد وضيع، فنحن نستعيذ برب العالمين وملكهم وإلههم، من الشيطان الرجيم الخناس الموسوس للناس، المُضِّل لهم، وهذا يدلُّ على أنَّ الشيطانَ عدوٌّ لدودٌ للمؤمنين، وهو خطير جدا يجب الحذر من وسوسته التي قد تؤدي إلى التّهلُكة، وقيل عن لطيفة من لطائف المعوذتين: إنَّ المستعاذ به في سورة الفلق مذكورٌ بصفةٍ واحدةٍ وهي أنَّه رَبُّ الفلقِ، والمُستعاذ منه ثلاثة أنواع من الآفات، وهي الغاسق والنَّفَّاثاتُ والحاسد، وأمَّا في سورة الناس فالمُستعاذ به مذكورٌ بصفاتٍ ثلاثةٍ هي: الرَّبُّ والملكُ والإلهُ والمستعاذ منه آفةٌ واحدةٌ، وهي الوسوسة، والفرق بينَ الموضعين أَنَّ الثَّناء يجبُ أَنْ يَتَقَدَّرَ بقدر المطلوب، فالمطلوبُ في سورة الفلق سلامة النَّفس والبدن، والمطلوبُ في سورة الناس سلامة الدِّين، وهذا تنبيه على أَنَّ مضرَّة الدِّينِ وإنْ قلَّت: أعظمُ من مضار الدُّنيا وإنْ عظمتْ [٢]، وقيل: "أصل كل معصية وبلاء إنما هو الوسوسة، فلهذا وصفه بها لتكون الاستعاذة من شرها أهم من كل مستعاذ منه، و إلا فشرّه بغير الوسوسة حاصل أيضا" [٣]، "والوسواس والوسوسة من الصّوت الخفيّ، ومنه وسواس الحلي، والمراد به الموسوِس، وفحوى الخطاب أنّ الموسوسين من الفريقين جميعا من الجنّ والإنس" [٤].

---

[١] ابن جماعة، **كشف المعاني في المتشابه من المثاني**، ص ٣٨١، وانظر المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد، (١٩٩٢م)، **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**، ط ١، مكتبة وهبة: مصر، ١/ ٣٨١.

[٢] انظر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ٣٧٨/٣٢، وانظر أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ٥٧٩/١٠.

[٣] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت:٧٥١هـ)، (١٩٨٤م)، **تفسير المعوذتين**، ط٣، مراجعة محمود غانم غيث، مكتبة القاهرة ومطبعة النصر: مصر، ص ٧٣.

[٤] الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت:٤٧١هـ)، (٢٠٠٩م)، **دَرْج الدرر في تفسير الآي والسور**، ط١، تحقيق طلعت الفرحان ومحمد أديب شكور، دار الفكر: عمّان، ٧٤٦/٢.

ثالثا: خطاب النبي أثناء خطابه لغير المؤمنين

عندما نقرأ القرآن الكريم نجد خطابا لنبينا الكريم محمد- صلى الله عليه وسلّم- ومعه فئات أخرى، منها فئة المؤمنين، ومنها فئة الكفار الذين يواجههم الله بالحق، ويُظْهِر لهم خطلهم، كما يحاججهم مبيّنا ضلالهم، أو يأمرهم بأمر، أو ينهاهم عن شيء ما، أو ينبههم ويوجههم إلى الصواب، مبيّنا عقاب الأمم السابقة المكذّبة، ويرد على اتهاماتهم الزائفة التي لا مجال لتصديقها، لا سيما عندما يكذبون نبي الهدى ويَسِمُونَه بِسِمَات باطلة، ذكرناها عندما تحدثنا عن صفات النبي الكريم في بداية الفصل الأول.

فقد اتّهموا النبي بأنّه: شاعر، ساحر، مسحور، كاهن، مجنون، بِهِ جِنّة، كذّاب، كتب القرآن.... لكن رب العالمين ردّ على تهمهم وأنكرها وأثبت لهم ضلالهم، وأنَّ نبي الهدى يتنزه عن وَسْمِه بهذه الصفات الباطلة وعن كتابته للقرآن أو قوله للشعر.

بل إنَّ الكافرين تمادوا فتقوّلوا على الله، وفعلوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، مقلدين آباءهم الضالّين، بل يقولون: إنَّ الله أمرهم بعمل الفواحش، ألا لعنة الله على الكاذبين، كيف يقولون مثل هذا الكلام؟ ولهذا أمر الله نبيه أنْ يبيّن افتراءهم، فقال: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ الأعراف:٢٨، ولكن الله بيّن ضلالهم وأنهم الخاسرون، يقول الله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ يونس:١٧.

وعندما اتّهموه بالافتراء وأنَّ القرآن مُفْتَرَى، ردّ الله عليهم، فقال: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ يونس: ٣٨، إنَّ الله يدعوهم بأنْ يأتوا بسورة واحدة، وبإمكانهم طلب العون ممن يظنون أنه أهلٌ لهذا الأمر، بالإضافة لكونهم أرباب البيان وأهل الفصاحة والبلاغة الذين وصلوا إلى سقف رفيع في فَهْم العربية واستخدامها الاستخدام الأمثل، فقد وهب ربنا العظيم نبيّه العديد من الأمور التي ترفع شأنه، وتسهّل سبيل دعوته، كإعطائه هذا القرآن الحق الذي فيه السبع المثاني، يقول سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ الحجر:٨٧، ويقول سبحانه: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل: ٤٤، ويقول: ﴿ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ ﴾

الصافات: ٣٧، فهذه المعجزة العظيمة أنزلها الله على نبيه ليبيّن لهم أمور دينهم وليتفكروا بما فيه من قصص لأقوام سابقين، وما فيه من عِبَر وعِظات [١].

ومعَ ذلك اتّهموه بالافتراء أيضا في هذه الآيات: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ هود: ١٣، هنا طلب الإتيان بعشر سور من مثل القرآن، وباستطاعتهم طلب العون من الآخرين، لكن هذا الأمر مُحال، ولن يتمكنوا من عمل هذا الشيء، ويقول الله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ هود: ٣٥، النبي لم يفترِ، وهو بريء مما يجرم الكافرون المعتدون، وإنْ استمروا بعنادهم وتكذيبهم فإنَّ الله قد خاطب نبيّه ليوصل لهم رسالة، قائلا: ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ يونس: ٤١، وسيُحاسَب هؤلاء على أعمالهم، ويقول رب العالمين: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾ الزمر: ٦٤، الجاهلون أرادوا أنْ يصدّوا النبي عن عبادة رب العالمين، والنبي لن يعبد غير الله الذي أرسله برسالة لبِقَاع الأرض كافّة اتّهموه، يقول: ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ غافر: ٦٦، ويقول الله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ الأنبياء: ٥، وهنا اتّهام آخر، ووصف للنبي بأنّه شاعر، وطلبوا منه دليلا على صدق كلامه، وقيل عن اتّهام الكفار للنبي بأنّه شاعر وأنَّ ما أتى به سحر أو شِعْر: إنَّ مخالفة القرآن لنظم الشعر ظاهرة واضحة لا تخفى على أحد، فقول من قال بأنّه شِعْر، ما هو إلا من باب العناد والكُفر المحض، وأمّا مخالفته لنظم الكهان وألفاظ السجع، فهذا يحتاج إلى تدبّر وتذكّر؛ لأنَّ كلا منهما نثر، فليست مخالفته لهما في وضوحها لكل أحد كمخالفة الشعر، وإنما تظهر بتدبر ما في القرآن من الفصاحة والبلاغة والبدائع والمعاني الأنيقة،

---

[١] انظر القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد (ت:١٣٣٢هـ)، (١٩٩٧م)، **محاسن التأويل**، ط١، تحقيق محمد باسل، دار الكتب العلمية: بيروت، ٨١/٦، وانظر الصابوني، **صفوة التفاسير**، ٩/٢.

ولهذا يكون القرآن أبعد ما يكون عن الشعر، ونبينا ليس بشاعر [١]، ولا يختلف النص القرآني في بنيته ومكوّناته عن بنية النص الأدبي العربي، من حيثُ ألفاظه وأنظمة بناء الجملة، فالألفاظ عربية متداولة في الشعر العربي، ونظام بناء الجملة فيه يعتمد أنواع الجمل المعروفة في النص الشعري العربي، ولكن الذي ماز الخطاب القرآني من النصوص الشعرية هو نظم هذه المفردات وارتباط بعضها ببعض، في أساليب لم يعهدها العربي، فجاء نسجا جديدا [٢]، "فالقرآن منفرد بأسلوب يشهد بأنّه من كلام ليس من جنس كلام العرب، وإنْ كان يستخدم ألفاظهم وحروفهم التي يستخدمونها في شعرهم ونثرهم وخطبهم وكلامهم العادي، وهذا الاختلاف ينشأ من كون صاحب الكلام هو الله الذي ليس كمثله شيء" [٣].

والفصحاء لما أورد عليهم القرآن لو اعتقدوه شعرا، ولم يروه خارجا عن أساليبهم، لبادروا إلى معارضته؛ لأنَّ الشعر منقاد إليهم، فلمّا لم يعمدوا إلى ذلك، دلَّ على أنهم لم يعتقدوا فيه ذلك، فمَن استدرك فيه شعرا، زعم أنه خفي على أولئك النفر- وهم ملوك الكلام- مع شدة حاجتهم إلى الطعن في القرآن والغضّ منه والتوصل إلى تكذيبه بكل ما قدروا عليه، فلا يمكن أنْ يخفى على أولئك، وأنْ يجهلوه، ويعرفه من جاء الآن، فهو بالجهل حقيق [٤].

ويقول الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ يس: ٦٩، وأمّا ما يُنسب إليه من رجز، فهو غير الشِّعر، فقد قال:

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِب   أَنَا ابنُ عَبْدِ الْمُطَّلِب [٥]

"وقال أبو الحَسَنِ الأَخفَش هذا لَيس بِشِعرٍ، وقالَ الخَلِيلُ: إنَّ ما جاءَ منَ السَّجعِ على جُزأينِ لا يكونُ شِعرا، ورُوِيَ عنهُ أَنَّهُ مِن منهُوكِ الرَّجَزِ" [٦].

---

[١] انظر السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن،** ٣/٣٤٩-٣٥٠، وانظر السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين،(ت:٩١١هـ)، (١٩٨٨م)، **معترك الأقران في إعجاز القرآن،** ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١/٣٥.

[٢] الخالدي، كريم حسين ناصح، (٢٠٠٧م)، **الخطاب النفسي في القرآن الكريم دراسة دلالية أسلوبية،** ط١، دار صفاء للنشر والتوزيع: عمّان، ص ٢١.

[٣] خليل، إبراهيم،(١٩٩٣م)، **أوراق في اللغة والنقد الأدبي،** دار الينابيع للنشر والتوزيع: عمّان، ص ١١٠، وانظر خليل، إبراهيم،(١٩٩٧م)،**الأسلوبية ونظرية النص،** المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت، ص٢٦.

[٤] انظر الزركشي، **البرهان في علوم القرآن،** ٢/١١٦، وانظر الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب (ت:٤٠٣هـ)، (١٩٩٧م)، **إعجاز القرآن،** ط٥، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف: القاهرة، ص ٥٣.

[٥] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن،** ١٤/١٨٥، وانظر ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم،** ٤/١٢٦.

[٦] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن،** ١٥/٥٢.

ومن افتراءات الكفار ما نجده في قوله تعالى على لسانهم: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ﴾ الفرقان: ٤، فقد اتّهموه بأنَّ قوما قد أعانوه على كتابة القرآن كأحبار اليهود، واتّهموه كما يقول الله تعالى على لسانهم: ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٞ ﴾ سبأ: ٤٣، إنَّ التهم تتوالى تِبَاعًا من الكافرين في هذه الآية الكريمة، فهو رجل (نكّروا الكلمة) وكأنهم لا يعرفونه ولا يعرفون صدقه، واتّهموه بصدهم عن عبادة آبائهم للأصنام، ويقول الله تعالى: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ السجدة: ٣، هنا دفاع عن النبي الكريم، وأنَّ القرآن حقّ من رب العالمين، ومن أهداف القرآن إنذار الضالّين وهدايتهم إلى طريق الخير، والنبي يوصل رسالة من ربه للناس كافّة ليهديهم إلى الصراط المستقيم، ويقول الله تعالى: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَلَا تَمۡلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الأحقاف: ٨، الله خير شهيد على صدق نبينا الكريم، وأنَّ القرآن من رب العالمين، ومن يرجع عن اتهامه للنبي فإنَّ الله غفور توّاب رحيم.

وقال: ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ الأنبياء: ٣٦، فحاشاه عليه الصلاة والسلام من فِعْلِهم اللعين، فما هو إلا رحمة للعالمين، ويقول الله تعالى مخاطبا الصادق الأمين: ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ يونس:٦٥، ويقول الله تعالى مُثَبِّتا نبيه الكريم: ﴿ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴾ الفرقان: ٣٣، فالله هو الحافظ الحامي لنبيه، وهو الذي يردُّ أذى الكافرين عنه.

ويطلب هؤلاء أمورا عديدة من نبينا الكريم في سورة الإسراء، فهم يريدون منه تفجير ينبوع من الأرض أو تفجير الأنهار في جنات النخيل والعنب أو يُسْقِطَ السماء وما إلى ذلك من أمور، يقول سبحانه: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾ الإسراء: ٩٠- ٩٣.

كما طلب المتعنّتون في سورة أخرى إنزال كنز أو مَلَك، يقول الله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ هود: ١٢، ويقول الله تعالى في آية أخرى: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾ الفرقان: ٧، هنا إشارة إلى زيادة تعنت الكافرين، فهم لم يطلبوا آية واحدة بل طلبوا غير آية ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ العنكبوت: ٥٠، ويقول الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ طه: ١٣٣، المعاندون يطلبون براهين وأدلّة على صدق رسالة نبينا الكريم، لكن هؤلاء لا يتعظون بما حصل للأمم السابقة، ومن بقي على عناده واتهامه الباطل للنبي فقد ثبّت الله نبيّه بوصف هؤلاء بصفات عديدة، كوصفهم بالعُمْي، فلا تحزن يا نبي الله لأنّهم رغبوا عن دين الله الحق، فهم كالعمي الذين يتخبطون ولا يعلمون الصواب، بل إنَّ بصيرتهم قد أُغْلِقَتْ، يقول الله تعالى:

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِي ٱلْعُمْيَ وَلَوْ كَانُواْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ يونس: ٤٣

﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ النمل: ٨١

﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ الروم: ٥٣

وقد أكّدَ الله هنا أنَّ المسلمين هم من يستمعون إليك يا نبي الله، وأمّا الكفّار فهم عمي، لا يعرفون الحق، بل حادوا عنه لتعنّتهم الشديد وتكبرهم، فهم يظنون أنَّ أنوفهم شامخة في السماء، وكيف سيقوم أحدهم باتّباع النبي؟ وكيف سيقبل مساواته بالعبيد والغلمان؟ وكيف سينسى مكانته التي ستذهب إنْ آمن ودخل الإسلام؟ كيف سيُفرّط بها؟ كيف سيُذلّ نفسه ويضع أنفه على الأرض التي هو منها وإليها؟ كيف سيلطّخ جبهته بالتراب لإرضاء رب العالمين؟ مَن لم يتنازل عن هذا الأمر خسر خسرانا مبينا، وهؤلاء المتكبرون لا يقبلون استغفار النبي لهم، بل فضّلوا الإصرار على الكفر وعدم التوبة، ورمَوا استغفار النبي لهم خلف ظهرهم استكبارا، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ المنافقون: ٥، ويقول الله تعالى: ﴿ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ الزخرف: ٤٠، ويقول الله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ الأنعام: ٥٠، فالكافر الأعمى لا يستوي مع البصير المؤمن بالله.

وقد وصفهم الله بالصمّ في هذه السور: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ يونس: ٤٢، هنا وصف الذين لا يستمعون بأنَّهم لا يعقلون أيضا، فلو كانوا يعقلون لاتّبعوا نبي الرحمة والهداية، وفي هذه الآية يشير الله تعالى إلى أنَّ النبي ينذرهم بما أوحِي إليه، و لكن الكافرين لا يسمعون الدعاء ويرفضون ما يقوم به النبي من إنذار وتوجيه، يقول الله تعالى:﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ ﴾الأنبياء:٤٥.

وقد وصفهم الله بالموتى، إضافة إلى وصف البعض الآخر بالصُمّ، بل ما إنْ يشرع الواحد منهم بسماع الدعوة من النبي إلا والفرار والإدبار هو الخيار الأول لهم، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴾ النمل: ٨٠، وقد كُرّرت الآية أيضا فقال الله تعالى: ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴾ الروم: ٥٢، وفي هذه

الآية يبيّن الله تعالى أنَّ النبي ما عليه إلا البلاغ، فمن ضلّ واستحب الكفر على الهداية و أصمَّ أذنيه وأغمض عينيه، لن يكون النبي مسؤولا عن هذا الأمر؛ لأنّه بلّغ الرسالة، ومن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضَلَّ فعليها، يقول عزّ وجلّ:

﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ الزخرف: ٤٠، ويقول الله تعالى: ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ الأعراف: ١٩٨، ويقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴾ الكهف: ٥٧ فهم أبعد ما يكونون عن الهداية؛ لأنَّ في آذانهم وقرًا، وقلوبهم مُسْوَدّة صَدِئة، والعجب من عدم استماعهم إلى رجل يريد هدايتهم، بل هم لا ينظرون إلى نبي الهدى، كما يُغلِقون بصيرتهم ويُعَطِّلُونَها؟

أما المكذبون بالآيات فهم كما يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ الأنعام: ٣٩، ووصفَ الله المكذبين الكافرين بأنَّهم لا يعلمون الحق، ولا يعرفون طريق الصواب [1]، بل إنهم ينفرون من كلام رب العالمين، يقول الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾ الإسراء: ٤٦، ومن ذلك إصرارهم على التمسك بدين آبائهم وأجدادهم، يقول الله تعالى على لسانهم: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ ص: ٥، فهم يتعجبون من أنَّ هذا الكون له إله واحد، ولا يتعجبون من تعدد آلهتهم المزعومة، ولا من أصنامهم التي يأكلونها إذا جاعوا وقت سفرهم وتجارتهم، والله يدعوهم إلى اللجوء إلى آلهتهم المزعومة لتنفعهم، لكن هيهاتَ، فما من نافع أو ضار غيره، يقول الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ الإسراء: ٥٦، بل إنّهم لا يقدرون على خلق جناح ذبابة، يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ

[1] انظر هذه الآيات: الأنعام ٣٧، يونس ٥٥، الطور ٤٧، سبأ ٢٨، الجاثية ٢٦.

أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ فاطر: ٤٠.

بل إنَّ الله وصفهم بالمفسدين أيضا فقال: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ يونس: ٤٠، وكذلك قال الله تعالى: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ الأنعام: ١٣٢، فهو يُملي لهم ويمهلهم لكنه لا يهملهم، وهو عالم بما يفعلون، ويقول الله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ ﴾ الأنعام: ١٣٣، فالله غني عن العالمين، لكنه صاحب رحمة واسعة، فمن يَتُب ويرجع إلى الحق، يجد السماحة والترحيب، أمّا من بقي على عناده، فليس بعزيز على الله أنْ يُهْلِكَهُ ويأتي بخلق جديد يعبدونه حقّ العبادة.

كما يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ يونس: ٦١، فالله لا تغيب عن عينه شاردة أو واردة، في الأرض أو السماء، وأي عمل يقوم به الإنسان يعلمه، سواء أكان عملا حسنا يُرضي الله أم كان عملا سيئا يغضبه، فسبحان الله العظيم.

ودعا اللهُ نبيه الكريم إلى عدم إطاعة الكافرين، فقال: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ الفرقان: ٥١- ٥٢، وكلمة جاهد وردت مرة واحدة في السور المكية، ولا تعني في هذه الآية القتال؛ لأنَّ الأمر بالجهاد ورد في مدنيّ السور لا مكيّها، فالغزوات تحدثت عنها السور المدنية كآل عمران والأنفال والتوبة والأحزاب، ولهذا يقول الله تعالى: ولو شئنا يا محمد لأرسلنا في كلّ مصر ومدينة نذيرًا ينذرهم بَأْسَنَا على كفرهم بنا، فيخفّ عنك كثيرٌ من أعباء ما حمّلناك منه، ويسقط عنك بذلك مؤونة عظيمة، ولكنا حمّلناك ثقل إنذار جميع القرى؛ لتستوجب بصبرك عليه- إنْ صبرت- ما أعدّ الله لك من الكرامة عنده، والمنازل الرفيعة قِبَله، فلا تطع الكافرين فيما يدعونك إليه من أنْ تعبد آلهتهم، فنذيقك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات، ولكن جاهدهم بهذا القرآن جهادا كبيرا، حتى ينقادوا للإقرار بما فيه من فرائض الله، ويدينوا به

ويذعنوا للعمل بجميعه طوعا وكرها، وقال ابن عباس: قصد تعالى بقوله ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ ﴾ أي: بالقرآن، وقال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله:﴿ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ أي: الإسلام [١].

ومن الآيات التي يخاطب الله فيها نبيه الكريم ويدعوه من خلالها إلى عدم طاعة المكذبين، قوله تعالى: ﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ ﴾ القلم: ٥- ٩، فالله يبيّن أنّه سيأتي يوم تنجلي فيه معالم الطريق ويتضح للجميع مَن كان على الحق ومن اتبع الباطل، وسترى يا نبي الله من هو المفتون، ولا يخفى على رب العالمين، من كان على الهدى ومن كان على الضلال، ولكن لا تطع أيها النبي الكافرين المعاندين، "وقال ابنُ جُرَيج: قال ابنُ عَبَّاس عن العلم في الآيات: سَتَعلَمُ وَيَعلَمُون يومَ القيامةِ " [٢]، "وقال اللَّيثُ: الإدهانُ اللِّينُ والمُصَانَعَةُ والمُقارَبَةُ في الكلَامِ" [٣].

وأيضا نهى الله نبيه عن طاعة المتصفين بما يلي: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ القلم: ١٠- ١٥، فأي شخص من هؤلاء المعتدين المكذبين المتقوّلين على القرآن الكريم الذين يحلفون على الحق والباطل، سيكون له العذاب الشديد، ونلاحظ أنَّ جوّ السورة جوّ مبالغة، وأنه ثمّة عدّة صيغ للمبالغة في الآيات، والأمر الآخر هو أنَّ الذي يفعل كل هذه الأمور التي سبقت ألا يكون أثيما؟ إنه كذلك دون شك، بل إنْ فَعَلَ أحدٌ واحدًا من هذه الأفعال فإنَّ ذلك يجعله أثيما وليس مجرد آثمٍ، فكيف إنْ اجتمعت كل هذه الصفات في المعتدي؟

---

[١] انظر الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ١٩/٢٨٠-٢٨١.

[٢] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ٨/١٩٠.

[٣] الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ٣٠/٦٠٣.

ويدلّ الله تعالى نبيه الكريم على سبيل لا عِوج فيه عند مجادلة الكافرين، إذْ يقول الله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ النحل: ١٢٥، فالجدال بالتي هي أحسن كالكلمة الطيبة لها وقعٌ عظيمٌ في النفوس، وثمّة آيات أخرى ذَكَرَ الله فيها هذا المنهج في مجادلة الكافرين [1].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ الكهف: ١٠٣- ١٠٦، هنا يقول الله تعالى للكفرين: هل أخبركم بمن باءت أعماله بالخسارة وظن أنَّ أعماله حسنة؟ إنه من كفر بآيات ربه الذي خلقه وكفر باليوم الآخر واستهزأ بالرسل، وما مصير هؤلاء إلا النار؟ ورغم ذلك يستعجلون العذاب الذي يظنونه مجرد قول، يقول الله تعالى: ﴿ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِۚ وَلَوۡلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَيَأۡتِيَنَّهُم بَغۡتَةً وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ العنكبوت: ٥٣-٥٤، فهؤلاء يخاطبهم الله عن طريق النبي الكريم ويقول لهم: ﴿ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ القمر: ١٦، فكل من أنذره الله سيُعاقَب ويُعذَّب كما حصل مع الأقوام السابقة، وهذه الآية كُررت في السورة عينها في هذه الآيات: ١٨ و٢١ و٣٠، وذلك لتنبيه الغافلين.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ الفرقان: ٤٣- ٤٤، النبي ليس وكيلا على من ضلّ، بل إنَّ الكفار لا يسمعون ولا يعقلون، إنهم كالأنعام بل أضل.

---

[1] انظر: العنكبوت ٤٦، فصلت ٣٤.

ويقول الله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ① لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ② وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ③ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ④ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ⑤ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ⑥ ﴾ الكافرون:١- ٦، كان المشركون من قوم النبي الكريم قد عرضوا عليه أن يعبدوا الله سنة، على أنْ يعبد نبيّ الله آلهتهم سنة، فأنزل الله الإجابة في ذلك: (قُلْ) يا محمد لهؤلاء المشركين الذين سألوك عبادة آلهتهم سنة، على أن يعبدوا إلهك سنة (يا أَيُّها الكافرون) بالله (لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ) من الآلهة والأوثان الآن (وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ) الآن (وَلا أَنَا عَابِدٌ) فيما أستقبل (مَا عَبَدْتُمْ) فيما مضى (وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ) فيما تستقبلون أبدا (مَا أَعْبُدُ) أنا الآن، وفيما أستقبل [١]، فالإسلام لا يقبل تعدد الآلهة، فما من إله إلا الله، وعبادة الله تكون على الدوام، ولا يجوز أنْ ننسى ذلك ولو للحظة واحدة، وما طلبه الكفار ما هو إلا عَنَتٌ، ويقول الله تعالى مخاطبا نبيه الكريم: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ ﴾ الزمر: ٦٤، ويقول أيضا: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يونس: ١٠٤، فهذه آية أخرى تؤكد على أنَّ النبي لا يعبد ما يعبد الكافرون من دون الله.

والخطاب من الله كان لنبيّه في أشخاص بأعيانهم من المشركين [٢]، قد علم أنهم لا يؤمنون أبدا، وسبق لهم ذلك في السابق من علمه، فأمر نبيه الكريم أنْ يُيْئِسَهم من الذي طمعوا فيه، وحدّثوا به أنفسهم، وأنَّ ذلك غير كائن منه ولا منهم، في وقت من الأوقات، ويئس نبي الله من الطمع في إيمانهم، ومن أنْ يفلحوا أبدا، فكانوا كذلك لم يفلحوا ولم ينجحوا، إلى أنْ قتل بعضهم يوم بدر بالسيف، وهلك بعضهم قبل ذلك كافرا [٣]، ولقد عابوا النبي الكريم بما ليس من فعله وهو عابَهم بما قد فعلوه [٤]، وهذا فيه ذمّ شديد لهم، وتبيان لصدق النبي، ولافتراء هؤلاء.

---

[١] انظر الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ٦٦١/٢٤.

[٢] هم الوليد بن المُغيرة والعاص بن وائل والأسود بن المطلب وأميَّة بن خلف، انظر الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ٦٦٢/٢٤، وانظر الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ٣٢٩/٣٢.

[٣] انظر الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ٦٦١/٢٤.

[٤] انظر الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ٣٢٣/٣٢.

ونبيّنا الكريم لا يطلب أجرا على دعوته التي صاحبتها المشقة والتعب والاتهامات، وكان لصبره العظيم ولتحمله تلك المشاق أكبر أثر في نفوس المسلمين، بل إنَّ الله أثنى على عبده الكريم، وأكّد إخلاص الدعوة لوجهه الكريم، وقد وردت هذه الفكرة في القرآن الكريم غير مرة، فالنبي لم يسأل الناس أجرا، بل إنَّ أجره على الله، وهو مخلص في دعوته، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ القلم: ٣، فهذا الأجر من ربه لا من أي بشر.

ومن الآيات التي تحدثت عن عدم طلب الأجر من أحد ما يلي:

﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ الأنعام: ٩٠، ومنها: يونس: ٧٢، يوسف: ١٠٤، الفرقان: ٥٧، سبأ: ٤٧، ص: ٨٦.

وورد هذا الأمر عند أنبياء ورسل آخرين، وذلك في سورة الشعراء، إذْ تكررت هذه الآية ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾، خمس مرات، في هذه الآيات:

الآية ١٠٩ وقد وردت على لسان سيدنا نوح، والآية ١٢٧ وردت على لسان سيدنا هود، والآية ١٤٥ وردت على لسان سيدنا صالح، والآية ١٦٤ وردت على لسان سيدنا لوط، والآية ١٨٠ وردت على لسان سيدنا شعيب عليهم الصلاة والسلام.

وكذلك تكرر هذا الأمر، في سورة هود الآية ٢٩ على لسان نوح عليه السلام، و هود الآية ٥١ على لسان هود عليه السلام، وهذا الأمر يدلّ على أنَّ الأنبياء والمرسلين- عليهم الصلاة والسلام- أصحاب دعوة واحدة خالصة لوجه الله تعالى، ولا يطلبون أجرا من أي إنسان، بل هم ينتظرون الثواب من رب الأرباب الذي أرسلهم لهداية الناس، وربنا الكريم يؤكد ذلك بخطابه لنبيه الكريم، نافيا عنه رغبته في أخذ أجر من أي بشر، وذلك في الآيات الكريمة الآتية: ﴿ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ يوسف: ١٠٤

﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾ الطور: ٤٠، وكُرّرت الآية ثانية، في القلم: ٤٦

وقال الله تعالى: ﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ المؤمنون: ٧٢.

والله أرسل الرسل والأنبياء بالحق، وكان العقاب جزاء كل كافر، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ

عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ يوسف: ١٠٩، وهنا إشارة إلى أهمية الاتعاظ بما حصل مع الأقوام السابقة المكذّبة.

لكن من تمادى في طغيانه، فإن له عقابا شديدا، والله لا يهدي القوم الظالمين لأنفسهم، المتبعين لأهوائهم، الحائدين عن الجادّة [1]، وكذلك الله لا يهدي القوم الكافرين، يقول الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ النحل: ١٠٧، وقال الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ يونس: ٣٣، ويقول الله تعالى: ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ يس: ١٠، إذْ يدلّ وصلت جماعة إلى حدّ لا يمكن أنْ نرى بصيص أمل حتى نقول بأنّهم سيسيرون في طريق الحق، وهؤلاء أصحابُ القلوب الصَّدِئة، الفاسقون الذين لا يؤمنون.

ويبيّن الله تعالى في الكتاب الكريم حال الكافرين المكذبين من الأمم السابقة للنبي وللناس كافّة، المؤمن منهم والكافر، وبين عاقبتهم التي كانت شديدة، وأنَّ الله قد نال منهم، يقول الله تعالى: ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ الأنعام: ١١، فهنا حديث عن عاقبة المكذبين وما نالهم من عقاب أليم، وكذلك ورد في الآية ٣٦ من سورة النحل عن هذه العاقبة، والزخرف ٢٥، ومن أنواع العاقبة التي تحدث الله عنها، ما يلي:

عاقبة المجرمين: الأعراف ٨٤، النمل ٦٩، عاقبة المفسدين: الأعراف ٨٦، الأعراف ١٠٣، النمل ١٤، عاقبة الظالمين: يونس ٣٩، القصص ٤٠، عاقبة المنذَرين: يونس ٧٣، الصافات ٧٣، عاقبة مكرهم: النمل: ٥١، نلاحظ أنَّ الله وصف الحائدين عن جادّة الصواب بغير صفة، ولكنه لم يقل: عاقبة الكافرين، وهذا لفتح باب التوبة، وأن المكذب من الممكن أن يكفّ عن كذبه، وينجو من عقاب المكذبين، وكذلك المجرم والمفسد والظالم ومن عنده مكر أو من أنذِرَ وتلهّى، كل هؤلاء يمكن لهم العودة إلى الطريق الصحيح، كما أن الله يعطينا أمثلة على أهمية انتقاء الكلمة المناسبة في الوقت المناسب، وأنَّ اللطف في مكان يصحّ، ولا يصحّ في مكان غيره، وأنَّ الشِدّة واجبة في مكان آخر دون غيره، كما أننا نستشف من ذلك أهمية الكلمة الحسنة التي تنبه الغافل، وتزيد من وعي النابه.

---

[1] انظر هذه الآيات: الأنعام ١٣٥، الأنعام ١٤٤، القصص ٥٠.

ويقول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴾ الكهف: ١٠٣، فُسِّرت الآية "بقل يا محمد للناس- على وجه التحذير والإنذار- : هل أخبركم بأخسر الناس أعمالا على الإطلاق؟" [(١)]، أي أنَّ الخطاب كان بداية لنبينا الكريم؛ حتى يُوْصِلَ رسالة للناس كافّة؛ ولكي لا يكونوا من هذه الفئة التي تبوء أعمالها بالخسران المبين.

ونختم الكلام بأنَّ الله تعالى قام بتعليم النبي الكريم كيفية دعوة غير المؤمنين إلى الله تعالى، بطُرُق شتّى، منها: القول اللين والحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بلطف والابتعاد عن الغلظة، يقول سبحانه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ النحل: ١٢٥، ويقول سبحانه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ آل عمران: ١٥٩.

وأن يقول لهم قولا بليغا، يقول الله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾ النساء: ٦٣.

الوعد والوعيد لهم، وقد ضربنا أمثلة عديدة عليها، وأنَّ النار مصيرهم إنْ أصرّوا على الكفر، وعن طريق ضرب القصص عن الأقوام السابقة حتى تكون لهم عبرة، ويعلموا مآلهم، وعن طريق التذكير، يقول الله تعالى: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ الأنعام: ٧٠، بل إنَّ الذكرى تنفع المؤمنين، يقول الله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الذاريات: ٥٥، وكذلك عن طريق الدعوة إلى التفكر بخلق السماوات والأرض، يقول الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ يونس: ١٠١.

[(١)] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت:١٣٧٦هـ)، (٢٠٠٠م)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط١، تحقيق عبد الرحمن بن معلا، مؤسسة الرسالة: بيروت، ٤٨٧/١.

ويذكر الله تعالى قوما من الأقوام السابقة صدقوا نبيهم فرفع عنهم العذاب، ألا وهم قوم يونس عليه السلام، يقول الله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ يونس: ٩٨.

وهذه قائمة بسور فيها تهديد لهؤلاء الكافرين المشركين، وأنَّ الله أعدّ لهم العذاب الشديد: الأنعام: ٥-٦، ١١، ٦٦- ٦٧، ١٣٥، ١٤٧، ١٥٨، الأعراف: ١٨٢، يونس: ١٣-١٤، ٢٠، ٣٩، ٤١، ١٠٢- ١٠٣، هود: ١٢١- ١٢٢، يوسف: ١٠٩، إبراهيم: ٩، النحل: ٢٦، ٣٦، الإسراء: ١٧، الكهف: ٤٧، ٤٨، طه: ١٢٨، ١٣٣، ١٣٥، الأنبياء: ١٢- ١٥، الفرقان: ٣٥-٤٠، الشعراء: ٦، القصص: ٥٨، العنكبوت: ٣٨-٤٠، الروم: ٩-١٠، ٤٢، السجدة: ٢٦، سبأ: ٩، ٤٥، فاطر: ٤٣-٤٤، يس: ٣١، الصافات: ١٣٧-١٣٨، ص: ١٢-١٥، الزمر: ٢٥-٢٦، ٣٩-٤٠، غافر: ٥-٦، ٢١-٢٢، ٨٢-٨٥، فصلت: ١٣-١٨، الشورى: ١٥، الأحقاف: ٢٦-٢٧، ق: ١٢-١٤، ٣٦-٣٧، القمر: ٥١-٥٣، القلم: ٤٤-٤٥، المرسلات:١٦-١٩.

الفصل الثاني: خصوصية أسلوب الخطاب الإلهي للنبي في المستوى الصوتي

- الجرْس اللفظي

- بعض جماليات الأسلوب التي تؤثر على المستوى الصوتي:

  - التقديم والتأخير
  - الحذف
  - التكرار

- الفاصلة القرآنية

- التوازي الصوتي والإيقاع

لقد امتازت السور المكية عن المدنية بمزايا عديدة، منها الأمور المتعلقة بالنواحي الصوتية: من روعة الفواصل؛ وتناسق الألفاظ، وألَقِ أصوات الحروف، وانسجامها، وغيرها من الأمور، ولهذا ارتأيتُ الحديث عن هذا الجانب وعدم إهماله.

وقد عُرِّفَ الصوت بأنّه آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا، ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف [١]، وكان علماء العربية قد اهتموا بالصوت وأركانه، فأحاطوه بالعناية والاهتمام والدراسة، وشُغِفُوا بموسيقا اللفظ،.... واهتموا بجمالِ الرنّة وحُسْنِ الإيقاع [٢]، والصوت عند المُحْدَثِين هو "البناء الموسيقي للألفاظ " [٣]، والظاهرة الموسيقية في اللغة العربية تُعزى إلى تلك الأُميّة، حين كان الأدب أدب الأذن لا أدب العين، وقد اعتمد القوم على مسامعهم في الحكم على النص اللغوي، فاكتسبت تلك الآذان المِرَان والتمييز بين الفروق الصوتية الدقيقة [٤]، "وموسيقا القرآن الكريم إحدى عوامل البيان والوضوح في تصوير المعاني، وإبراز الأفكار" [٥].

وعندما يُذْكَر الاختيار الأسلوبي على المستوى الصوتي، يتبادر إلى الأذهان الشعر المنظوم بوصفه أكثر أنواع الكَلِم احتفاء بالأصوات، والإيقاعات، ولكن هذا لا يعني أنَّ النثر يخلو من الاختيارات الأسلوبية القائمة على توخي التأثير في المتلقي، والاستحواذ على اهتمامه بوساطة الصوت، وفي القرآن الكريم تكثيف للاختيارات الأسلوبية الصوتية [٦]، لا سيّما في الآيات والسور المكيّة التي هي موضوع هذه الدراسة، ذلك لأنَّ للناحية الصوتية في القرآن دورًا بارزًا في شدّ انتباه المتلقي، وإعجابه بهذا التناسق العجيب بين كل لفظة وأختها، وبين كل جملة وأخرى، وبين آيات السورة الواحدة، " فالعبارة القرآنية لها نسق وجرْس تعرفه

---

[١] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت:٢٥٥هـ)، (١٩٨٨م)، **البيان والتبيين**، ط ٧، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي: القاهرة، ٧٩/١.

[٢] غريب، روز،(١٩٥٢م)، **النقد الجمالي وأثره في النقد العربي**، ط ١، دار العلم للملايين: بيروت، ص ١٣٢

[٣] السعدني، مصطفى، (د.ت)، **البناء اللفظي في لزوميات المعري دراسة تحليلية بلاغية**، (د.ط)، منشأة المعارف: الإسكندرية، ص ١٧.

[٤] أنيس، إبراهيم، (١٩٦٣م)، **دلالة الألفاظ**، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة، ص ١٩٥.

[٥] الجندي، درويش، (١٩٥٨م)، **الرمزية في الأدب العربي**، ط ١، مكتبة نهضة مصر: القاهرة، ص ١٩٣.

[٦] انظر خليل، إبراهيم، (٢٠١٤م)، **الأسلوبية العربية مدخل إجرائي**، ط١، جهينة للنشر والتوزيع: عمّان، ص ٣٦-٣٧.

الأذن، ولها هيئة تركيبية وألفاظ خاصّة، فليس من الخطأ أو الغلوّ في شيء أن يقال: إنَّ الأسلوب القرآني مُعْجِز، لا يتسنّى لأحد الإتيان بمثله " [١].

وقد يتأتى الجرْس اللفظي من التكرار أو التقديم والتأخير أو الحذف، ممّا يؤكّد أنَّ للناحية الصوتية أثرها في إبراز المعنى وتوضيحه، وإشاعة الرونق البديع في آيات السور المكية، وتلمّس جماليات التناسق بين تلك الآيات، وعلاقة ذلك بالفواصل القرآنية، والتوازي الصوتي الذي لا يمكن تخطّيه عند الحديث عن الأسلوبية الصوتية.

الجرْس اللفظي:

لا بدَّ أنَّ قارئ القرآن يشعرُ بالإعجاز الموسيقي المتحقق من نظامه الصوتي البديع، وجرْس الحروف له أثر في ذلك، فحركات الحرف وسكناته، والمدّ، والغُنّة، والنبر، لها جميعا الأثر الكبير في إشاعة الجمال الصوتي والإعجاز.

ويمثل الجرْس اللفظي قيمة جوهرية في الألفاظ وبنائها اللغوي، ويتجلّى ذلك في التأثير الحسّي الذي يوحي للسامع، بما فيها من اتّساق وتوافق مع غيرها من الألفاظ في التعبير الأدبي [٢].

وقد اهتمَّ البلاغيون القدامى باللفظة، فتحدثوا عن صفاتها، ومزاياها، وكيفية اعتبار لفظة ما فصيحة دون غيرها، واعتنوا بجرْس الألفاظ وموسيقاها، وأثرها على المتلقي، وكيفية جذبها له؛ بسبب التناغم الرشيق والسلاسة بين الحروف، أو نفوره منها؛ لِقُرب مخارج الحروف مثلا، والذي يخلّ بالجماليات المُنتظَرَة من تلقي اللفظة، وقيل: " الكلمة تتكون من عدّة مقاطع، وإذا كانت هذه المقاطع غير متنافرة أحدثت في الأذن متعة وساعدت على تذوق المعنى واستساغته، ولها علاوة على ذلك قدرة تعبيرية، إذا كان جرْس هذه المقاطع يتفق مع ما توحيه الفكرة من حركة " [٣]، "والجرْس إنّما هو انسجام بين النّغمة الأساسية والأصوات الثانوية، فإذا سمعَتْهُ الأذن شعرت بالطّرب الذي تشعر به حين تسمع أيّة

---

[١] ابن نبي، مالك بن عمر بن الخضر، (٢٠٠٠م)، **الظاهرة القرآنية**، ط٤، تعليق إشراف مالك بن نبي، دار الفكر: دمشق، ص ١٧٢.

[٢] هلال، ماهر مهدي، (١٩٨٠م)، **جرْس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب**، (د.ط)، دار الحرية للطباعة: بغداد، ص ١٧٠.

[٣] اليسوعي، فيكتور، (١٩٦٤م)، **النزعة الكلامية في أسلوب الجاحظ**، دار المعارف: القاهرة، ص ٤٩.

موسيقا" (١)، "وَقَصَدَ بالجرْس حلاوة الصوت العام، ولا يختصّ بالحرف وحده، وقد رأى أن الجمال ينشأ من ملاءمة الحركة للحرف، وهذه طبيعة الإيقاع القرآني" (٢).

فالآيات الكريمة الآتية: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾ النجم: ١-٤، نرى فيها أثر تناغم الأصوات الناتج عن فواصلها المتناسقة التي تشدّ سَمْعَ المُخَاطَبِين، ونلاحظ جمال وَقْعِها على الأذن، فالسورة في عمومها منظومة موسيقية منغمة، يسري التنغيم في بنائها اللفظي كما يسري في إيقاع فواصلها الموزونة، ويُلْحَظ هذا التنغيم في السورة بصفة عامة، ويبدو القصد فيه واضحا في بعض المواضع، فقد زِيْدَت لفظة معينة؛ لتضمن سلامة التنغيم ودقة إيقاعه، إلى جانب المعنى المقصود الذي تؤديه في السياق كما هي عادة التعبير القرآني، وذلك الإيقاع ذو لون موسيقي خاص، لون يلحظ فيه التموج والانسياب، لا سيما في المقطع الأول والمقطع الأخير من السورة، وهو يتناسق بتموجه وانسيابه مع الصور والظلال الطليقة المُرفرِفة في المقطع الأول، ومع المعاني واللمسات في المقطع الأخير، وما بينهما ممّا هو قريب منهما في الجوّ والموضوع (٣)، "والإيقاع الموسيقي هنا متوسط الزمن تبعًا لتوسط الجملة الموسيقية في الطول، متّحد تبعًا لتوحد الأسلوب الموسيقي، مسترسل الروي كجوّ الحديث الذي يشبه التسلسل القصصي" (٤)، حقا إننا نجد سلاسة واضحة وعُذوبة فاشية في السورة الكريمة، نتجت عن قِصَرِ الآيات، وانتهائها بفاصلة واحدة، بل إنَّ معظم آيات هذه السورة منتهية بهذه الفاصلة، ممّا أدى إلى انسجام كبير بين الآيات، وشدّ انتباه المتلقي لهذه الفاصلة المتّصفة باليُسْرِ واللين، وكان جَرْس الألفاظ عذبا بديعا ساحرا أَخّاذا للعقول، وأمّا إيقاع التعبير فهو راقٍ لطيف.

---

(١) جويو، جان ماري، (١٩٤٨م)، **مسائل فلسفة الفن المعاصرة**، ط١، تر: سامي الدروبي، دار الفكر العربي: القاهرة، ص ١٤٧.

(٢) ياسوف، أحمد، (١٩٩٩م)، **جماليات المفردة القرآنية**، ط٢، دار المكتبي: دمشق، ص ٢١١.

(٣) الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ٣٤٠٣/٦.

(٤) قطب، سيّد، (١٩٨٧م)، **التصوير الفني في القرآن**، ط ١٧، دار الشروق: القاهرة، ص ١٠٤، وانظر اللامي، كريم، (١٩٩٧م)، **الدلالة الصوتية في القرآن الكريم**، (رسالة ماجستير)، (غ. مش)، الجامعة المستنصرية، بغداد، العراق، ص ١٧٢، وانظر حمادي، جبير صالح، (١٩٩٩م)، **التصوير الفني في القرآن الكريم، دراسة تحليلية في جهود الباحثين**، (أطروحة دكتوراه)، (غ. مش)، جامعة بغداد، بغداد، العراق، ص ١٣١.

ومن اللطائف التي نجدها في سورة الناس: تناسب الألفاظ والحروف والأصوات مع موضوع الآيات، فالوسوسة مثلا يكثر فيها حرف السين لفظا، وما يُسمع منها عند حدوثها، فناسب أنْ يكثر في سورة الناس التي يستعاذ فيها من الوسوسة هذا الحرف بالذات دون غيره، وقيل عن تناسق الآيات: الألفاظ تتسق في صياغتها، وأصواتها وطرائق نظمها وتجانس بعضها مع بعضها الآخر، والاتّساع في معانيها [١]، ولهذا فإن كل حرف وضع في القرآن، كان له غاية ومَقْصِد، وإن أُبْدِلَ بآخر فإنَّه لن يُعْطِيَ المعنى ذاته، فحرف السين المتكرر في السورة السابقة جاء في الوقت المناسب والمكان المناسب، وأدّى غرضه على أكمل وجه، فسبحان الله العظيم، وقيل: نجد في هذه السورة أنَّ كلّ آياتها تحتوي على غنّة النون المشددة في كلمتي الناس والخناس، الأمر الذي يبرز المعنى المراد، وهو الاستعاذة برب الناس، ملك الناس، إله الناس، وذلك بمدّ الغنّة مما يوحي بسعة الله سبحانه وتعالى التي تسع كل الناس في لجوئهم إليه [٢]، ويلاحظ أنَّ الفواصل منتهية بحرف السين "الذي فيه جرْس خافت مَهِيب، وله وَقْعٌ في النفوس" [٣].

وفي هذه الآية الكريمة: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ طه: ١٣٢، نلمس بجلاء الجرْس المنبعث من الآية في قوله: "واصطبر" التي نهضت على أساس صوت (الطاء) الذي هو حرف من حروف الإطباق، وهو حرف شديد، يساعد على تجسيم الجهد الذي يتمّ عند إقامة الصلاة، ومدى تحمل المؤمن للمشقة، وهو في تنفيذه للأمر الإلهي بوجوب المداومة عليها كما نفّذها الرسول الكريم [٤]، وهنا إشارة إلى المشقّة والشِدّة التي يلقاها المسلم عند أداء الصلاة في بعض الأحيان.

وإن انتقلنا إلى الآيات الأولى من سورة القلم، فإننا نشعر بانبعاثِ جرْسٍ عذب، ساعد على شيوعه ما امتازت به الآيات من قِصَر، ومن وجود فاصلة قرآنية سَلِسَة، فيها شيء من مدّ الصوت عند القراءة، والذي يُكْسِبُ الآيات مزيدا من جمال الرونق، وحُسْن التناسق والانسجام والترابط، ونلاحظ انتهاء الفاصلة بحرف النون، وهو حرف انتهت به العديد من الفواصل في كتاب الله تعالى، يقول الله تعالى: ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ

---

[١] الخالدي، **الخطاب النفسي في القرآن الكريم دراسة دلالية أسلوبية**، ص ١٧.

[٢] شملول، **تأملات في إعجاز الرسم القرآني وإعجاز التلاوة والبيان**، ص ٢٢٣.

[٣] الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ٤٨٠/٣٠.

[٤] انظر ياسوف، **جماليات المفردة القرآنية**، ص ٢٤٩-٢٥٠.

بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾ القلم: ١- ١٠، نلحظ هنا انتهاء الآيات بالواو والنون في الآيات: ١-٣، ٥-٦، ٩، أما الآية ٤ فانتهت بالميم، وقد أتَتْ للثناء على النبي الكريم، أما الآية ٧و٨و١٠ فقد انتهت بالياء والنون، وهنا نشعر بمدّ أيضا.

وتُعدّ النون أنسب الصوامت العربية وقوعًا في ختام الفاصلة القرآنية، ويرجع ذلك إلى تميّز فونيم النون الذي يجمع بين خاصيتي الوضوح السمعي، والحدّ الأعلى للتوسط في الطول، وتتمتع النون بميزة موسيقية ظاهرة في الغنّة، والغنّة هي إطالة الصوت مع ترديد موسيقي مُحَبَّب [1].

ونجد في الخطاب الإلهي للنبي الكريم استخدامًا لبعض المحسنات اللفظية البديعية كالجِناس، وهذه المحسّنات تُسْهِم إسهامًا بارزًا في الناحية الصوتية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ ﴾ القيامة: ٢٩-٣٠، إذْ نجد جِنَاسا غير تامّ بين كلمة الساق والمساق، وانتهت كل آية بحرف القاف، وهذا ساعد على شيوع إيقاع واحد، ونلمس جرْسًا لطيفًا، خفيفَ الوقع على الأذن.

[1] انظر عبد الغفار، هدى عطية، (٢٠٠١م)، **السجع القرآني، دراسة أسلوبية**، رسالة ماجستير، (غ.منش)، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر، ص ١٣١-١٣٢.

وتؤثر بعض جماليات الأسلوب على النواحي الصوتية في الآيات، ومنها: التقديم والتأخير، الحذف، التكرار.

أولا: التقديم والتأخير

هما رافدان مهمان من روافد الإيقاع الصوتي للعبارة، ونجد هذا الأسلوب في غير آية في القرآن الكريم، إذْ تمَّ تقديم لفظة أو تأخيرها لتكون في مكانها الأمثل الذي يجعلها تؤدي وظيفة معينة، فمراعاة الفاصلة القرآنية من أهمّ أساب تقديم لفظة أو تأخيرها، إذْ نجد لها قيمة صوتية ملموسة، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾الإخلاص:١-٤، تمَّ تقديم كفوا على أحد في الآية الرابعة؛ مراعاة للفاصلة القرآنية، وبتعبير آخر "لتتفق رؤوس الآيات" [١].

وفي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ ﴾ المدثر:١- ٧، نلاحظ أنَّ المفعول به تقدّم على الفعل في الآية الثالثة والرابعة والخامسة؛ مراعاة للفاصلة القرآنية؛ وحِفَاظا على الإيقاع العذب الجميل، وكذلك تقدمت شبه الجملة "لربك" على الفعل "اصبر" للسبب ذاته.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ ﴾ القلم: ١- ٣، نلاحظ تأخّر خبر ما العاملة عمل ليس "بمجنون" عن شبه الجملة "بنعمةِ"؛ وكان ذلك كذلك؛ مراعاةً للفاصلة؛ وللمحافظة على جمال الإيقاع، ومثلها هذه الآية: ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾ العلق: ٨، فقد تمَّ تأخير اسم إنّ "الرجعى" عن خبرها "إلى ربك"؛ وذلك للسبب المذكور سابقا في سورة القلم.

ومنه تقديم جواب الشرط "ذكّر" على الأداة والفعل "إنْ نفعت" في قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ الأعلى: ٩، ولو كان جواب الشرط في مكانه، لشعرنا بفرق واضح.

---

[١] ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، (ت: ٥٩٧هـ)، (٢٠٠١م)، **زاد المسير في علم التفسير**، ط١، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي: بيروت، ٥٠٦/٤.

ثانيا: الحذف

يتم حذف بعض الحروف من آخر كلمة في آية معينة، أو حذف كلمة من آخر آية معينة؛ لتوافق فواصل آيات السورة؛ ولتحافظ على الموسيقى والإيقاع العذب النَّدِيّ المُتسلسِل، ومن ذلك حذف ضمير الخطاب الكاف في قوله تعالى: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ الضحى: ٣، فقد تمّ الحذف؛ مراعاةً للفاصلة القرآنية؛ وحِفاظا على الإيقاع، فلو ثَبَتَت الكاف لشعرنا بعدم الترابط بين الآيات ولَقَلَّتْ من عذوبتها وجمال رونقها.

ومن الحذف ما نجده في قوله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ عبس: ١-١٠، فقد تمَّ حذف التاء من الأفعال المضارعة التالية: " يزكّى، يذكّر، تصدّى، تلهّى "، وكان ذلك كذلك؛ للمحافظة على التجانس بين الكلمات؛ ومراعاة لموسيقى الألفاظ؛ وضَبْطا لإيقاع الفاصلة القرآنية، وهذه التاء لو أُثْبِتَتْ لفقدت الآيات بعضا من رونقها، ومن حلاوة جرْسِها.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ ﴾ الكافرون: ١-٢، إذْ حُذِفَ العائد على ما الموصولة؛ مراعاة للنظم، وتمشّيا معَ موسيقى الفواصل، والتقدير: ما تعبدونه [١].

---

[١] البع، محمد رمضان، (٢٠٠٩م)، دلالة الأصوات في فواصل آيات جزء عمَّ، دراسة تحليلية، **مجلة جامعة الأقصى**، مج ١٣ (ع.٢): ص ٦.

ثالثا: التكرار

إنَّ أنماط التكرار على اختلاف ألوانها مرتبطة ارتباطا وثيقا بالموسيقى، سواء أكانت هذه الأنماط تكرار حرف أم تكرار كلمة أم تكرار البداية أم تكرار اللازمة، والتكرار فاعلية موسيقية وبنائية ونوع من أنواع الأداء اللغوي [١]، "كما يجب الانتباه إلى الجانب النفسي والجمالي الذي يُكوّنه التكرار" [٢]، "وكان الغرض العام له التأكيد على الكلمة المكررة أو العبارة" [٣]، "وهو أحد العناصر التي يجري بوساطتها توقيع الموسيقى؛ من أجل تقوية الدلالة وتوضيح المعنى" [٤]، ونحن نتلمّسه في آيات عديدة أثناء الخطاب الإلهي للنبي الكريم، ويُشيعُ التكرار من الناحية الصوتية جوّا من الحيوية والجمال في تلك الآيات، وتجعل المتلقي مشدودا إليها، مُتتبِّعا إياها، متأمّلا لها.

ولا يمكن إغفال القيمة الجمالية للتكرار؛ لِمَا له من أثر كبير في عملية التلقي والتأويل، ولِمَا له من أثر في الناحية الموسيقية والإيقاعية التي يُضْفِيها على النصّ [٥]، " فالتكرار في القرآن الكريم واحد من أهم عناصر بلاغته " [٦]، ومن التكرارات التي نجدها في خطاب الله لنبيه الكريم في السور المكية، تكرار الحرف، ومن ذلك تكرار الحرف:

فمثلا تكرار حرف السين في سورة الناس، وهذا تناسب مع موضوع السورة الكريمة، وقيل في القرآن الكريم نجد توظيفا للأصوات من حيث هي أصوات لها ملامح نطقية تميزها عن غيرها، فالصوت المهموس- على سبيل المثال- يجري توظيفه لإضفاء إيقاع خاص في بعض السور ذي علاقة بالمحتوى، فالوسوسة في سورة الناس هي ما يساور النفس من الشرور دون الإعلان عنه، ومثل هذا يهمس به الإنسان لنفسه ولا يجهر به، وتكرار السين بما فيها من الهمس يناسب من حيثُ الجرْس مضمون السورة، وكذلك تكراره لكلمة الناس، والوسوسة، تأكيد من خلال النّغم لِمَا في السورة من تحذير وتنبيه وتنفير من هذا الذي

---

[١] ربابعة، موسى، (٢٠١٠م)، **قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي**، ط ١، دار جرير للنشر والتوزيع: عمّان، ص ١٧.

[٢] ربابعة، **قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي**، ص ٢٨.

[٣] الملائكة، نازك، (١٩٨٩م)، **قضايا الشعر المعاصر**، ط ٨، دار العلم للملايين: بيروت، ص ٢٨٠.

[٤] العيد، يُمنى، (١٩٨٥م)، **في معرفة النصّ**، ط ٣، دار الآفاق الجديدة: بيروت، ص ٩٨.

[٥] انظر خليل، إبراهيم، (٢٠٠٢م)، **في النقد والنقد الألسني**، دار الكندي: إربد، ص ١٤٢-١٤٣.

[٦] أبو موسى، محمد، (١٩٨٤م)، **الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم**، ط١، مكتبة وهبة عابدين: القاهرة، ص ٦٥.

يساور بعضنا من إقدامٍ على الإثم، وإحجامٍ عنه [١]، "ولحركة الكسر التي تكثر في هذه السّورة.... أن تدعم كذلك إيحاء الخفوت والخفية، فهي تدلّ.... على اللطف" [٢].

وفي سورة الكوثر طغى صوت (الراء)، وكان توزيعه منتظما ومتسقا؛ منح السورة إيقاعا صوتيا بارزا؛ فتكرار الصوت كان يَشي بالحدث المستمر والمكرر وهو عطاء الله للرسول الكريم، وهو عطاء كثير فائض غزير مستمر لا ينفد على الصُّعُد كافّة [٣]، "وفي العربية صوت واحد مكرر، هو الراء، والراء.... صوت لساني لثوي أسناني" [٤].

ومن تكرار الكلمة، ما نجده في بداية سورة الحاقّة، يقول الله تعالى: ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴾ الحاقة: ١- ٨، نلاحظ تكرار كلمة الحاقة ثلاث مرّات، وهذا يدلّ على أهمية الحذر من مواصلة اللامبالاة بيوم القيامة، وعدم العمل له، بل إنكاره من الكافرين المكذّبين، وهنا إشارة أخرى إلى أهمية الاستعداد له، والعمل على تلافي أهواله الكبيرة العظيمة التي لا تُطاق، وعدم نَيْلِ العقاب الذي نالته الأقوام التي كذّبتْ فعُذِّبَتْ، كقوم ثمود وعاد، الذين لم يبقَ منهم باقية، فالنجاة من العذاب الأليم شيء مهم، ويجب ألا يُنسى، ونلحظُ العبارات الدالّة على أهوال هذا اليوم، ونجد الألفاظ الجَزِلَة القويّة الشديدة، التي تُنْتِجُ أصواتا قويّة معبّرة عن أهوال ذلك اليوم، انظر الكلمات الآتية: الحاقّة، القارعة، الطاغية، ريح، صرصر، عاتية، صرعى، خاوية، فهل ترى لهم من باقية؟ إنها عبارات قوية، تحتاج إلى تأمل كبير، وخشوع مُتَنَاهٍ عند تلاوتها؛ إذْ كيف نمرّ عليها مرور الكرام؟ دون أنْ تقشعرّ أبداننا من هذه الكلمات الدالّة على هذا اليوم المَهِيب.

---

[١] انظر خليل، **الأسلوبية العربية مدخل إجرائي**، ص ٤٠.

[٢] قبها، مهدي عناد، (٢٠١١م)، **التحليل الصوتي للنصّ، بعض قِصَار سور القرآن الكريم أنموذجا**، (رسالة ماجستير)، (غ.منش)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ص ١٤٠.

[٣] المنصوري، عبد الواحد، (١٩٩٥م)، **الإيقاع أنماطه ودلالاته في لغة القرآن الكريم دراسة أسلوبية دلالية**، (رسالة ماجستير)، (غ.منش)، جامعة البصرة، البصرة، العراق، ص ١٢٠.

[٤] خليل، إبراهيم، (٢٠١٣م)، **مقدمة في علم أصوات اللغة العربية**، أمواج للطباعة والنشر والتوزيع: عمّان، ص ٥٨.

ونلمح أمرا آخر في بداية هذه السورة، ألا وهو انتهاء آياتها بالتاء المربوطة، التي لها أثر كبير في المتلقي عند قراءة الآيات أو سماعها، لا سيّما إنْ توقفنا عند كلّ آية، فتسكين التاء يُعطي مجالا للتفكّر في الآيات، والتأمل العميق، والاستعداد الأمثل لذلك اليوم، وساعد ذلك على شيوع رونق بديع، وإيقاع عذب، وساعد على ذلك قِصَر الآيات.

ونجد في بداية سورة القارعة تكرارا كما في الحاقة، بل كان القالب ذاته الذي نجده في أول ثلاث آيات من سورة الحاقة، يقول الله تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ القارعة: ١- ١١، نلاحظ الإيقاع السريع في هذه السورة، والألفاظ القويّة الجَزِلَة التي تناسبت مع موضوع السورة الكريمة المتحدثة عن يوم القيامة، والقارعة تدلّ من الناحية الصوتية على الشِّدّة والقوة أكثر من كلمة الحاقّة، والتشبيهات التي فيها تدلّ على أهوالٍ عِظَامٍ، فإنْ أصبحَ الجبل الشامخ القوي كالصوف الذي يتطاير بمجرد هبوب ريح خفيفة عليه، فما بالنا بباقي المخلوقات، أمّا الذي ينجو من العذاب فما هو إلا الذي عمل بجدّ، أما المُقصّر في حق ربّه، فإنَّ له نارا حامية شديدة، وفي هذا وعيد وزجر وتهديد ملحوظ، وكانت براعة الاستهلال مما نلمسه في بداية السورة، وهي بداية تشوّقنا لمعرفة المقصود بالقارعة، والأمور التي ستكون في هذا اليوم، وكان التكرار للسؤال عن القارعة للتعظيم وللتهويل من شِدّتها.

"وتضمّنت لفظة القارعة معنى القَرْع والهَوْل واللطم، فهي تقرع القلوب بهولها، والأسماع بشدّة صوتها" [١]، ولقد بدأ الله السورة بإلقاء كلمةٍ مفردةٍ كأنها قذيفة، وهي «القارِعَةُ»، بلا خبر ولا صفة؛ لتُلقي بظلها وجرْسها الإيحاء المُدوّي الذي فيه رهبة، أما التشبيه في السورة فهو مشهد تطير له القلوب، وترتجف منه الأوصال ارتجافا، ويحسّ السامع أنّ كل شيء يتشبّث به في الأرض قد طار حوله هباء [٢].

---

[١] العمار، عبد العزيز، (٢٠١٢م)، خصائص الخطاب المكّي في سورة القارعة، **مجلة الدراسات القرآنية**، (ع.١٠): ص ٣٤٧.

[٢] انظر قطب، **في ظلال القرآن**، ٦/٣٩٦١-٣٩٦٢.

وإن تأملنا الآية التالية من سورة القارعة: " وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ "، فإننا نجد هاء السكت في نهايتها، وقد اتصلت بالضمير المنفصل (هي)؛ لتقوم بالتوافق الصوتي مع موسيقى الفواصل القرآنية، قبلها وبعدها [1].

ومن التكرار ما نلمسه في سورة (الكافرون)، يقول الله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦﴾ الكافرون: ١- ٦، فقد تكررت الجملة الآتية: ولا أنتم عابدون ما أعبد، عندما خاطب الله نبيه الكريم؛ لتأكيد أنَّ المؤمنين يعبدون الله وحده، وهؤلاء يعبدون ما لا يضرّهم ولا ينفعهم من الأصنام، ونلاحظ تكرار كلمات من الجذر (عبد)، وهي: (أعبد، تعبدون، عابدون، عابد، عبدتم)، وقد تكررت لفظة أعبد ثلاث مرات، وعابدون مرتين، وهذا التكرار أشاع جوا من الإيقاع متوسط السرعة، وكذلك الأحرف التالية: (ع، ن، و، م، ب، د، ا) تكررت بشكل لافت في هذه السورة؛ مما أدّى إلى شيوع جرْسٍ لطيفٍ للألفاظ، والتوازي نجده بين:

لا أعبد ما تعبدون............. ولا أنتم عابدون ما أعبد

ولا أنا عابد ما عبدتم.......... ولا أنتم عابدون ما أعبد

لكم دينكم........................ وَلِي دين.

وفي سورة الانفطار نجد تكرارا لسؤال مهمّ عن يوم القيامة، وكان التكرار لتأكيد أنَّ علمه بِيَدِ الله وحده، وأنّه يوم عظيم فيه جزاء عظيم للمؤمن، وفيه عذاب أليم للعاصي، يقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨﴾ الانفطار: ١٧- ١٨، نلاحظ تكرار الفاصلة هنا، بل هي ذات الفاصلة في الآية ١٥، وانتهت الآية ١٦ بكلمة "بغائبين" وهي منتهية بالنون، وهذا أضفى تجانسا صوتيا ملحوظا على الآيات، ونشعر بمدٍّ ناتج عن صوت الياء والنون المُتَتالِيين هنا، وكأنّ الآيات تشير إلى أهمية التفكير في التحضير لإجابة عن هذا السؤال المطروح، وكُرِّرت الألفاظ لتأكيد المعنى المطروح في السورة.

---

[1] البع، دلالة الأصوات في فواصل آيات جزء عمَّ،دراسة تحليلية، **مجلة جامعة الأقصى**، مج ١٣(ع.٢): ص٢٥

ولو تأمّلنا قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ ﴾ المطففين: ٧- ٨، فإنّنا نلاحظ تكرار كلمة سجّين، التي تدلّ أصوات حروفها المجتمعة على القوّة، والتي تُشْعِر المتلقّي بالهيبة، وتشدّ انتباهه، بل إنَّ جرْسها له وَقع خاصّ شديد، يوحي بانفجار وشيك، وهذا ناسب موضوع الآيات المتحدثة عن الكافرين، والسؤال المطروح يوحي بالتهويل، بينما عندما انتقل الحديث عن هؤلاء إلى المؤمنين، قال سبحانه: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ ﴾ المطففين: ١٨- ١٩، وقد جدتُ هنا تكرارًا لكلمة عِليّين، وهي أخفّ وَقْعَا، وأقلّ شِدّة من كلمة سجّين، وهذا يدلّ على أنَّ الأصوات المجتمعة في كلمة ما، لها أثرٌ كبير في إبراز المعنى وتقويته لدى المتلقّي، فلو نظرنا إلى هذه الآية: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ البروج: ١٢، فإننا نلمس فيها تناسقا بديعا بين الكلمات ودلالتها من جهة، وبين الألفاظ والأصوات المجتمعة فيها من جهة أخرى، فالبطش كلمة فيها شِدّة وقوّة، وتدلّ على إيقاع عذاب أليم، ولتأكيد ذلك قال سبحانه: إنَّ (للتأكيد) بطش ربك (الذي بيده المُلك) لشديد (دخلت اللام المزحلقة للتأكيد أيضا على أنَّ العذاب سيكون شديدا، وهذا البطش من الله القهّار وليس من أيّ مخلوق ضعيف).

الفاصلة القرآنية:

لا شكَّ في أنَّ للفاصلة القرآنية دورًا بارزًا في إشاعة جوٍّ من العذوبة الموسيقية التي تُرِيحُ أذن المتلقي، والناجمة عن الأصوات المتناسقة المترابطة في نهاية كل آية، وثمّة فرق بين السجع والقافية والفاصلة: " فالفواصل حروف متشابكة في المقاطع، تُوْجِب حُسْن إفهام المعاني، والفواصل بلاغة، والأسجاع عيب؛ ذلك لأنَّ الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها " [١]، "وإنك لتجد أنَّ الفاصلة القرآنية كالقافية الشعرية، وتزيد الفاصلة على نظيرتها بشحنة المعنى، ووفرة النّغم، والسّعة في الحركة" [٢]، "وبناء القرآن الكريم على الفواصل تأكيد لقيمتها الموسيقية في الكلام؛ إذْ تتوقع الأذن معَ توالي الآيات تكرير صوت أو عِدّة أصوات متشابهة" [٣]، "وتقوم الفاصلة القرآنية بدور الإحكام، فتُرْبَط بالمعنى الكلي الذي يسبقها في الآية، إضافة إلى رنينها الموسيقى الواضح، وهذا الإحكام يتّسم بوظيفتين في الشكل والمضمون" [٤]، "وهي تُعدّ جزءا لا يتجزّأ من الآية، بل تكون مُتمِّمة لمعناها، ومُكمِّلة لمضمونها" [٥]، ومن وظائفها اللفظية:

أولا: تحسين للكلام، وراحة للنفس عند التلاوة؛ فيحسن السكوت عليها وقد كَمُلَ المعنى أو قارب الكمال، بحيث يشهد الذوق بذلك ويدركه.

ثانيا: تُؤْذِنُ بانتهاء الآية، وتميّز بينها وبين التي تليها كما تميز قافية الشعر بيتا من بيت، مع اختصاص الفاصلة بأحكام الربط ودقّة النَّظْم وجمال التلاؤم.

ثالثا: تساعد الفاصلة على تلاوة القرآن مُرتَّلا مُجوَّدا بأنغام آسِرَة، ذات إيقاع جميل [٦].

ونلمح العديد من الفواصل في السور المكية أثناء الخطاب الإلهي للنبي الكريم، منها: قوله تعالى: ﴿ وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ﴿٢﴾ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ﴿٣﴾ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ﴿٥﴾

---

(١) الرمّاني، أبو الحسن علي بن عيسى، (ت:٣٨٤هـ)، (د.ت)، **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، ط ١، تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلّام، دار المعارف: القاهرة، ص ٨٩.

(٢) بدوي، أحمد أحمد، (١٩٥٠م)، **من بلاغة القرآن**، ط ٣، مكتبة النهضة: القاهرة، ص ٨٩.

(٣) العبد، محمد سليمان، (١٩٨٦م)، من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، **المجلة العربية للعلوم الإنسانية**، مج ٩ (ع.٣٦): ص ٨٥.

(٤) ياسوف، **جماليات المفردة القرآنية**، ص ٣٠٩.

(٥) خليل، أنسام خضير، (٢٠١١م)، الجرْس والإيقاع في الفواصل القرآنية، **مجلة كلية الآداب في جامعة بغداد**، (ع.٩٨): ص ٢٢٢.

(٦) المطعني، **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**، ٢٢٥/١.

وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ ﴾ الطور: ١- ٧، فما إنْ تقرع أسماعنا هذه الآيات حتى يُلْحَظ الإيقاع بملامحه النابعة من الفواصل المتكررة التي تقوم على تكرير الراء الموطأ لها بصوت المدّ وهو الواو، فهذا التكرار أشاع فيها جرْسا داخليا يقترب بها من النَّظْم، الذي يخضع في الوزن للتفعيلات والقوافي، وهنا نجد نثرا كأنه شعر، فالفواصل: طور، مسجور، منشور، معمور، مسجور، ودافع، وواقع، ومورا، وسيرا، تقوم مقام القوافي في النظم، علاوةً على أن البُعد الكمّي المتمثل في طول الجُمل، شبه الموحّد، يجعل من الآيات شبيهة بأنصاف الأبيات، وقِصَرها يتيح للنّغم فيها نبرة أكثر وضوحا في السمع ممّا لو كانت طوالا، وأمّا المَدّة المقطعية في: (ـــور) المتكررة، فتلفت السامع إلى ما في نهايات الآيات من تركيز على النّبر وإلحاح عليه، وهذا يساند، من الناحية الصوتية، الفاصلة الوزنية، وما فيها من امتداد صوتي [١]، "وجاءت الفاصلة في كتاب الله تعالى لغرض معنوي يحتّمه السياق، وتقتضيه الحكمة، ولا ضير في أنْ يجتمع معَ هذا الغرض المعنوي ما يتصل بجمال اللفظ وبديع الإيقاع" [٢]، ويمكن تسمية هذه الفواصل المنتهية بالواو والراء كالطور ومسطور ومنشور..... بالفاصلة المقطعية، والتي تعني " تكرار الفاصلة في آيات السورة على مستوى مقطع كامل متوازن، صوتًا ونبرًا ووزنًا " [٣]، ونلاحظ قِصَرَ الآيات المتتالية التي تؤدي وظيفة مهمة من الناحية الصوتية في شدّ انتباه المتلقي وجعله مُتمَعِّنا في هذه الآيات، مُستَمِعا بشغف إليها، ونلاحظ أنَّ غالبية السور المكية تمتاز بِقِصَرِ الآيات، مما يؤدي إلى تلمّس إيقاع عذب، وتناغم رشيق، وسلاسة ملحوظة، تفتقد إليه العديد من السور المدنية ذات الآيات الطِّوَال.

وفي سورة النازعات أسلوبان موسيقيان، وإيقاعان ينسجمان انسجامًا تامًّا معَ جوين فيهما، أولهما: يظهر في الآيات (١-١٥)، وهي تمتاز بسرعة الحركة، وقِصَر الموجة، وقوة المَبنى، وسرعة النبض، وشدة الارتجاف، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ﴿٥﴾ ﴾ النازعات: ١- ٥، والثاني يظهر في الآيات: ١٦إلى آخر السورة، وهي آيات وانية الحركة، رخية الموجة، متوسطة الطول،

---

[١] انظر خليل، **الأسلوبية العربية مدخل إجرائي**، ص ٣٨-٣٩.

[٢] عباس، **إعجاز القرآن الكريم**، ص ٢١٥.

[٣] الشمّري، وداد، (٢٠٠١ م)، **التوازي في القرآن الكريم**، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، بغداد، العراق، ص ١٠٤.

تنسجم مع الجوّ القصصي الذي يلي مباشرة في السورة حديث الكَرّة الخاسرة، والزجرة الواحدة، وحديث السّاهرة، على النحو الآتي: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ النازعات:١٥-١٩،وثمّة فرق بين الأسلوبين والإيقاعين واضح جليّ، وقد انسجم مع الجو العام للآيات، وكان لهذه الموسيقى وظيفة أساسية في مصاحبة المشهد المعروض [1].

وإن انتقلنا إلى سورة الكوثر، فإننا نجد فيها تناسقا عجيبا لافتا ناتجا عن قِصَرِ الآيات الثلاث، وأمّا فواصل السورة فهي سَلِسَة، عذبة، وَقْعُها خفيف على الأذن، " حقا للفواصل القرآنية أثرٌ خاص في النفس البشرية، إذْ يجلبها القرآن الكريم؛ ليريح السامع " [2] ويمتعه، وهذا ما نلمسه في فواصل هذه السورة، وأمّا كاف الخِطاب، في كلمة أعطيناكَ، فتدلّ على الكرامة الخاصّة بشخص المُخَاطَب، وهو النبي صلى الله عليه وسلم، ولا تدلّ على صفته ووظيفته، ولو أنه قال: يا أيها النبيّ إنا أعطيناكَ، أو يا أيها الرسول، لكان متضمنا تعليل الإعطاء بالنبوة أو الرسالة.... أما ما هنا "أعطيناكَ" فهو اختيار لذاته، واختيار لفظ "الكوثر" تضمن مبالغتين: الأولى: دلالة اللفظ، وهو لم يتكرر في القرآن الكريم، الثانية: دلالة استعماله، حيث هو صفة، والأصل: أعطيناكَ الشيء الكوثر، فحذف الموصوف وأبقى الصفة؛ دلالة على استقرار الصفة بذاتها [3].

وإن انتقلنا إلى سورة التكاثر التي تتفرّد بإيقاعٍ جليلٍ رهيبٍ عميقٍ، وكأنما هي صوت نذير، قائمٍ على شُرْفٍ عالٍ، يمدّ بصوته ويدوّي بنبرته، ويصيح بقوم غافلين، أشرفوا على الهاوية: "أَلهاكُمُ التَّكاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ المَقابِرَ"، أيها اللاهون المتكاثرون بالأموال والأولاد، أيها المخدوعون بما أنتم فيه عمّا يليه، أيها التاركون ما تتكاثرون فيه إلى حفرة ضيقة لا تكاثر فيها ولا تفاخر، استيقظوا وانظروا، فقد "أَلهاكُمُ التَّكاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ المَقابِرَ"، ثم يقرع قلوبهم بهول ما ينتظرهم مكوّن اتبعد زيارة المقابر في إيقاع عميق رزين: "كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ"، ويكرر هذا الإيقاع بألفاظه وجرْسه الرّهيب الرّصين: "ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ"، ثم

---

[1] انظر قطب، **التصوير الفني في القرآن**، ص ١١١-١١٢.

[2] خليل، أنسام خضير، (٢٠٠٦م)، الإيقاع الموسيقي في الفواصل القرآنية، **مجلة كلية الآداب في جامعة بغداد**، (ع.٢): ص ٩.

[3] انظر حريز، سامي محمد هشام، (٢٠٠٦م)، **نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم، نظريا وتطبيقيا**، ط ١، دار الشروق للنشر والتوزيع: عمّان، ص ١٢٢.

يزيد التوكيد عمقا ورهبة، وتلويحا بما وراءه من أمر ثقيل، لا يتبيّنون حقيقته الهائلة في غمرة الاستكثار: "كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينِ"، ثم يكشف عن هذه الحقيقة المطويّة الرهيبة: "لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ"، ثم يؤكد هذه الحقيقة ويعمّق وَقْعَهَا الرَّهيب في القلوب: "ثُمَّ لَتَرَوُنَّها عَيْنَ الْيَقِينِ"، ثم يلقي بالإيقاع الأخير، الذي يَدَعُ الغافل يتنبّه، والذي يعيش في النعيم يرتعش ممّا في يديه من ذلك: "ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ" لتُسْألُنَّ عنه من أين نلتموه؟ وفيمَ أنفقتموه؟ [١]، والفاصلة في الآية الأولى والثانية يتميز إيقاعها بالسرعة، وتدلّ على افتتاح الكلام لمعرفة النتيجة لهذه الأعمال، " وفواصل سورة التكاثر متنوعة بين الراء والنون والميم، وهي أصوات احتكاكية، تعطي فسحة للعبرة بعد التذكير بأحوال الموتى، وما ينبغي على العبد اختياره لتجنّب العذاب " [٢].

وفي سورة المُدثّر نلمحُ سرعة الإيقاع للفاصلة القرآنية؛ ونتجَ ذلك عن تتابع الأوامر والنواهي المُتسلسِلة في الآيات السبع الأولى التي اتَّسَمَت بالقِصَر، وهذا يدلّ على أهمية الامتثال السريع لأوامر الله تعالى ونواهيه، وامتازت الفاصلة القرآنية بالسلاسة وبعذوبة جرْسها، ونلاحظ أن الراء قد سُبقت بحرف مكسور، إلا الراء في كلمة "فاهجُر"، وهذا الأمر ساعد على شيوع نغم موسيقي متجانس، مترابط، جذّاب، يزيد من حلاوة الإيقاع، ومن عذوبة الأصوات، انظر قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ ﴾ المدثر: ١- ٧.

وأمّا قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ ﴾ المزمل: ١- ٤، فنجد في بداية السورة عِدّة أوامر للنبي الكريم، ونلاحظ أنَّ الفاصلة القرآنية فيها إطلاق ومدّ للصوت؛ حتى يتسنّى لمتلقي الوحي القيام بما أمره الله، وفي الوقت ذاته نشعر بعذوبة الفاصلة وخفّة وَقْعِهَا على الأذن، بل تكررت الفاصلة "قليلا"؛ للترويح عن نَفْسِ النبي الكريم، وعن نفوس المؤمنين الذين سيقومون الليل، وكان هذا للتأكيد على أنَّ قيام الليل فيه بركة عظيمة ولو كانَ لوقتٍ قليلٍ، وأنَّ قيامه فيه خير عظيم، مهما كانت مُدّة القيام.

---

[١] انظر قطب، **في ظلال القرآن**، ٦/٣٩٦٢-٣٩٦٣.

[٢] البع،دلالة الأصوات في فواصل آيات جزء عمَّ، دراسة تحليلية، **مجلة جامعة الأقصى**، مج ١٣(ع.٢): ص٢١

أما الآيات الآتية: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ ﴾ عبس: ١-١١، فتمتاز بفواصلها العذبة السَّلِسَة المتجانسة، المنتهية بالألف المقصورة، والتي تُشعرنا عند قراءتها بمدّ للصوت؛ يؤدي إلى شدّ الانتباه والتَّفكُّر في هذه السورة، وأمّا آياتها القصيرة فقد تسبَّبت بشيوع إيقاعٍ سريعٍ، وكأنَّ الله في عتابه لنبيه الكريم، يُلقي بإشارة خاطفة سريعة، ولا يُطيل الوقوف على هذه الحادثة، ولهذا قال سبحانه: "كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ "، فَعِتَابُه للنبي الكريم كانَ للتذكير، وكلمة "كلّا" ذات النغم الموسيقي الفريد، أوحت بأن الخطاب سيتحول من هذا العتاب إلى أمر آخر، وهذا ما حدث.

وأمر آخر يمكن أن نلاحظه في الآيات السابقات، وهو ورود الأفعال المضارعة التي تختصّ بابن أمّ مكتوم، وهي تدل على الاستمرارية: (يزكّى، يذكّر، فتنفعه، يسعى، يخشى)، وهذه الأفعال تدلّ على أن الموقف ذاته أو شبيه منه، قد يتكرر مع شخص آخر؛ وهذا يشير إلى أهمية حذر النبي الكريم من العودة إلى ذلك معَ المُستضعَفِين، بل إنها رسالة لكل مسلم، يجب الأخذ بها، أمّا عندما تحدث رب العالمين عن أعمال النبي الكريم، فقد استخدم الفعل الماضي؛ وكأنَّ هذه الأعمال كانت الأولى والأخيرة، ولم يَعُدْ إليها النبي الكريم، انظر: (عبس، تولّى).

وإن انتقلنا إلى سورة الأعلى، فإننا نلمح فاصلة بديعة سَلِسَة، تواترت في جميع آياتها، وساعدَ قِصَر الآيات على شيوع إيقاع سريع، وجرْس عَذْب، انظر قوله تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ الأعلى: ١- ٩، وعندما نقرأ هذه الآيات نشعر بأن كل آية منها تنقسم إلى قسمين، وهذا أثّر من الناحية الصوتية على زيادة جمال السورة، وذلك كالتالي:

سبح اسم ربك..... الأعلى (صفة)　　　　الذي خلق..... فسوّى (نتيجة)

الذي قدّر..... فهدى (نتيجة)　　　　والذي أخرج..... المرعى

فجعله غثاء..... أحوى (صفة)　　　　سنقرئك..... فلا تنسى (طلب)

إنه يعلم الجهر وما يخفى (ضدّ)   ونيسرك..... لليسرى

فذكّر (أمر)..... إن نفعت الذكرى (شَرْط).

وأمّا فواصل سورة الفلق التالية: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ الفلق: ١- ٥، "فقد انتهت بحروف شديدة مقلقلة مفخمة؛ لكي تعطيَ اهتزازا واضطرابا في النَّفْسِ" [١]، وهنا نشعر بتروٍّ شديد مطلوب من المتلقّي؛ ليتفكّر في هذه الآيات وما فيها من أمور جِسَام؛ تحتاج إلى حذر شديد.

وأما سورة الإخلاص المتميزة بقِصَرِها وقِصَرِ آياتها ذات الإيقاع السريع، فإنَّكَ عندما ترتّلها " ترى لها جاذبية خاصّة، تجتذبُ إليها انتباهكَ، وتمنح أذنكَ من المتعة، ونفسكَ من الارتياح، ما لا تجده في بعض الشِّعر " [٢]، وهذا ما جعل قريش صاحبة الفصاحة تتعجب من تركيب الجُمَل الأخّاذ، ومن روعة الإيقاع، وتجانس الألفاظ، وتناسق الأصوات للحروف، وبالتالي عجزوا عن الإتيان بمثله أو بسورة من مثله، وكذلك سائر العرب، وأمّا فواصل السورة فمتجانسة، مترابطة، منتهية بحرف الدال، والتي تكررت فيها كلمة "أحد" في بداية السورة ونهايتها؛ للتأكيد على أنَّه واحِدٌ أَحَد.

ونجدُ في سورة الفيل فواصل بديعة، سَلِسَلة، ذات إيقاع لطيف، وجرْس أخّاذ، يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾﴾ الفيل: ١- ٤، وكان لاقتران الياء واللام في نهاية الفاصلة أثر في زيادة جمالية الفاصلة، والإحساس بمدّ ناتج عن اقترانهما؛ يؤدي إلى تأمّل للآيات الكريمة، وتفكّر بها عند المتلقّي، وقد كانت الآية الأخيرة قد انتهت بفاصلة مغايرة؛ إذْ تحوّلت من الياء إلى الواو؛ مع الإبقاء على اللام، في قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ

---

[١] أحمد، عصام أسعد، (٢٠١٢م)، **المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها، دراسة تطبيقية في سور جزء عمّ**، رسالة ماجستير، (غ.منش)، الجامعة الإسلامية، غزّة، فلسطين، ص ١٤٣، وقد وردَ خطأ في الأصل برفع كلمتين، هما: اهتزاز واضطراب، والصحيح ما أوردناه بالنَّصب.

[٢] حسّان، تمّام،(١٩٩٣م)، **البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنصّ القرآني**، ط ١، عالم الكتب: القاهرة، ص ٢٧٠.

مَّأْكُولِۭ ﴾ الفيل: ٥، وهذا يدلّ على أنَّ الفاصلة إنْ تغيّرت، فإنَّ المعنى لا يتأثر، وجماليات الآية كذلك؛ لأنَّ مراعاة الموسيقى هي رديف المعنى، وكلاهما سبب لا يزيد أحدهما عن الآخر في أثره.

وإنْ تمعنّا في قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾ ﴾ الهمزة: ١- ٩، فإننا نلاحظ صوت الهاء في فواصل السورة، "وهو صوت احتكاكي يجعل السّامع يفكّر وقتا طويلا بمعرفة العقوبة المترتبة على فعل اللمز والهمز قبل القيام به، وهذا متحقق في صفة الاحتكاكية لصوت الهاء الملائمة لتلك المعاني التي تحمل معنى الهلاك لكل طعّان عيّاب" [١]، ويمكن ملاحظة البداية التي فيها قوّة وشِدّة من ناحية اللفظ والمعنى، والمتمثّلة في كلمة "ويل"، ثم بعدها بآيات قلائل أتت كلمة فيها زجر وهي: "كلّا"، وهاتان اللفظتان تُشْعِران بالهيبة من الناحية الصوتية، وعند الحديث عن الحطمة، تمّ تكرار اللفظة، واستُخدِمَت في سؤال مطروح، وهذا السؤال يدلّ على التهويل من هذه النار الشديدة، ونلاحظ الإيقاع السريع للآيات القصيرة، ولا سيّما في نهاية السورة، وكأنَّ في هذا إشارة إلى أهمية الحذر من النار الشديدة القوية ذات الصفات المَهِيبة.

وإذا اطّلعْنا على فواصل الآيات في جزء عمَّ، فإننا نجد تكرارا لصوت الألف، ولعل امتداد النَّفَس عند النطق بالألف، وما يصاحبه من امتداد الصوت يتناسب مع أسلوب الدعوة إلى الله، والمجادلة لأهل الباطل بالبراهين العقلية، كما أنَّ صفتي الرخاوة والجهر اللتين يمتاز بهما صوت الألف الغالب على فواصل الآيات في جزء عمَّ، يتناسب مع معاني الوعيد، وما تحتاجه من رفع الصوت، واستمراره، وما فيها من أهوال ومواقف صعبة تجعل الولدان شيبا، ومن ذلك سورة الأعلى، ونسبة الأصوات الغالبة على فواصل آيات جزء عمَّ، هي أصوات مجهورة، كالنون والدال والراء والميم واللام والقاف والباء والعين والظاء والجيم والطاء، بالإضافة إلى الألف [٢].

---

[١] البع،دلالة الأصوات في فواصل آيات جزء عمَّ،دراسة تحليلية، **مجلة جامعة الأقصى**، مج ١٣(ع.٢): ص٢١

[٢] انظر المرجع السابق، ص ٢٠-٢١.

التوازي الصوتي والإيقاع:

للتوازي دور مهم في تشكيل إيقاع النصّ، وربط أجزائِه معًا؛ مما يؤدي إلى شيوع نوع من اهتمام المتلقي بهذا النصّ، وإعجابه بتفرّده عن غيره من النصوص، "وكان للشعر العربي اهتمام بهذا الأمر، فقد صاغ العرب القدماء أشعارهم على أوزان وإيقاعات متوازية، فقد كان التوازي وسيلتهم العَروضية واللغوية في قرض الأشعار؛ ولذا كان جُلّ اعتماد الشاعر لإيجاد الإيقاع الشعري المطلوب، على صياغة سطوره الشعريّة من خلال الموازاة والتكرار" [١]، "ويظهر التوازي في البنية الفونولوجية، والصرفية، والتركيبية، والمعجمية للغة" [٢].

والمقصود بالإيقاع: "حركة النّصّ الداخلية الحيوية المتنامية التي تمنح نسق الرموز المؤلفة للعبارة الدّفق والثراء" [٣]، والإيقاع الموسيقي في القرآن يتألف من عناصر متنوّعة هي: مخارج الحروف في الكلمة الواحدة، وتناسق الإيقاعات بين كلمات الفقرة، واتجاهات المدّ في الكلمات، ثم اتجاهات المدّ في نهاية الفاصلة المُطّرِدَة في الآيات، ومن حرف الفاصلة ذاته [٤]، "ويتمثل الإيقاع في انسياب الآيات انسيابا متناسقا على نظام اختصَّ به القرآن" [٥]، فالله جعله متلوّا لا يُملُّ على طول التلاوة، ومسموعا لا تَمُجُّه الآذان، وغَضّا لا يَخْلَق على كثرة الردّ [٦]، "وهذا مُتّسق معَ ما ينبعث في النَّفْسِ من هزّات داخلية" [٧].

---

[١] الضالع، محمد صالح،(٢٠٠٢م)، **الأسلوبية الصوتية**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع: القاهرة، ص ٤٦.

[٢] ياكبسون، رومان، (١٩٨٨م)، **قضايا الشعرية**، (د.ط)، تر: محمد الولي ومبارك حنّوز، دار توبقال للنشر: الدار البيضاء، ص ٨٤.

[٣] اليافي، نعيم،(١٩٨٥م)، ثلاث قضايا حول الموسيقى في القرآن، **مجلة التراث العربي**، (ع.١٧): ص ٩٠.

[٤] قطب، **في ظلال القرآن**، ٢٠٣٩/٤.

[٥] الكوّاز، محمد كريم، (٢٠٠٥م)، **الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم**، ط ١، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية: بنغازي- ليبيا، ص ٣٢٩.

[٦] الدينوريّ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، (ت:٢٧٦هـ)، (١٩٧٣م)، **تأويل مُشْكِل القرآن**، ط ٢، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث: القاهرة، ص ٣، وقصد بالردّ: التِّرداد له.

[٧] سلّام، محمد زغلول، (١٩٦١م)، **أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري**، ط ٢، دار المعارف: القاهرة، ص ٢٤٤.

"ويذهب أهل العلم إلى أنَّ الإيقاع تحكمه سبعة قوانين هي: النظام، التغير، التساوي، التوازي، التوازن، التلازم، التكرار" [١]، وهذه القوانين تعمل مجتمعة متلازمة في إنتاج الإيقاع الصوتي، ونجد في آيات القرآن الكريم تناسقًا ناجمًا عن " الإيقاع الموسيقيّ الناشئ من تخيّر الألفاظ ونَظْمِهَا في نسق خاص، وهذه الظاهرة واضحة جِدّ الوضوح في القرآن، وعميقة كلّ العمق في بنائه الفني" [٢]، وحيثما تلا الإنسان القرآن أحسَّ بالإيقاع الدَّاخليّ في سياقه، يبرز بروزًا واضحًا في السور القِصار والفواصل السريعة، ومواضع التصوير والتشخيص بصفة عامة؛ ويتوارى قليلا أو كثيرا في السور الطِّوَال.... ولكنه- على كلّ حال- ملحوظ دائمًا في بناء النظم القرآني [٣].

وللإيقاع أنواع في كتاب الله العزيز:

الأوّل: السريع، كما في بداية سورة الطور.

والثاني: الهادئ، كما في مواضع الدعاء المتفرقة فيه.

والثالث: البطيء، كما في آيات الأحكام، إذْ فَصّل سبحانه وتعالى أمور العبادات والمعاملات، ويُلاحَظ في هذا النوع من الآيات السلاسة والتمهّل في إيقاع الأسلوب؛ لأن المُراد منها تعليم الناس، ولا يكون ذلك إلا بالتمهّل في العَرض.

والرابع: الشديد، كالآيات التي تصف مشاهد يوم القيامة [٤]، ومنها: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَـَٔاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَـٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَـٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَـٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَـٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ الواقعة: ٤٩- ٥٧، وتظهر عناصر الشدّة والقوّة في هذا الإيقاع، فقد بدأت هذه الآيات بفعل الأمر "قل"، ثم تَبِعَها النداء بـ " أيها الضالون"، ونلحظ بعدها الالتفات من المخاطَبة إلى الغيبة، ثمّ الرجوع إلى المخاطَبة في قوله تعالى: "ثُمَّ إِنَّكُمْ"--- "

---

[١] إسماعيل، عزّ الدين، (١٩٧٤م)، **الأسس الجمالية في النقد العربي**، ط ٣، دار الفكر العربي: القاهرة، ص ١٢٢.

[٢] قطب، **التصوير الفني في القرآن**، ص ٨٧.

[٣] انظر المرجع السابق، ص ١٠٣.

[٤] انظر الكوّاز، **الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم**، ص ٣٢٩- ٣٣٠.

هَٰذَا نُزُلُهُمْ "--- "نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ "، ونجد التحضيض "فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ"، ونجد التأكيد (بإنّ واللام) على حصول ما أوعد الله المكذّبين [1].

وثمّة توازٍ بين آيات سورة الطور (١-١٥)، وهو توازٍ يعتمد على المفردات، وجرْسها الصوتي على النسق الثنائي الآتي:

كتاب- مسطور

رقّ- منشور

بيت- معمور

سقف- مرفوع

بحر- مسجور

نلاحظ أنَّ الكلمات التي على اليمين متشابهة نطقا وجرْسا، والكلمات التي على اليسار كلها على وزن مفعول، ووقْعُها الوزنيّ على الأذن وَقْعٌ متجانس [2]، ونلاحظ اطّراد اسم المفعول في مواقع، والعدول عنه لصيغة اسم الفاعل في مواقع، والعدول عن هذه الصيغة لصيغة المصدر في مواقع، وهذا التنقل من صيغة صرفية لصيغة أخرى لا بُدَّ أنه يتضمن في ثناياه مَلْمَحا من ملامح الأسلوب القرآني المُعجِز، فهو عند الحديث عن الكتاب العزيز اطرد في تكرير اسم المفعول لبيان أنه من وحي الخالق، فهو منشور تارة، وتارة مسطور، وهو معمور أي البيت، ومسجور أي البحر، ففي كلٍّ تعبيرٌ عن قدرة الخالق، ولمّا تحوّل الحديث إلى يوم الحساب، وما فيه من العذاب، عَدلَ لاسم الفاعل الذي يتضمن في بنيته الإشارة للقادر تارة، والعاجز تارة، فهو لا محالة واقع، وأما العدول للمصدر فهو للتأكيد، ولهذا فالعدول من صيغة صرفية لأخرى لا يجري عبثا، أو عشوائيا، وإنما له دلالاته التي تُغْنِي المعنى، وترفع من رتبة الأسلوب؛ لأن أي عدول في المبنى لا بُدَّ أنْ يَنُمَّ عن عدول في المعنى [3].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ نٓۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن

---

[1] انظر الكوّاز، **الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم**، ص ٣٣١.

[2] خليل، **الأسلوبية العربية مدخل إجرائي**، ص ٣٩.

[3] انظر المرجع السابق، ص ٦٦-٦٧.

ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾﴾ القلم: ١-١٠، نلاحظ انتهاء الآيات بأفعال مضارعة تدلّ على الاستمرار، مثل: (يسطرون، يبصرون، يُدْهِنون)، وقد أضْفَتْ هذه الأفعال جوا من الحيوية على النصّ القرآني، وزادت من روعة الجرْس وحلاوة الإيقاع، والبعض الآخر من الآيات انتهى بالمشتّقات، مثل: اسم المفعول (مجنون، ممنون، المفتون، مَهين)، اسم الفاعل (المهتدين، المكذبين)، وصيغة المبالغة (حَلّاف)، وهذه المشتقات المتعددة تكاتفتْ وتفاعلتْ معًا؛ لتضيفَ للسورة إيقاعًا عذبًا، وجرْسا لافتا، وحيوية ملموسة، ونجد التوازي في الآية بين:" فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ"، فكل فريق سيعلم الحقّ، وأما قوله تعالى: "إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ "، فهنا إشارة تؤكِّد ما وَرَدَ في الآية الخامسة، وتدل على أنَّ الله يعلم الفريق الضالّ والفريق المهتدي المُتّبِع للحقّ، وأن كل فريق سيبصر ذلك لا محالة.

وأمّا سورة الشرح التي يقول فيها سبحانه: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ﴿٨﴾﴾ الشرح: ١- ٨، فنلاحظ انتهاء فواصل الآيات بالكاف في الآيات الأربعة الأولى، وقد أشاعت جوا من الحيوية وشدّت انتباه المتلقي، "وكاف الخطاب تعطي موسيقى عذبة كجريان الماء في الجدول، حين ترتطم بحاجز عند المَصبّ، ثُمّ تجتازه وتنطلق في الشِّعاب والوديان، وكاف الخطاب فيها تسرية لنفس النبي الكريم...كل ذلك في نغمات موصولة هادئة " [1]، ثُمَّ أتت بعد هذا فاصلتان تكررتا، وهما: (يُسرا)، وهذا التكرار يبيّن رحمة الله الكبيرة، ويؤكدها لعباده.

ومن التوازي في السور المكيّة، ما نلمسه في قوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا

[1] سلطان، منير، (د.ت)، **الفصل والوصل في القرآن الكريم**، ط ٢، منشأة المعارف: الإسكندرية،ص ٢١٥.

نَنۡهَرۡ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴿١١﴾ ﴾ الضحى: ١- ١١، إذْ نجده بينَ سجى وقلى، والآخرة والأولى، والإعطاء والرضا، واليُتم والإيواء، والضلال والهدى، والفقر مع الغنى، ثُمَّ جاء التوازي من جهة أخرى فذُكِرَ اليتيم لتوازي "ألم يجدكَ يتيما"، والسائل الذي ينهر موازٍ للفقير الذي أغناه الله، والنعمة والحديث عنها موازية لما سبق، ويأتي التوازي أيضا من جهة الفواصل، فهي كلّها متوازية صوتيا: سجى، قلى، أُوْلَى، ترضى، آوى، هدى، أغنى، وبين تقهر وتنهر، ويأتي التوازي أيضا في رؤوس الآي: يجدك، وجدك، وبين الشرط: فأمّا السائل، وأمّا اليتيم، وتكرار الفاء الواقعة في جواب الشرط أدّى لوضوح هذا التوازي في آخر ثلاث آيات من السورة، والتوازي فضلا عن هذا يتحقق في تماثل بعض الأفعال، مثل: تقهر، وتنهر، وبعض الصيغ الصرفية، مثل: ضالّ، وعائل، وسائل، وقد حذف من أواخر الآيات الضمير، إذْ الأصل: قلاكَ، فآواكَ، فهداكَ، فأغناكَ، لتوافق ودّعكَ، واكتفى بالفعل اعتمادا على السياق، وحفظا للسلاسة، والإحساس بالنغم، ومراعاة للفاصلة، ولِمَا فيها من حلاوة الجرْس، وروعة الإيقاع [١]، ونلحظ هنا الحنان، والرحمة التي تنسرب من خلال نَظْمٍ لطيف العبارة، رقيق اللفظ؛ ولكون الموسيقى السارية في التعبير، الرتيبة الحركات، المتأنية الخطوات، الرقيقة الأصداء، الشجية الإيقاع [٢]، ونلاحظ أنَّ فواصل الآيات السبعة الأولى في هذه السورة منتهية بالألف المقصورة، وقد تمَّ إمالة الألف في الآيتين الأولى والثانية؛ ليشاكل التلفّظ بهما التلفّظ بما بعدهما، والإمالة في الأصل تقريب الصوت من الصوت، كإمالة الألف نحو الياء، أو الفتحة نحو الكسرة، ولمّا كانت فواصل سورة الضحى مختلفة من حيث أصل الألف فيها؛ فقد قُرِئت بالإمالة؛ ليوفّق بينَ الألفاظ، وتجري الآيات على سَنَن واحد [٣].

ومن التوازي، ما نجده في سورة الفلق، "فالفلق والغاسق مشهدان من مشاهد الطبيعة وهما متقابلان في الزمان، ومن ناحية أخرى: "النفاثات في العقد" و"حاسد إذا حسد" مخلوقان آدميان، ومن ناحية ثالثة: "النفاثات" و"الحاسد" جنسان متقابلان في الإنسان، وهذه الأجزاء موزعة على الرقعة توزيعًا متناسقًا، متقابلةً في اللوحة ذلك التقابل الدقيق، وكلها ذات لون

---

[١] انظر خليل، **الأسلوبية العربية مدخل إجرائي**، ص ١٤٥-١٤٦.

[٢] انظر قطب، **التصوير الفني في القرآن**، ص ١٢٥.

[٣] الكوّاز، **الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم**، ص ٣٤٥، والزركشي سمّى هذا العدول عن الأصل لمراعاة التوافق الموسيقي بـ: إمالة ما أصله ألا يُمال، وهي قاعدة من أصل اثنتي عشرة قاعدة أدرجها تحت عنوان: إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل، انظر الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ص ٦٧.

واحد، فهي أشياء غامضة مرهوبة، يلفّها الغموض والظلام، والجوّ العام قائم على أساس هذه الوَحدة في الأجزاء والألوان" [١].

ومن التوازي ما نجده في بداية سورة العلق، يقول الله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ العلق: ١- ٥، إذْ نلاحظ أنَّ الآية الأولى والثانية فيهما نَسَق تقابلي مفرد، وهو يتمثّل في تماثل أصوات كلمتي الفاصلتين، باستثناء صوت الخاء المهموسة والعين المجهورة، ويوفر التماثل والتقابل تنوّعا إيقاعيا من خلال التناوب بين الأصوات المهموسة والمجهورة، كما أنَّ التقابل بين صوتي الخاء والعين يتضمن ملمحا توافقيا وهو الاحتكاك [٢]، ونلاحظ سلاسة الإيقاع وعذوبة الفاصلة وخفّة وَقْعِهَا على الأذن، وهذا ما تمتاز به الفواصل الأخرى في الآيات (٣-٥)، ونلاحظ أنها تمتاز بالعذوبة والسلاسة، وأنَّ الميم قد سُبقت بفتحة في آخر كل فاصلة قرآنية، وهذا زاد من أَلَقِ الفاصلة وخفّتها.

وخلاصة القول، إنَّ الآيات المكيّة التي خاطب الله فيها رسولَه الكريم قد تميّزت بِبنيتها الصوتية وبإيقاعها المتنوع، ونلمح فيها إعجازا موسيقيا، تأتّى من جرْس الألفاظ العذب، وتكرار بعض الكلمات، أو حذفها، أو تقديم لفظة معينة أو تأخيرها، أو من التوازي الصوتي في الآيات؛ لإشاعة جوٍّ من التلاؤم بين الآيات؛ ومراعاة للفاصلة القرآنية التي لها أثر كبير في نفوس المتلقين، وأسهمت هذه الأمور في إبراز المعنى وتوضيحه، وزيادة التناسق بين آيات السورة، ممّا أدّى إلى شيوع حلاوة ملموسة، وتدبّر شديد، وفَهْم كبير لآي الذِّكْر الحكيم.

---

[١] انظر قطب، **التصوير الفني في القرآن**، ص ١١٦-١١٧.

[٢] عتيق،عمر عبد الهادي،(٢٠٠٩م)،الأسلوبية الصوتية في الفواصل القرآنية، **مجلة المنار**، مج١٦(ع.٣):ص١٥

الفصل الثالث: خصوصية أسلوب الخطاب الإلهي للنبي في المستوى الدلالي

أولا: تنوّع التراكيب بين الخبر والإنشاء

ثانيا: مكوّنات الخطاب وأساليبه:

أ- الأمر

ب- النهي

ج- النداء

د- الاستفهام

هـ- القَسَم

تنوّع التراكيب بين الخبر والإنشاء:

تنوّع أسلوب الخبر والإنشاء في خطاب الله لنبيه الكريم صلى الله عليه وسلّم، فمثلا نجد في الجملة الإنشائية استخدام الأمر أكثر من النهي في آية معينة؛ لأن الأمر أكثر ملاءمة من النهي، وفي آية أخرى نجد العكس صحيحا، أو أنَّ جملة خبرية أنسب من الإنشائية وهكذا.
فالخبر كلامٌ يحتملُ الصدق والكذب لذاته [١].

أمّا الإنشاء فعلى خلاف ذلك، فهو: كلامٌ لا يحتمل صدقا ولا كذبا لذاته، نحو: اغفر، وارحم، فذلك لا ينسب إلى قائله صدق أو كذب، فمن ذلك طلب الفعل في افعل، وطلب الكف في لا تفعل، وطلب الفهم في الاستفهام، وطلب الإقبال في النداء، وهنا لا تتحقق هذه الأمور إلا إذا نطقنا بها أمام المخاطَب، أو وصلت إليه بشكل من الأشكال، وينقسم الإنشاء إلى نوعين: إنشاء طلبي وإنشاء غير طلبي، فالإنشاء غير الطلبي ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، ويكون: بصيغ المدح والذم والقَسَم والتعجب والرجاء وكذا يكون برُبَّ ولعلَّ، وقيل: إنَّ الإنشاء غير الطلبي لا يبحث عنه علماء البلاغة؛ لأن أكثر صيغه في الأصل أخبارٌ نُقِلت إلى الإنشاء، وإنما المبحوث عنه في علم المعاني هو الإنشاء الطلبي لما يمتاز به من لطائف بلاغية. وأما النوع الثاني من الإنشاء، فهو: الإنشاء الطلبي، وهو الذي يستدعي مطلوبا غير حاصلٍ في اعتقاد المتكلم وقت الطلب، وأنواعه خمسة: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء، ويكون الإنشاء الطلبي أيضا بالعرض والتحضيض، وهذان النوعان لم يتعرض لهما البيانيون كثيرا؛ لأنّهما مولدان على الأصح من الاستفهام والتمني، فالأول من الهمزة مع لا النافية في «ألا»، والثاني من هل ولو للتمني، مع لا وما الزائدتين في «هلّا وإلّا» بقلب الهاء همزة [٢].

وقد سبق في الفصل الأول الحديث عن العديد من الآيات التي تحتوي جملا خبرية، وكذلك أشرنا إلى بعض الجمل الإنشائية، ومن تلك التراكيب الخبرية ما ذكرناه من بعض صفات النبي، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ﴾ النازعات: ٤٥، فهذه جملة خبرية تدل على أن من أبرز مهام النبي الإنذار، بل إنه حصر مهمته في هذا السياق بإنذار الناس من عذاب الله الشديد، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ ﴾ النجم: ٣- ٤، يعد من التراكيب الخبرية، وهنا خطاب باستخدام ضمير الغائب.

---

[١] الهاشمي، أحمد،(١٩٩٩م)، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**،المكتبة العصرية: بيروت، ص ٥٥

[٢] انظر المرجع السابق، ص ٦٩-٧٠.

ويتوافر أسلوب الإنشاء بكثرة في الآيات ومنها: ﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ الأنعام: ١٠٦.

ونجد تنوّعًا في استخدام هذين التركيبين (الإنشاء والخبر) في القرآن عند مخاطبة النبي الكريم، بل يتلو الواحد منهما الآخر عند الخطاب، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ الأنبياء: ٣٤، إذْ نجد القِسْم الأول فيه تركيب خبر، وهو قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾، ثم ذَكَرَ رب العالمين تركيبا إنشائيا يحوي أسلوب الاستفهام، وذلك بقوله: ﴿ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ عبس: ١-٣، لقد بدأ الخطاب هنا بتركيب خبريّ وباستخدام ضمير الغائب في الآيتين: الأولى والثانية، ثم استخدم أسلوب الالتفات في الآية الثالثة، ورافق هذا الانزياحَ الأسلوبي تغييرٌ في التركيب من الخبر إلى الإنشاء، إذْ يطرح رب العالمين سؤالا على نبي الهدى يعاتبه فيه.

وأحيانا نجد جملا خبرية تحمل في طياتها نفي عمل معين عن نبينا الكريم، بعد جملة إنشائية، كقوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾ الذاريات: ٥٤، فقد بدأت الجملة بفعل أمر موجه للنبي الكريم، ثم نفى الله وقوع اللوم عن النبي الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ الطور: ٢٩، فقد بدأت الآية بجملة إنشائية، ثم نفى الله عن نبيه أن يكون كاهنا أو مجنونا بِنِعَمِ الله.

وعندما نفى الله عن نبيه بعض الصفات الكاذبة التي اتهمه بها الكافرون، كاتهامهم له بالسحر، نجد تارة استخداما لأسلوب الخبر المجرد في عرض اتهامهم، كقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ يونس: ٧٦، وتارة أخرى نجد صورة الخبر المؤكد بالقسم، كقوله تعالى: ﴿ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ هود: ٧،

وتارة أخرى نجد استفهاما إنكاريا، كقوله تعالى: ﴿ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ الأنبياء: ٣، وتارة أخرى نجد استفهاما توبيخيا، كقوله تعالى: ﴿ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ الطور: ١٥، ولهذا التنوّع في الأساليب هدف سامٍ، وغاية رفيعة، تبعد السأم، وتبين كذب المفترين، وترد عليهم وعلى أكاذيبهم المتنوعة المتعددة المتلاحقة.

والقصص القرآنية كان لها نصيب من تنوّع الخبر والإنشاء، فقد كانت صيغة الأمر أكثر الصيغ الإنشائية التي استُخدِمَت في القصص، وتكررَ الفعل "اذكر" غير مرة [1]، عند الخطاب الإلهي للنبي، كقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ ص: ٤١، وكان للاستفهام نصيب آخر من القصص القرآنية، كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ ﴾ البروج: ١٧- ١٨، وكقوله: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾ النازعات: ١٥، والاستفهام أسلوب يطرح لإعلام الآخرين بحادثة ما، إذْ قبل طرحها، يتم الاستفهام عن علم الشخص المُخاطَب بها أو لا، وإن كان يعلمها فلربما كان الهدف من السؤال التذكير والاعتبار بما جرى لأصحاب تلك القصص، أو للتحذير مما وقع عليهم من عذاب وغيره من أمر ما، ويُقِيمُ السَّرْدُ القرآني العلاقات اللغوية مع المتلقي أيضا عبر الكثير من الصيغ الخبرية، التي تقوم على الإثبات حينا وعلى النفي حينا آخر، فجدلية النفي والإثبات ظاهرة مهمة في الأسلوب الذي تتصف به السور المكية، ويتم تبيان العلاقة المميزة بين سياق السَّرْد القرآني والمتلقي البشري الأول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم، كقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾ يوسف: ٣، وكقوله: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ الكهف: ١٣، وفي سورة الكهف خطابٌ للنبي الكريم خاصة ومن ثَمَّ للمتلقين عامة، إذْ يقول الله تعالى: ﴿

[1] حطيني، يوسف، (٢٠٠٩م)، **ملامح السرد القرآني، دراسة في أنماط القصّ والتلقي والشخصيات والبيئة القصصية**، (د.ط)، منشورات اتحاد الكتاب العربي: دمشق، ص ١٠٢.

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ الكهف: ٨٣، وهذه الرسائل اللغوية الموجهة للنبي الكريم كانت تهدف إلى إثبات صدقه وتأييده بالأخبار المعجزة، التي كان يواجه بوساطتها المكذبين الكافرين، وثمّة رسائل في بداية السور وأخرى وسطها وثالثة في نهايتها، وهذه الرسائل توجه للمتلقي عبر مفاتيح لغوية متنوعة تسهم في تقديم رسالة القرآن الشاملة الخالدة [١].

وسورة الضحى فيها خطاب للنبي الأمين في معظم آياتها، يقول سبحانه: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ الضحى: ١- ١١، إذْ نلاحظ هنا تنوّع أسلوبي الخبر والإنشاء فيها، وتناوبهما، فقد بدأ الله تعالى خطاب نبيه الكريم بالقَسَم، ثم يخبر رب العالمين بجملة فعلية منفية، ثم يذكر جملة اسمية مؤكدة بلام القسم، ويعود بعدها لذِكْر جملة فعلية مؤكدة بلام القسم، ثم تأتي جملة إنشائية مبدوءة بسؤال منفي، ثم أتت جملتان خبريتان، بعدها ينتقل الخطاب من الخبر إلى الإنشاء، فَيَنْهَى الله نبيّه الكريم عن بعض الأمور، ثم يختم الآيات بأمر مهم، هو التحدث بِنِعَم ربه عليه.

وقد وجدت في سورة الكوثر خطابا في جميع آياتها، وكانت السورة الوحيدة المتميزة بهذا الأمر من بين السور المكية منها والمدنية أيضا، وربما كان ذلك كذلك؛ لقِصَرِها؛ وذِكْرها لأمر يتعلّق بنبيّ الله الكريم.

أما هذه السور فقد خلت من خطاب النبي مباشرة، وهي:

نوح، الشمس، الليل، العاديات، التكاثر، العصر، قريش، المسد، وكان ذلك كذلك؛ لتعرّضها لأمور عامّة تمسّ عباد الله، كالشمس والليل، وبعضها لتحدثها عن نبي معين، كسيدنا نوح، أو عن قوم معيّنين كقريش.

وكذلك وجدت خطابا للنبي الكريم في بداية بعض السور المكية وفي نهايتها، وهي:

الإسراء، الكهف، طه، الفرقان، المزمل، الشرح، العلق، الكوثر.

---

[١] انظر حطيني، **ملامح السرد القرآني**، ص ١٠٤.

ولم أجد خطابا للنبي الكريم في بداية بعض السور المكية، ولا في نهايتها، وهي:

الفاتحة، يوسف، النحل، الأنبياء، الشعراء، العنكبوت، لقمان، سبأ، فاطر، الصافات، ص، غافر، فُصّلت، الشورى، الجاثية، الذاريات، القمر، القلم، المعارج، نوح، القيامة، المرسلات، النبأ، النازعات، التكوير، الانفطار، المطففين، الانشقاق، البروج، الفجر، البلد، الشمس، الليل، القدر، البينة، الزلزلة، العاديات، القارعة، التكاثر، العصر، الهمزة، قريش، المسد.

وهذه سور مكية بدأت بخطاب للنبي الكريم:

إبراهيم، يس، الجن، المدثر، عبس، الأعلى، الغاشية، الفيل، الماعون، الكافرون، الإخلاص، الفلق، الناس.

وهذه سور مكية انتهت بخطاب للنبي الكريم:

الأنعام، الأعراف، يونس، هود، الحِجْر، مريم، المؤمنون، النمل، القصص، الروم، السجدة، الزمر، الزخرف، الدخان، الأحقاف، ق، الطور، النجم، الرحمن، الواقعة، الملك، الحاقة، الطارق، الضحى، التين، النصر.

- مكوّنات الخطاب وأساليبه:

الأمر

من أهمّ مكوّنات الخطاب الإلهي للنبي الكريم الأمر، فعندما يخاطب الله نبيه الكريم يأمره بأوامر متعددة لإبلاغ رسالة الإسلام، وللردّ على اتهامات المشركين والمكذبين، ولإنذارهم وتحذيرهم، أو لتبشير المسلمين، "ولأن البُعد الإحصائي في دراسة الأسلوب هو من المعايير الموضوعية الأساسية التي يمكن استخدامها في تشخيص الأساليب وتمييز الفروق بينها" [١]، ارتأيتُ استخدامه هنا، فقد بلغت أفعال الأمر التي أحصيتُها ٩٢ فعلا في السور المكية التي خاطب الله فيها نبينا الكريم، منها ما ورد مرة واحدة [٢]، ومنها ما ورد مرتين [٣]، وما ورد ثلاث مرات [٤]، ومنـها ما ورد في كتـاب الله العزيز أربـع مـرات [١]، وما

---

[١] مصلوح، سعد، (١٩٩٢م)، **الأسلوبية دراسة لغوية إحصائية**، ط ٣، عالم الكتب: القاهرة، ص ٥١.

[٢] عددها: ٤٤ فعلا، وهي: جادلهم: النحل ١٢٥، تهجد: الإسراء ٧٩، ابتغِ: الإسراء ١١٠، كبّره: الإسراء ١١٠، فكبّر: المدثر ٣، سلهم: القلم ٤٠، انقص: المزمل ٣، زد: المزمل ٤، رتل: المزمل ٤، تبتل: المزمل ٨، اتخذه: المزمل ٩، ذر: الأنعام ٧٠، اقتده: الأنعام ٩٠، اهجرهم: المزمل ١٠، اقصص: الأعراف ١٧٦، اسألهم: الأعراف ١٦٣، خذ: الأعراف ١٩٩، فبشرهم: الانشقاق ٢٤، ائتِ: يونس ١٥، نبئ: الحجر ٤٩، نبئهم: الحجر ٥١، اصدع: الحجر ٩٤، جاهدهم: الفرقان ٥٢، انتظر: السجدة ٣٠، أبصرهم: الصافات ١٧٥، فامنن: ص ٣٩، أمسك: ص ٣٩، استغفر: غافر ٥٥، استغفره: النصر ٣، استمسك: الزخرف ٤٣، اتّبعها: الجاثية ١٨، استمع: ق٤١، اسجد: العلق ١٩، اقترب: العلق ١٩، مهلهم: المزمل ١١، مهّل: الطارق ١٧، أمهلهم: الطارق ١٧، طهّر: المدثر ٤، اهجر: المدثر ٥، حدّث: الضحى ١١، انصب: الشرح ٧، ارغب: الشرح ٨، صلِّ: الكوثر ٢، انحر: الكوثر ٢.

[٣] عددها ١٩،هي: آتِ: الإسراء ٢٦ و الروم ٣٨، أنذرهم: مريم ٣٩ و غافر ١٨، أسمع: الكهف ٢٦ و مريم ٣٨، اصطبر: مريم ٦٥ وطه ١٣٢، ادفع: المؤمنون ٩٦ و فصلت ٣٤، قم: المزمل ٢ والمدثر ٢، ارجع: الملك ٣ والملك ٤، ذروا: الأنعام ١٢٠ و الأعراف ١٨٠، امُر: الأعراف ١٩٩ و طه ١٣٢، بشّر: يونس ٢ و يونس ٨٧، اعبده: هود ١٢٣ و مريم ٦٥، فاعبدون: الأنبياء ٢٥ و الأنبياء ٩٢، بدّله: يونس ١٥ (وردت مرتين)، استقم: هود ١١٢ و الشورى ١٥، اصفح: الحجر ٨٥ والزخرف ٨٩، كن: الحجر ٩٨، الزمر ٦٦، استفتهم: الصافات ١١ والصافات ١٤٩، ارتقب: الدخان ١٠ و الدخان ٥٩، اسألوا: النحل ٤٣، الأنبياء ٧.

[٤] عددها: ثمانية أفعال، وهي:

اقرأ، وذلك في: المزمل ٢٠، العلق ١، العلق ٣.

ادعُ، وذلك في: النحل ١٢٥، القصص ٨٧، الشورى ١٥.

أبصر، وذلك في: الكهف ٢٦، مريم ٣٨، الصافات ١٧٩.

اضرب، وذلك في: الكهف ٣٢، الكهف ٤٥، يس ١٣.

ذرني، وذلك في: القلم ٤٤، المزمل ١١، المدثر ١١.

اعبد، وذلك في: الحجر ٩٩، الزمر ٢، الزمر ٦٦.

ورد في القرآن خمس مرات [٢]، وما ورد ست مرات [٣]، ولم يَرِد فعل أمر سبع مرات، ولكن ورد ثماني مرات [٤]، وما ورد تسع مرات [٥]، وما ورد أكثر من هذا [٦].

اخفض، وذلك في: الحجر ٨٨، الإسراء ٢٤، الشعراء ٢١٥.

سبّحه، وذلك في: ق ٤٠، الطور ٤٩، الإنسان ٢٦.

[١] عددها: ثمانية أفعال، وهي:

ادعوه، وذلك في: الأعراف ٢٩، الأعراف ٥٦، الأعراف ١٨٠، الأعراف ٦٥.

اعبدوه، وذلك في: الأنعام ١٠٢، يونس ٣، مريم ٣٦، الزخرف ٦٤.

فبشّره، وذلك في: لقمان ٧، يس ١١، الزمر ١٧، الجاثية ٨.

استعذ، وذلك في: الأعراف ٢٠٠، النحل ٩٨، غافر ٥٦، فصلت ٣٦.

اتبع، وذلك في: الأنعام ١٠٦، يونس ١٠٩، النحل ١٢٣، القيامة ١٨.

توكل، وذلك في: هود ١٢٣، الفرقان ٥٨، الشعراء ٢١٧، النمل ٧٩.

تولَّ، وذلك في: الصافات ١٧٤، الصافات ١٧٨، الذاريات ٥٤، القمر ٦.

اسأل، وذلك في: يونس ٩٤، المؤمنون ١١٣، الفرقان ٥٩، الزخرف ٤٥.

[٢] عددها فعلان، هما:

أنذر، وذلك في: الأنعام ٥١، يونس ٢، إبراهيم ٤٤، الشعراء ٢١٤، المدثر ٢.

اتلُ، وذلك في: الأعراف ١٧٥، يونس ٧١، الشعراء ٦٩، العنكبوت ٤٥، الكهف ٢٧.

[٣] عددها ثلاثة أفعال، هي:

أعرض،وذلك في: الأنعام ٦٨، الأنعام ١٠٦، الأعراف ١٩٩، الحجر ٩٤،السجدة ٣٠،النجم ٢٩.

ذكّر، وذلك في: الأنعام ٧٠، ق ٤٥، الذاريات ٥٥، الطور ٢٩، الغاشية ٢١، الأعلى ٩.

أقم، وذلك في: يونس ١٠٥، هود ١١٤، الإسراء ٧٨، العنكبوت ٤٥، الروم ٣٠، الروم ٤٣.

[٤] عددها فعلان، هما:

فذرهم، وذلك في: الأنعام ٩١، الأنعام ١١٢، الأنعام ١٣٧، المؤمنون ٥٤، الزخرف ٨٣، الطور ٤٥، المعارج ٤٢، الحجر ٣.

انظروا، وذلك في: الأنعام ١١، الأنعام ٩٩، الأعراف ٨٦، يونس ١٠١، النحل ٣٦، النمل ٦٩، العنكبوت ٢٠، الروم ٤٢.

[٥] ورد مرة واحدة: ادعوا، وذلك في: الأعراف ٥٥، الأعراف ١٩٥، يونس ٣٨، هود ١٣، الإسراء ٥٦، الإسراء ١١٠، الفرقان ١٤، سبأ ٢٢، غافر ١٤.

[٦] ثمّة خمسة أفعال، هي:

أ) الفعل سبّح: ورد ١٢ مرة، وذلك في: الحجر ٩٨، طه ١٣٠ (وَرَدَ مرتين)، الفرقان ٥٨، غافر ٥٥، ق ٣٩، الطور ٤٨، الواقعة ٧٤، الواقعة ٩٦، الحاقة ٥٢، الأعلى ١، النصر ٣.

ب) الفعل اذكر: ورد ١٣ مرة، وذلك في: الأعراف ٢٠٥، الكهف ٢٤، مريم ١٦، مريم ٤١، مريم ٥١، مريم ٥٤، مريم ٥٦، ص ١٧، ص ٤١، ص ٤٥، ص ٤٨، الأحقاف ٢١، المزمل ٨.

والأمر: هو طلب حصول الفعل من المخاطَب، وقد لا يكون الأمر حقيقيا، أي قد تخرج صيغة الأمر عن معناها الأصلي وهو الاستجابة وتلبية الأمر إلى معانٍ أخرى تستفاد من سياق الكلام، وقرائن الأحوال، ومن هذه المعاني ما يرمي لغرض بلاغي أسلوبي: كالدعاء والالتماس والتعجيز والإباحة والتهديد والتمني وغيرها [1].

وهنا أشِيرُ إلى أهمية التخصيص عند تلاوة القرآن، ومعناه: أن يقدّر الشخص أنه المقصود بكل خطاب في القرآن؛ فإن سمع أمرا أو نهيا قدّر أنه المنهي والمأمور، وإن سمع وعدا أو وعيدا فكمثل ذلك، وإن سمع قصص الأولين والأنبياء علم أن السَّمر غير مقصود وإنما المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج إليه، فما من قصة في القرآن إلا وسياقها لفائدة في حق النبي وأمته ولذلك قال الله تعالى: ﴿ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ هود: ١٢٠، فليقدّر العبد أنَّ الله ثبّت فؤاده بما يقصه عليه من أحوال الأنبياء وصبرهم على الإيذاء وثباتهم في الدين؛ لانتظار نصر الله تعالى، وكيف لا يقدّر هذا والقرآن ما أنزل على نبي الله خاصة؛ بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين، ولذلك أمر الله تعالى الناس بشكر نعمة الكتاب[2]

ج) الفعل انظر: ١٦ورد مرة، وذلك في: الأنعام ٢٤، الأنعام ٤٦، الأنعام ٦٥، الأعراف ٨٤، الأعراف ١٠٨، يونس ٣٩، يونس ٧٣، الإسراء ٢١، الإسراء ٤٨، الفرقان ٩، النمل ١٤، النمل ٥١، القصص ٤٠، الروم ٥٠، الصافات ٧٣، الزخرف ٢٥.

د) الفعل اصبر: ورد ١٨ مرة، وذلك في: يونس ١٠٩، هود ٤٩، هود ١١٥، النحل ١٢٧، الكهف ٢٨، طه ١٣٠، الروم ٦٠، ص ١٧، غافر ٥٥، غافر ٧٧، الأحقاف ٣٥، ق ٣٩، الطور ٤٨، القلم ٤٨، المعارج ٥، المزمل ١٠، المدثر ٧، الإنسان ٢٤.

هـ) الفعل قل: ورد في العديد من السور المكية، ولكثرة وروده لن نورد الآيات التي ورد فيها الفعل قل، لكن سأشير إلى عدد وروده في السور المكية، إذ ورد في إحدى وأربعين سورة مكية، وكانت سورة الأنعام أكثر السور التي ورد فيها الفعل قل، فقد بلغ عدده فيها ٤١ فعلا، أما يونس فورد فيها ٢١ مرة، والإسراء ورد فيها ١٩ مرة، وسبأ والزمر ورد في كل منهما ١٥ مرة، و الأعراف ورد فيها ١١ مرة، المؤمنون ١٠ مرات، الكهف ٨ مرات، النمل والمُلك ورد في كل منهما ٦ مرات، الجن ٥ مرات، أما الأنبياء والفرقان والقصص والعنكبوت وفصلت والأحقاف فقد ورد في كل واحدة منها ٤ مرات، أما هود و ص فقد ورد في كل منهما ٣ مرات، أما إبراهيم وطه والشورى والزخرف والجاثية والسجدة فورد مرتين، وأما هذه السور: يوسف والحجر والنحل ومريم والروم ولقمان وفاطر ويس والصافات وغافر والطور والواقعة والكافرون والإخلاص والفلق والناس: فقد ورد مرة واحدة، وسأشير إلى حقاق أخرى عند الحديث عن هذا الفعل في ثنايا البحث.

[1] انظر الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، ص ٧١.

[2] الغزالي، أبو حامد محمد (ت:٥٠٥هـ)، (د. ت)، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة: بيروت، ٢٨٥/١.

فقال: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ﴾البقرة:٢٣١ ،

وإذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد، فهذا القارئ الواحد مقصود، فما له ولسائر الناس فليقدر أنه المقصود، قال محمد بن كعب القرظي: من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله، وإذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله بل يقرأ فيه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه إليه ليتأمله ويعمل بمقتضاه، ولذلك قال بعض العلماء: هذا القرآن رسائل أتتنا من قبل ربنا عز وجل بعهوده نتدبرها في الصلوات، ونقف عليها في الخلوات، وننفذها في الطاعات والسنن المتبعات [١].

فلو عرضنا لفعل الأمر اخفض، الذي ورد في ثلاث سور، هي: الحجر ٨٨، الإسراء ٢٤، الشعراء ٢١٥، لوجدنا أمرَ الله للنبي الكريم بالتواضع للفقراء إنْ كانوا مؤمنين، فقد قال سبحانه: "واخفض جناحك للمؤمنين"، والجناح: اليد، وخفضهما كناية عن اللين والرفق، وفي سورة الشعراء زاد: لمن تبعك؛ لأنّه قال قبلها: وأنذر عشيرتك الأقربين، فصار الأمر بخفض الجناح مختصا بالأقربين من عشيرته، فزيد لمن تبعك، وهذا تشريف شامل لجميع متبعيه من الأمّة جمعاء.

ومن اللطائف أن الأوامر بفعل الخيرات قد أفردت للنبي وإن كانت عامّة، نحو: استقم كما أمرت، وأقم الصلاة، واصبر، أما المنهيات فجمعت للأمة، مثل: ولا تطغوا، ولا تركنوا.

ومعنى ورتل القرآن ترتيلا: "أي اقرأه على هذا الترتيب من غير تقديم وتأخير وجاء النكير على من قرأه معكوسا" [٢].

وقد كانت دعوة النبي للأقرب فالأقرب، ولهذا نجد في القرآن الكريم أوامر لأقاربه، ثم للأشخاص المقربين من النبي، ثم للناس أجمعين، فقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ الأحزاب:٥٩، هنا دعوة لزوجات النبي وبناته ثم لنساء المؤمنين بوضع الحجاب، وهذا الترتيب له هدف، "فالدعوة لا تُثْمِرُ إلا إذا بدأ الداعي بنفسه وأهله وبناته" [٣]، ثم يقوم

---

[١] انظر الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ٢٨٥/١.
[٢] الكرماني، **أسرار التكرار في القرآن**، ص ٢٣.
[٣] الصابوني، **صفوة التفاسير**، ٤٩٧/٢.

بدعوة الآخرين، وهل ثمّة قيمة لنصح الآخرين إذا تَرَكَ الأقربين؟ الإجابة ستكون بالنفي قطعا [١].

وخُتِمَت سورة الشرح بالتذكير للمصطفى عليه الصلاة والسلام بواجب التفرغ لعبادة الله، بعد انتهائه من تبليغ الرسالة شكرا لله على ما أولاه من النعم الجليلة [٢]، إذْ يقول سبحانه وتعالى:﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨ ﴾ الشرح: ٧- ٨، "واختيار "النَّصَب" هنا ملحوظ، لما فيه من معنى الجهد والتعب" [٣]، وقيل: فإذا فرغت من صلاتك، فانصبْ إلى ربك في الدعاء، وسَلْهُ حاجاتك، وقيل: أمره الله إذا فرغ من غزوه، أن يجتهد في الدعاء والعبادة، وقيل: إذا فرغت من أمر دنياك فانصب، أي فَصَلِّ [٤].

وأمّا فعل الأمر "اسأل"، فقد ورد في القرآن ناقصا حرف الألف في البداية، ويدلّ حذف حرف الألف من مبنى الكلمة الأصلية على أن الكلمة القرآنية في رسمها تعبر عن المعنى أصدق تعبير، إذْ إنَّ السؤال دائما يأتي في عجلة وسرعة، فقلما ينتظر الإنسان، فهو دائما يريد سرعة الإجابة [٥]، وأتى هذا الفعل دون الألف في غير القرآن "سلْ"، لكن الحذف للألف ظاهرةٌ واضحةٌ في القرآن.

---

[١] سأذكر الفرق بين كلمة زوج وامرأة للفائدة، فالمتأمل لكتاب الله يجد أنّ كلمة زوج المراد بها: الزوجة، لم ترد إلا إذا كان الزوجان مؤمنين، أمّا إذا كان أحدهما غير مؤمن فتستعمل لفظة (امرأة)، كامرأة فرعون، وامرأة نوح، ولوط، وأبي لهب، وقال السهيلي: لأن التزويج حلية شرعية وهو من أمر الدين فجرد امرأة أبي لهب مثلا من هذه الصفة، كما جرّد امرأة نوح وامرأة لوط من هذه الصفة، انظر ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت:٧٥١هـ)، (١٩٨٩م)، **التفسير القيم**، ط١، تحقيق إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال: بيروت، ص ١٣٣-١٣٥، وكذلك إن تعطلت المودة والرحمة بخيانة أو تباين في العقيدة فاللفظة المناسبة هي: امرأة لا زوج، كآية يوسف ٣٠، والتحريم ١٠، انظر بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، (١٩٧٢م)، **من أسرار العربية في البيان القرآني**، دار الأحد: بيروت، ص ٤٦، وإذا كانت المرأة عقيما أو أرملة فهي امرأة لا زوج، هود ٧١، الذاريات ٢٩، آل عمران ٣٥، انظر المصدر السابق، ص ٤٧، وإذا كانت العلاقة بين الزوجين تامّة يُستخدم لفظ " الزوج "، أما إذا كان فيها نقص، كاختلاف الدين أو عدم الإنجاب، فيستخدم لفظ "امرأة "،قال الله تعالى على لسان زكريا: " وكانت امرأتي عاقرا " لأنها لا تنجب وبعدما أنجبت ورزقه الله يحيى قال:" وأصلحنا له زوجه ".

[٢] عاشور، **لطائف قرآنية في ١٠٠٠ سؤال وجواب**، ص ٤٨٢.

[٣] بنت الشاطئ، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ٧٦/١.

[٤] انظر الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ٤٩٦/٢٤-٤٩٧.

[٥] شملول، **تأملات في إعجاز الرسم القرآني وإعجاز التلاوة والبيان**، ص ٣٥.

الحوار التلقيني بقلْ:

يُسمّى الحوار الذي يدور من خلاله الكلام بفعل الأمر "قل" بالحوار التلقيني، وهو الحوار الذي وجهه الله إلى نبيه محمد متلقي الوحي ليقوم بتوجيهه إلى الطرف المقصود [١].

إذ نجد العديد من الآيات التي فيها هذا الفعل، بل إن خمس سور بدأت به، وهي: الجن، الكافرون، الإخلاص، الفلق، الناس.

وكان لتصدير الآيات بعبارة "قل" مغزى لطيف يفهمه العربي بالسليقة، وهو توجيه الخطاب للنبي، وتعليمه ما ينبغي له أن يقول ، فهو لا ينطق عن الهوى، ولذلك تكررت عبارة "قل" أكثر من ثلاث [٢] مائة مرة في القرآن ، ليكون القارئ على ذكر من أنَّ محمدا، لا دخل له في الوحي، فلا يصوغه بلفظه، ولا يلقيه بكلامه، وإنما يلقى إليه الخطاب إلقاءً، فهو مخاطَب لا متكلم، حاكٍ ما يسمعه، لا معبر عن شيء يجول في نفسه [٣].

نلاحظ أن كل سؤال للنبي في القرآن جاء الجواب عقبه بـِ: قل، إلا في موضع واحد قال: فقل، وهو قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴾ طه: ١٠٥، "وهذا لأنَّ النبي لم يُسأل عن الجبال، وكأنّ المعنى: إنْ سألوك عن الجبال فقلْ ينسفها ربي، أما الأسئلة الأخرى فقد طرحوها على النبي الكريم وأتت الإجابة من الله بعد طرح السؤال" [٤]، وأتت يسألونك بصيغة الجمع وهذا يدلّ على كثرة طارحي الأسئلة وكثرة المهتمين بالعلم والحصول على الإجابة، ولا شك في أن الكافرين شديدو المحبة لطرح الأسئلة تعنتا وتصعيبا على النبي المرسل، كما نلاحظ أن الأسلوب أتى بالمضارع (يسألونك) للدلالة على استمرارية الأسئلة والتساؤلات، فالمسلم متعطش للمعرفة راغب فيها.

ونلمحُ أمرا آخر هو عدم وجود "قل" في موضع التوحيد والعبادة، في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ البقرة: ١٨٦، وهذا للإشارة إلى أن العبد في حال الدعاء لا توجد واسطة بينه

---

[١] انظر نزال، **لغة الحوار في القرآن الكريم دراسة وظيفية أسلوبية**، ص ٧٨.

[٢] في الأصل ثلاثة، وهو خطأ مطبعي، صحّحْناه، والعدد هو ٣٣٢ مرة.

[٣] انظر الصالح، **مباحث في علوم القرآن**، ص٤٤-٤٥.

[٤] الكرماني، **أسرار التكرار في القرآن**، ص ٤١.

وبين ربه السميع العليم، وهذا عكس هذه الآيات من السورة ذاتها: ١٨٩، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٩.

وكذلك لا نجد الفعل "قل" بعد الآية رقم ٤٢ من سورة النازعات، يقول الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾ النازعات: ٤٢- ٤٤، وذلك لأن النبي لا يعلم وقت حدوث الساعة، ولتبقى في حدود الغيب.

على أن خطاب الله لنبيه "بقل" يلفتنا إلى أن هذا الأمر ليس من لدن الرسول، بل هو من عند الله، ومهمة الرسول هي البلاغ، وما كان له أنْ يُبدل حرفًا واحدًا.

ويتكرر الفعل "قُلْ" في الآية الواحدة غير مرة، ووصل تكراره إلى خمس مرات في آية واحدة، هي الرعد: ١٦، وأربع مرات في الأنعام: ١٩، ولم يتكرر ثلاث مرات في آية واحدة، وتكرر مرتين في غير آية، وللفعل أشكال تجريدية عديدة تَقوْلَبَ فيها، سأذكرُ بعضها ضاربا مثالا واحدا على كل منها، وهي:

قال...................... قل......................

كقوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ سبأ:٣، هنا يُصِرُّ الكافرون على إنكار مجيء يوم القيامة، لكن الله يلقّن نبيه الإجابة القاطعة بمجيئه، بل يُقْسِم نبينا الكريم مؤكدا ذلك.

يقولون...................... قل...................

كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ هود: ١٣، هنا نلاحظ الدلالة على تعجيزهم والتحدي لهم.

سيقولون.................... قل...................

كقوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ المؤمنون: ٨٩.

قل...................... سيقولون................ قل......................

كقوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ المؤمنون: ٨٤-٨٥، هنا طرح للسؤال مع الاستخفاف بالمسؤولين، ومن ثَمَّ الاستماع للإجابة من قِبَلِهم، وعودة أخرى إلى أمر الله للنبي الكريم بسؤالهم وتقريعهم، والطلب منهم التفكر بما خلق الله تعالى، وهذا ينطبق على القالب الآتي، إلا أن السؤال فيه نوع من التنبيه الشديد على أن الله هو الرازق لهم وهو مالك أمورهم.

قل........................ فسيقولون................ فقل.............

كقوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ يونس: ٣١.

فسيقولون.............. قل.................. ويقولون................ قل................

كقوله تعالى: ﴿ أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ﴾ الإسراء: ٥١.

قل..................، كقوله تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ الإخلاص: ١، وفي هذا النمط أمر بطرح قول الله تعالى على المتلقي دون حاجة إلى الإجابة، فالمطلوب إيصال رسالة ما بأسرع وقت.

قل........................ قل......................

كقوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ سبأ: ٢٤، "وفي هذا النمط من التشكيل، يلقن الله نبيه السؤال والإجابة عنه، فيكون الحوار أحاديا، ليواجه النبي متلقيه بالسؤال والجواب مجردا إياه من المشاركة، موحيا بهذا أن القضية المطروحة لا تحتاج إلى نقاش" [1]، وهنا السؤال يفيد التقرير.

قل................ قل.................. قل...................

[1] نزال، **لغة الحوار في القرآن الكريم دراسة وظيفية أسلوبية**، ص ٨٠.

كقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٩، هنا نلاحظ تكرار الأوامر للنبي الكريم، وما هذا التكرار إلا لأهمية القضية المطروحة في الآية، فالتوحيد قضية كبيرة لا مجال لإنكارها، ومن ينكرها فعليه جرمه.

قل............... قل................ قل............... قل..............

كقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ الرعد: ١٦، تعددت الأوامر التلقينيّة بعد تعدّد الأسئلة التوضيحية لقدرة رب العالمين، وكذلك للتأكيد على أن الله تعالى هو الخالق.

يسألونك..................... فقل......................

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾ طه: ١٠٥

يسألونك......................... قل.....................

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الإسراء: ٨٥.

يستنبئونك................. قل........................

﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ يونس: ٥٣.

يستفتونك................. قل.........................

﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ ﴾ النساء: ١٧٦، ورد هذا القالب في مدني القرآن، في هذه الآية، وفي الآية ١٢٧.

يسألك..................... قل............................

﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ الأحزاب: ٦٣

وهذا القالب نجده في مدني السور الكريمة دون مكيّه.

وأنواع الردود الملقنة للنبي الكريم لمواجهة الخصوم عديدة، ولا بُدَّ أنَّ لها غير غرض [١]:

كالسخرية منهم كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ ﴿٥١﴾ ﴾ الإسراء: ٤٩- ٥١.

والوعيد، كقوله: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴾ التوبة: ٨١.

والتعجيز، كقوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلۡ هَاتُواْ ﴾ الأنبياء: ٢٤.

والتوبيخ، كقوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ المؤمنون: ٨٤-٨٥، وكذلك قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ المؤمنون: ٨٦- ٨٧.

والتقرير: وقد يأمر الله نبيه أن يحاصر خصومه بأسئلة تقريرية متوالية مخبرا إياه بإجابتهم، طالبا منه أن يرد عليها بسؤال إنكاري، كقوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ يونس: ٣١.

وقد احتفظ القرآن بالتعابير الدالّة على أنه ليس من إنشاء النبي، فكلمة مثل: قل أو أنذر أو بشّر أو أسلوب استفهام كألمْ تَرَ؟ تُعَدّ من الإشارات المهمة لهذا الأمر، ويختلف عدد ورود كلمة قل في القرآن الكريم، فقد كانت أقصر سورة وردتْ فيها كلمة قل سورة الإخلاص، وأما أكبر سورة تحتوي على كلمة "قل" فهي سورة الأنعام، التي وردت فيها ٤١ مرة، وبعض الآيات تحتوي على كلمة "قل" مرة واحدة، أو مرتين، وقد تصل إلى خمس مرات في الآية الواحدة [٢]، كقوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا

---

[١] نزال، **لغة الحوار في القرآن الكريم دراسة وظيفية أسلوبية**، ص ٨١.

[٢] حامد، **ومضات من نور القرآن الكريم**، ٣٦/١.

يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴾ الرعد: ١٦.

والعديد من الأوامر التي أمر الله بها نبيّه الكريم تشمل المسلمين أيضا، فقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴾ الضحى: ١١، هنا أمر للرسول وأمر لأمته، وليس التحدث بنعمة الله مقصورا على القول، بل إنه يشمل الفعل والسلوك والحركة، ومن التحدث بنِعم الله شكر الله عليها بالقول وبالفعل [١].

ومن الأوامر التي أمر الله بها نبيه: اسجد، والسجود مطلوب من كل مسلم، أي أن هذا الأمر للنبي وللمسلمين، والسجود مذكور في غير آية، الحجر ٩٨، النجم ٦٢، الإنسان ٢٦، العلق ١٩، وفي هذه الآية أضيفت كلمة "واقترب" إلى فعل الأمر "اسجد"، "ويأخذ السجود هنا موضِعه المَهيب خشوعا لجلال الخالق فيصدع خُيلاء المفتونين وكبرياء المزهوين ويكبح غرور الإنسان الذي خلقه الله من علق، وعلمه بالقلم ما لم يعلم" [٢]، فقوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ﴾ العلق: ١٩، هو أول أمر بالسجود للنبي الأمين في أول سورة نزلت في القرآن [٣]، وهذا يدلّ على أهمية السجود، فأقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد، وهو الأمر الثاني الذي نزل بعد اقرأ، وهذا يدلّ على أن طلب العلم مهم جدا، إذْ لم يأمر الله نبيه بالسجود والعبادة، بل طلب منه القراءة؛ وبالعلم والبحث نصل إلى فهم عميق لديننا ونعبد الله حق العبادة.

أما قوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ﴾ العلق: ١-٣، فإن الفعل اقرأ كان أول أمر إلى النبي الكريم، وفي بداية سورة العلق، كان الأمر بفعل

---

[١] انظر الخالدي، **لطائف قرآنية**، ص ١٩١-١٩٢.

[٢] بنت الشاطئ، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ٣٦/٢.

[٣] حامد، **ومضات من نور القرآن الكريم**، ٨١/٢.

القراءة، وقيل: "الباء زائدة في كلمة (باسم) عند أبي عبيدة، والتقدير: اقرأ اسم ربك" [١]، "والأمر كذلك عند الفراء وبعض الكوفيين" [٢].

وقد خرج الأمر إلى معانٍ أخرى في الخطاب الإلهي:

كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ هود: ١٣، هنا أفاد التعجيز.

أما قوله:﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ الأعراف: ١٩٩، فقد أفاد الإرشاد.

أما قوله: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ﴾ العنكبوت:٢٠، فأفاد الاعتبار.

وأما قوله: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ الإسراء: ٤٨، فأفاد التعجب، فأمثال هؤلاء يتقوّلون ولا يدرون أنهم الأخسرون أعمالا.

---

[١] ابن المثنى، أبو عبيدة معمر (ت:٢٠٩هـ)، (١٩٦١م)، **مجاز القرآن**، ط١، تحقيق محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي: القاهرة، ٣٠٤/٢.

[٢] عباس، **لطائف المنان وروائع البيان في نفي الزيادة والحذف في القرآن**، ص ١١٢، ويقول العمري: هو أول فَرْضٍ فُرِضَ في الإسلام، قبل الصلاة والصوم والزكاة والحج، وبعبارة أخرى كانت كلمة اقرأ الشاملة هي المدخل الذي فرضت عبره كل الفرائض الأخرى، وبعبارة أوضح وأدقّ كان العلم بمعناه الشمولي والواسع هو الإطار الذي من خلاله أخذت كل الفرائض الإسلامية موقعها الذي حددته الشريعة فيما بعد، انظر العمري، أحمد خيري، (٢٠١١م)، **البوصلة القرآنية، إبحار مختلف بحثا عن خريطة للنهضة**، ط ٥، دار الفكر: دمشق، ص ٢٣.

النهي:

وهو طلب الكفّ عن الشيء على وجه الاستعلاء، والإلزام، وله صيغة واحدة، وهي: الفعل المضارع المقرون بلا الناهية، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ الأعراف: ٥٦، وقد تخرج هذه الصيغة عن أصل معناها إلى معانٍ أُخَر تُستَفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال، كالدعاء والالتماس والتمني والتهديد والتوبيخ وغيرها [١]، ولقد نهى الله نبيه الكريم عن أمور عديدة وكذلك نهى المؤمنين عند خطابه النبي الأمين، ومن الأفعال التي نهى الله تعالى نبيّه عنها ما يلي:

لا تكن: ورد هذا النهي في أربع آيات مكية، هي: الأعراف ٢٠٥، النمل ٧٠، السجدة ٢٣، القلم ٤٨، وكان الأمر المنهي عنه مختلفا في كل آية، وهذه هي الآيات:

يقول الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ الأعراف: ٢٠٥، هنا يخاطب الله نبيه وينهاه عن أن يكون من الغافلين.

ويقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ النمل: ٧٠، فهذه دعوة من الله للنبي؛ لكي لا يملأ الضيق صدره، ولا يجعل للحزن سبيلا إلى قلبه، فمهما مكروا فلن يفلحوا ولن ينالوا من نبي الله، وهنا تسلية للنبي الكريم وتبشير له بأن ما يفعل هؤلاء سيكون كالسراب وسينقشع انقشاع الغمام، فلا تغتم يا نبي الله الكريم.

ويقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ السجدة: ٢٣، هنا يخاطب الله نبيه وينهاه عن الشك في لقاء موسى عليه الصلاة والسلام، وقيل في ذلك: لا تكن يا محمد في شك من لقائه، وكان قتادة يقول: معنى ذلك فلا تكن في شك من أنك لقيته، أو أنْ تلقاه ليلة أسري بك، فهذه آيات أراهُنَّ الله إياه، ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ﴾، فقد رأى موسى، ولقيه ليلة الإسراء والمعراج بمشيئة الله [٢]، وقيل:

---

[١] الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، ص ٧٦.

[٢] انظر الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ١٩٣/٢٠-١٩٤، وانظر البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ٦٠٣/٣.

معنى ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾: أي لا تكن في شك من لقاء الكتاب، فإنك تلقاه كما لقي موسى الكتاب، ويحتمل أن تكون الآية واردة لا للتقرير بل لتسلية النبي عليه السلام؛ فإنه لما أتى بكل آية، وذكّر بها، وأعرض عنها قومه، حَزِنَ عليهم، فقيل له: تذكر حال موسى ولا تحزن، فإنه لقي ما لقيت، وأوذي مثلما أوذيت، وعلى هذا فاختيار موسى عليه السلام كان لحكمة، وهي أن أحدا من الأنبياء لم يؤذه قومه إلا الذين لم يؤمنوا به، وأما الذين آمنوا به فلم يخالفوه غير قوم موسى؛ فإن لم يؤمن به آذاه، مثل فرعون وغيره ومن آمن به من بني إسرائيل أيضا، آذاه بالمخالفة، وطلب أشياء منه، مثل طلب رؤية الله جهرة [1].

ويقول الله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ القلم: ٤٨، هنا نهى الله نبيه الكريم أن يكون كيونس عليه الصلاة والسلام، وقيل عن هذه الآية: يقول الله تعالى لنبيه الأمين: فاصبر يا محمد لقضاء ربك وحكمه فيك، وفي هؤلاء المشركين، بما أتيتهم به من هذا القرآن، وهذا الدين، وامضِ لِمَا أمرك به ربك، ولا يثنيك عن تبليغ ما أُمِرْتَ بتبليغه تكذيبهم إياك، وأذاهم لكَ، وقوله: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ وهو سيدنا يونس عليه السلام، الذي حبسه الله في بطن الحوت، فيعاقبك ربك على تركك تبليغ ذلك، كما عاقبه فحبسه في بطنه: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ يقول الله تعالى: إذْ نادى وهو مغموم، قد أثقله الغم وكظمه، وأضاف قتادة: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ أي: لا تكن مثله في العجلة والغضب [2]، وقيل: "فلا تستعجل- يا محمد- بعقوبة قومك كما استعجل يونس فلقي ما لقي" [3]، ومعنى ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾، أي: وهو مملوء غما، وقيل: كربا، الأول قول ابن عباس ومجاهد، والثاني قول عطاء وأبي مالك، وقال الماوردي: والفرق بينهما أنَّ الغمَّ في القلب، والكرب في الأنفاس، وقيل: مكظوم محبوس، والكظم الحبس، ومنه قولهم: فلان كظم غيظه، أي حبس غضبه [4].

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ١٥٠/٢٥.

[2] انظر الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ٥٦٢/٢٣- ٥٦٣.

[3] القشيري، **لطائف الإشارات**، ٦٢٣/٣.

[4] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ٢٥٣/١٨.

ومن الأفعال التي نهى الله نبيه من خلالها في القرآن الكريم عن أمور معينة، ما يلي:

لا تكُ: وقد وردت ثلاث مرات في السور المكية، يقول الله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ النحل: ١٢٧، يقول الله تعالى لنبيه الكريم: واصبر يا محمد على ما أصابك من أذى في الله، وما صبرك إن صبرت إلا بمعونة الله وتوفيقه إياك؛ لذلك لا تحزن على هؤلاء المشركين الذين يكذبونك وينكرون ما جئتهم به، وإن ولّوا عنك وأعرضوا عما أتيتهم به من النصيحة، فلا يضق صدرك بما يقولون من الجهل، ونسبتهم ما جئتهم به إلى أنه سحر أو شعر أو كهانة [1].

ويقول الله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ هود: ١٧، يقول سبحانه: إنَّ هذا القرآن الذي أنزلناه إليك أيها النبي، هو الحق من ربك لا شكّ فيه، ولكن أكثر الناس لا يصدقون ذلك.

ويقول الله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴾ هود: ١٠٩، هنا ينهى الله نبيه الكريم عن شكّ معين، ألا وهو أن لا يكون عنده شك فيما يعبد المشركون من قومه من الآلهة المزعومة والأصنام التي لا تضرّ ولا تنفع، و أن عبادتهم فيها الضلال بل هي باطلة، ويقول سبحانه: عبادتهم ما هي إلا كعبادة آبائهم، وهم يعبدون الأوثان اتباعا لمنهاج آبائهم، واقتفاءً منهم آثارهم في عبادتهم لها [2].

لا تكونن: وردت في ثماني آيات، هي: الأنعام ١٤: وفيها نهي للنبي الكريم عن أن يكون من المشركين، وكان النهي ذاته في سورة يونس: ١٠٥، و في القصص: ٨٧، وأما يونس ٩٥: ففيها نهي عن الانضمام لمن كذب بآيات الله حتى لا يكون من الخاسرين، وأما الأنعام: ٣٥، فقد نُهِي النبي أنْ يكون من الجاهلين، وأما الأنعام: ١١٤ ويونس ٩٤ فقد نُهِي النبي أنْ

---

[1] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ٣٢٥/١٧.

[2] انظر المصدر السابق، ٤٩١/١٥.

يكون من الممترين، ونجد نهيا آخر في سورة القصص، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾ القصص: ٨٦، يقول سبحانه: احمدْ ربك يا محمد على ما أنعمَ به عليك من رحمته لك، بإنزال هذا الكتاب عليكَ، ولا تكوننَّ عونًا لِمَنْ كفرَ بربك.

لا يصدنّك: ورد مرتين، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ القصص: ٨٧، أي: "لا يصدنك عن آيات الله شيء عن قراءتها والعمل بها" [1]، وما على النبي إلا البلاغ والدعوة إلى الحق، وأن لا يكون النبي من المشركين الذين لا يجتنبون النواهي ولا يفعلون ما يؤمرون.

ويقول الله تعالى: ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ طه: ١٦، هنا حديث عن يوم القيامة، ونَهْي للنبي عن أن يسمع لكلام الكافرين بالساعة ومن اتبع هواه.

لا تمدن: ورد النهي بهذه الصيغة مرتين، يقول سبحانه:﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ طه: ١٣١، يقول الله لنبيه: ولا تنظر إلى ما جعلنا لأمثال هؤلاء المعرضين عن آيات ربهم وأشكالهم متعة في حياتهم الدنيا، يتمتعون بها من زهرة عاجل الدنيا ونضرتها لنفتنهم فيه، ولنختبرهم فيما متعناهم به من ذلك، ونبتليهم، فإن ذلك فانٍ؛ زائل، وغرور؛ وخدع تضمحلّ، ورزق ربك الذي وعدك أن يرزقكه في الآخرة حتى ترضى، وهو ثوابه إياه، خير لك مما متعناهم به من زهرة الحياة الدنيا وأبقى، وأدوم؛ لأنّه لا انقطاع له ولا نفاد، وذُكِرَ أن هذه الآية نزلت على نبي الله، لأنّه بعث إلى يهودي يستلف منه طعاما، فأبى أنْ يُسلّفه إلا برهن [2].

ويقول الله تعالى: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الحجر: ٨٨، هنا آية فيها تكرار لبداية الآية ١٣١ من سورة طه.

---

[1] البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ١٨٧/٤.

[2] انظر الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ٤٠٣/١٨.

لا يحزنك: ورد هذا النهي عن حزن النبي في ثلاث آيات، هي:

يقول الله تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ لقمان: ٢٣، يقول الله تعالى: لا تحزن على من أصر على الكفر؛ لأنّه سيتحمل جزاء عمله، وسيعلم خطأه الشديد الذي ارتكبه بالتمسك بالكفر ورفض الإيمان.

ويقول: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ يونس: ٦٥

ويقول أيضا: ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾يس: ٧٦، يدعو الله نبيه لعدم الحزن بسبب ما يسمعه من اتهامات لا أساس لصحتها، كوصفه بالشاعر وبالكاهن وبالمجنون وبالساحر وبغيرها من الصفات المختلقة، والله يعلم كذب هؤلاء الظاهر والخفي.

لا تحزن: ورد النهي في ثلاث آيات، هي:

قوله تعالى: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ الحجر: ٨٨، وقوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ النحل: ١٢٧، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ النمل: ٧٠، هنا نهي عن الحزن على هؤلاء الماكرين المعتدين، وهذا النهي نجد فيه حرصا شديدا على النبي الكريم وخوفا على نفسه الطيبة المحبة، وفي ذلك إيناس ومواساة للمصطفى.

والله تعالى دعا نبيه الكريم لعدم الحزن، وعدم الشعور بالضيق، في غير آية، منها: فاطر ٨، الكهف ٦، الشعراء ٣، الأعراف ٧، هود ١٢، الحجر ٩٧.

لا تَتَّبِعْ: ورد النهي في ثلاث آيات، هي:

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ الأنعام: ١٥٠، ويقول أيضا: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ﴾ الشورى: ١٥، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الجاثية: ١٨

لا تُطِعْ: ورد هذا النهي في أربع آيات مكيات، هي:

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ الكهف: ٢٨.

وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ الفرقان: ٥٢

وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ القلم: ٨، وقوله: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾ القلم: ١٠

لا تَدْعُ: ورد هذا النهي في ثلاث آيات، هي:

قوله تعالى:﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ يونس:١٠٦

ويقول الله تعالى:﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ القصص:٨٨

ويقول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ الشعراء: ٢١٣

لا تجعل: ورد هذا النهي في ثلاث آيات مكيات، هي:

قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ الإسراء: ٢٢.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ الإسراء: ٢٩، وفي قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ الإسراء: ٣٩.

لا تعجل: ورد النهي مرتين، في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾ مريم: ٨٤، وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾ طه: ١١٤.

لا تحسبنَّ: ورد النهي في آيتين، هما:

قوله تعالى:﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ إبراهيم: ٤٢، وقوله: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ إبراهيم: ٤٧.

وهذه قائمة بنواهٍ وردت مرة واحدة في السور المكية، بل بعضها في القرآن كاملا، وهي:

لا يكن: ورد مرة واحدة، يقول الله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ الأعراف: ٢، فالقرآن نزل على نبينا الكريم، لينذر به الناس ويذكّر به المؤمنين، وهنا دعوة للصبر عند الدعوة وعدم الشعور بالضيق، فقد قيل: النفوس البشرية على قسمين: نفوس بليدة جاهلية بعيدة عن عالم الغيب غريقة في طلب اللذات، ونفوس شريفة مشرقة بالأنوار الإلهية، فبعثة الأنبياء والرسل في حق القسم الأول إنذار وتخويف، فإنهم لما غرقوا في نوم الغفلة، ورقدة الجهالة، احتاجوا إلى موقظ يوقظهم، وإلى منبه ينبههم، وأما في حق القسم الثاني فتذكير وتنبيه، فثبت أنه تعالى إنما أنزل هذا الكتاب على نبيه ليكون إنذارا في حق طائفة وذكرى في حق طائفة أخرى [(١)].

لا تُطِعْه: ورد هذا النهي مرة واحدة في قوله تعالى:﴿ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ﴾ العلق:١٩.

لا تطرد: ورد هذا النهي مرة واحدة في قوله: ﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ ﴾ الأنعام: ٥٢.

لا تقعد: ورد هذا النهي مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأنعام: ٦٨.

لا تشهد: ورد هذا النهي مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡۚ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ الأنعام: ١٥٠

لا تقل: ورد هذا النهي مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴾ الإسراء: ٢٣، فطاعة الوالدين أمر مهم، يجب ألّا نغفلَ عنه، وإنْ

---

(١) الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ١٩٦/١٤.

تلفّظنا بلفظ ما؛ فعلينا الحذر الشديد؛ فرُبَّ كلمة ألقتْ بصاحبها إلى قعر جهنّم، وعلينا قول كلمة كريمة حَسَنة وإلا فالسكوت أفضل.

لا تنهرهما: ورد هذا النهي مرة واحدة في الآية السابقة.

لا تبذر: ورد هذا النهي مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ الإسراء: ٢٦.

لا تبسطها: ورد هذا النهي مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ الإسراء: ٢٩، فالوسطية حَسَنة في كل الأمور، ومنها وجوه الإنفاق.

لا تَقْفُ: ورد هذا النهي مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ الإسراء: ٣٦.

لا تمشِ: ورد هذا النهي مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ الإسراء: ٣٧.

لا تجهر: ورد هذا النهي مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ الإسراء: ١١٠.

لا تخافت: ورد هذا النهي مرة واحدة في الآية السابقة.

لا تمارِ: ورد هذا النهي مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٢.

لا تستفتِ: ورد هذا النهي مرة واحدة في الآية السابقة.

لا تقولنَّ: ورد النهي مرة في قوله: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾ الكهف: ٢٣.

لا تعدُ: ورد هذا النهي مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾ الكهف: ٢٨.

لا يستخفنّك: ورد هذا النهي مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ الروم: ٦٠.

لا تذهب: ورد هذا النهي مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ فاطر: ٨

لا يغررك: ورد هذا النهي مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ غافر: ٤.

لا تستعجل: ورد هذا النهي مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ﴾ الأحقاف: ٣٥.

لا تمنن: ورد هذا النهي مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ المدثر: ٦.

لا تحرّك: ورد هذا النهي مرة واحدة في قوله:﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ القيامة: ١٦.

لا تقهر: ورد هذا النهي مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ الضحى: ٩.

لا تنهر: ورد هذا النهي مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ الضحى: ١٠، فالسائل قد يكون ضالا.

ونلمح ورود نهيين في الآية الواحدة، وكان ذلك في هذه الآيات: الأنعام ١٥٠، الحجر ٨٨، النحل ١٢٧، الإسراء ٢٣، الإسراء ٢٩، الإسراء ١١٠، الكهف ٢٢، الكهف ٢٨، النمل ٧٠، القصص ٨٧، وهذا الأمر يدلّ على أن النهي الأول في الآية يحتاج إلى آخر للتأكيد ولبيان أهمية النهي عن أمر معين، فالآية ١٥٠ من سورة الأنعام، ينهى الله فيها نبيه عن

الشهادة مع الكافرين ثم يُتْبِعُ ذلك بنهي آخر بعدم اتباع أهوائهم الكاذبة، وفي سورة النحل الآية ١٢٧ وسورة النمل الآية ٧٠، ينهى الله نبيه عن الحزن، ويدعوه للتماسك والثبات ثم ينهاه عن الشعور بالضيق مما يمكر الكافرون، أما في سورة الإسراء الآية ٢٣ فثمّة تعليم لأدب الحوار مع الوالدين، إذْ نهى الله عن قول أفٍ ثم أتبع النهي بعدم نهرهما، وهما أمران مرتبطان لا بُدّ أنْ نبتعد عنهما عند مخاطبة الوالدين.

النداء:

النداء مكوّن مهم من مكوّنات الخطاب عامة، ومن مكوّنات الخطاب الإلهي للنبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم خاصة، فنحن نجد أسلوب النداء في غير آية مكية في القرآن الكريم، ولكل أسلوب غرض معين، كالتنبيه والتحذير أو الطلب، والنداء قد يكون مخصوصا للنبي الكريم وحده، وقد يكون للنبي و للناس كافّة، أو لفئة معينة من البشر، فقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يونس: ١٠٤، هنا نجد خطابا للنبي بقل، وللناس كافّة بالنداء، فمن عنده شكّ في دين الله، فعليه تحمّل تبعات هذا العمل، ولكن النبي والمؤمنين لا ينساقون مع هؤلاء الضالين لعبادة إله غير الله عز وجلّ.

وأما خطاب الله لنبيه وللمؤمنين، فمنه قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ الزمر: ١٠، إذْ يدعو الله نبيه والمؤمنين لاتقائه، وَيَعِدَهم بالجزاء الحَسَن لمن اتقى وصبر في دنياه.

ومنه قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الزمر: ٥٣، هنا دعوة من الله لفئة من المؤمنين العابدين الذين قد يعمل أحدهم عملا باطلا محرما، ويندم عليه بعد حين أشد الندم، ويعتقد أن الله لن يقبل توبته، فيقول الله تعالى لهؤلاء: إن الله يغفر ذنوبكم جميعها إنْ تُبْتُم إليه، كيف لا؟ وهو صاحب الاسمين: الغفور والرحيم.

وقد خاطبَ الله النبي الكريم وأمره بتوجيه رسالة للكافرين الذين أصرّوا على الشرك، ولم يؤمنوا، بل إنهم أخذوا يقترحون الاقتراحات المسمومة التي تُسِيء إلى الإسلام والمسلمين، ومن ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ الكافرون:١، هنا يدعو الله نبيه الكريم لعدم الخضوع لرأي الكافرين الذي يقضي بعبادة النبي والمسلمين للأصنام حينا وعبادة الله في حين آخر، من قِبَلِهم، ومن قِبَلِ المشركين، وقد تحدثنا عن هذا الأمر سابقًا، وهو مرفوض جملة وتفصيلا، إذْ كيف نشرك أحدا مع الله في العبادة؟ ويدعو الله هؤلاء مُنْكِرًا ما قدموا من اقتراح واهٍ لن يقبل به أي مؤمن صادق عابد، يقول الزمخشري: "وكم من آية

أنزلت في شأن الكافرين وفيها أوفر نصيب للمؤمنين، تدبرا لها واعتبارا بمورِدها، ولهذا على كل مسلم تدبر هذه السورة والابتعاد عمّا فيها من نهي لِيَسْلَمُوا من عذاب ربهم" [١].

وأما خطاب الله للنبي الكريم باستخدام أسلوب النداء، فمنه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ المؤمنون: ٥١، هنا تعظيم لذات النبي الكريم، إذْ خاطبه الله بصيغة الجمع، وهذا ليس بالأمر الغريب، فقد كان العرب يستخدمون هذا الأسلوب في خطاب المفرد بصيغة الجمع، "ونظائر ذلك في كلام العرب أكثر من أن تُحصى" [٢]، ويرى البعض أنَّ المحكي هنا حُكِي بالمعنى؛ لأن الخطاب المذكور هنا لم يكن موجها للرسل في وقت واحد بضرورة اختلاف عصورهم، فالتقدير: قلنا لكل نبي ممن مضى ذِكْرهم: كُلْ من الطيبات، واعمل صالحا، إني بما تعمل عليم، وذلك على طريقة التوزيع لمدلول الكلام وهي شائعة في خطاب الجماعات، ومنه: ركب القوم دوابهم، والغرض من هذا بيان كرامة الرسل عند الله ونزاهتهم في أمورهم الجسمانية والروحانية، فالأكل من الطيبات نزاهة جسمية والعمل الصالح نزاهة نفسانية، ويرى الطاهر أن الخطاب موجه للرسل، والنبي الكريم من ضمنهم، وهذا لا يتضارب مع القول السابق بأن الخطاب للنبي وحده، إذْ في الحالتين نجد خطابا لنبي الهدى عليه الصلاة والسلام [٣].

وأما الخطاب للنبي تعيينا، فمنه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾ المزمل: ١، في هذه الآية يخاطبُهُ الله تعالى بصفة تخصّه وَحْدَهُ، "وفي هذا النداء تلطّف وارتفاق وتحبّب" [٤]، "فقد كان النبي متزملا بثيابه، وقيل: كانت الثياب للصلاة؛ لأنَّ الله أعقب هذه الآية بقوله: قم الليل" [٥]، وفي الخبر: أنه كان عند نزول هذه الآية عليه مرط [٦] من شعر ووبر، وقالت عائشة رضى الله عنها: كان نصفه عليّ وأنا نائمة، ونصفه على نبي الله وهو يصلّي،

---

[١] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ٣٠٨/٣.

[٢] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ١٩١/٤.

[٣] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ٦٨/١٨.

[٤] الحيالي، معن توفيق، (٢٠٠٨م)، **النداء في القرآن الكريم**، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، ص ١٩٠.

[٥] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ٦٧٦/٢٣.

[٦] المرط إزار من صوف أو خز أو غيره، انظر ابن منظور، **لسان العرب**، مادة مرط.

وطول المرط أربعة عشر ذراعا [١]، والتزمّل: الالتفاف في الثياب بضم وتشمير، ومنه قول امرئ القيس في معلقته [٢]:

كأن أبانا في أفانينِ وَدْقِهِ　　　　كبيرُ أناسٍ في بِجَاد مُزَمَّلِ.

وقال قتادة: النبي تزمّل في ثيابه للصلاة واستعدّ فنودي على معنى يا أيها المستعد للعبادة المتزمل لها وهذا القول مدح له، وقال عكرمة: معناه: يا أيها المزمل للنبوءة وأعبائها المُجِدّ [٣]، "وقال الأخفش سعيد بن مسعدة: المزمل أصله المتزمل بالتاء وهو الذي تزمل بثيابه أي تلفف بها، فأدغمت التاء في الزاي، ونحوه المدثر أصلها المتدثر، وقرأ أُبي بن كعب على الأصل المتزمل" [٤].

والأصل في النداء أن يكون باسم المنادى العلم إذا كان معروفا عند المتكلم، فلا يعدل من الاسم العلم إلى غيره من وصف أو إضافة إلا لغرض يقصده البلغاء، من تعظيم وتكريم، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ الأنفال: ٦٥، أو تلطف وتقرب نحو: يا بنيّ و يا أبتِ، أو قصد تهكّم، كقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٌ ﴾ الحجر: ٦، فإذا نودي المنادى بوصف هيئته من لبسة أو جِلسة أو ضجعة كان المقصود في الغالب التلطف به والتحبب إليه ولهيئته، ومنه قول النبي لعلي بن أبي طالب وقد وجده مضطجعا في المسجد وقد علق تراب المسجد بجنبه: قم أبا تراب، وقوله لحذيفة بن اليمان يوم الخندق: قم يا نومان، وقوله لعبد الرحمن بن صخر الدوسي وقد شاهده حاملا هِرّة صغيرة في كُمّه: يا أبا هريرة [٥].

وقد أمر الله نبيه بعد هذا النداء بعدة أوامر، وكان النداء للتنبيه والاستعداد لتلقي ما يفيض الرحمن على نبيه الكريم من أوامر أو نواهٍ، فالنداء يرتبط غالبا بأمر أو نهي أو توصيل رسالة ما، كقولنا: يا محمد شكرا لكَ على الهدية، وهنا أَمَرَ الله نبيه بما يلي: ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلًا

---

[١] القشيري، **لطائف الإشارات**، ٦٤١/٣.

[٢] ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز**، ٣٨٦/٥، وانظر امرأ القيس، (ت:٨٠ ق.هـ)، **ديوان امرئ القيس**، ط٥، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف: القاهرة، ص ٢٥.

[٣] ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز**، ٣٨٦/٥.

[٤] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ٣١/١٩، وانظر الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ٦٨١/٣٠.

[٥] انظر ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ٢٥٥/٢٩-٢٥٦.

﴿ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ ﴾ المزمل: ٢- ٤، هنا أمر بقيام جزء من الليل، نصفه أو أقل من النصف (الثلث) أو أكثر، وهذا حسب الطاقة والاستطاعة، وكذلك للتخفيف عن أمة سيدنا محمد، ولقراءة القرآن الكريم مرتلا، فقوله: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ أي: "اقرأه على تمهل، فإنه يكون عونا على فَهْم القرآن وتدبره، وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه، قالت عائشة- رضي الله عنها-: كان يقرأ السورة ويرتلها" [١].

ومن الأمور اللطيفة أن الله قال: قم الليل إلا قليلا منه للنوم والراحة، وهذا الوقت الذي لقيام الليل قد يكون نصفه، ثم قال الله تعالى: يمكن أن يكون القيام أقل من نصف الليل لكن بنسبة قليلة كثلثه أو ربعه، أما عندما تحدث عن زيادة القيام عن نصف الليل فلم يحدد الزيادة بالقليل أو الكثير؛ حتى لا يزيد المشقة وليترك الباب مفتوحا للجميع في أي وقت، وكانوا قادرين على قيام معظم الليل.

ومن هذا النوع من الخطاب أيضا قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ المدثر: ١، إذْ خاطب الله نبيه بصفة تخصه وحده، و"نلاحظ أنَّ مطلع سورة المدثر فيه إعداد لنفس النبي للنهوض بالتبعة الكبرى، ومواجهة قريش بعد ذلك بالدعوة جهارا، مما سيترتب عليه مشاق كثيرة متنوعة، تحتاج مواجهتها إلى إعداد نفسي سابق" [٢]، ولا شك في أنَّ هذا الاختلاف في التعبير له أهداف وحكم مختلفة متعددة، فعندما كان متدثرا خاطبه الله بوصف أخذه من حالته التي هو عليها، وعندما تزمل، قال: يا أيها المزمل.

"سورة المدثر اقتحمت بمبانيها ومعانيها أعماق القلوب قبل أن تتجاوز الآذان وتغوص في بواطن النفوس وخلجات المشاعر، حتى تهيمن على ملكات العقل والحسّ، فينتشر فيها السرور بجميل وعده، ويشيع فيها معاني الأعباء الثقيلة والخوف من تحمل تلك المسؤولية العظيمة" [٣]، والذين فسروا الدِّثار والتزمّل بمعنى واحد كثيرون، إلا أن اختيار الكلمة القرآنية في موضعها يحتّم علينا أن نبحث عن سرّ هذا الاختيار، فالدثار هو اللباس الذي يلي البشرة، أما التزمّل فهو يعطي معنى زائدا على ما سبق، فالتزمّل فيه معنى الثقل والكثرة،

---

[١] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ٢٤٩/٨.

[٢] قطب، **في ظلال القرآن**، ٣٧٥٢/٦.

[٣] الرقب، محمد سلمان مرزوق، (٢٠٠٩ م)، **ظاهرة تصعيد الخطاب في السور المكية (المدثر والقيامة) أنموذجين**، رسالة ماجستير (غ. منش)، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ص ١٦٣.

ومنه الزوامل التي تحمل الأحمال الثقيلة، والتزمّل عادة يكون في الليل عند النوم، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ ﴾ المزمل: ١- ٢ [١].

وفي سورة المدثر أمر الله نبيه بعد النداء بـ: يا أيها المدثر، بعدة أوامر ونهي واحد، يقول الله تعالى: ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ ﴾ المدثر: ٢- ٧، فقد طلب الله من نبيه إزالة دِثاره وترك النوم والنهوض للدعوة والإنذار وتحذير قومه من العذاب الشديد إن أصروا على الكفر، والتكبير في كل مكان بنشر هذا الدين الحنيف، ودعاه إلى تطهير ثيابه على الحقيقة، فقد قال الشافعي: المقصود منه الإعلام بأن الصلاة لا تجوز إلا في ثياب طاهرة من الأنجاس، وقال البعض: بل التطهير على المجاز، فطهّر ثيابك أي: قلبك عن أخلاقهم، في الافتراء والتقول والكذب وقطع الرحم، وطهر نفسك عن أن تعزم على الانتقام منهم والإساءة إليهم، "والرجز فاهجر" أي: اهجر العذاب، ثم سُمِّي كيد الشيطان رجزا لأنّه سبب للعذاب، وسميت الأصنام رجزا لهذا المعنى أيضا، فعلى هذا القول تكون الآية دالّة على وجوب الاحتراز عن كل المعاصي، ثم على هذا القول احتمالان أحدهما: أن قوله: والرجز فاهجر يعني كل ما يؤدي إلى الرجز فاهجره، والتقدير وذا الرجز فاهجر أي ذا العذاب فيكون المضاف محذوفا، والثاني: أنه سمّى ما يؤدي إلى العذاب عذابا تسمية للشيء باسم ما يجاوره، ويتصل به القول الثاني: أن الرجز اسم للقبيح المُستقذَر وهو معنى الرجس، فقوله: والرجز فاهجر كلام جامع في مكارم الأخلاق كأنه قيل له: اهجر الجفاء والسفه وكل شيء قبيح، ولا تتخلّق بأخلاق هؤلاء المشركين المستعملين للرجز، ولا تمنن تستكثر أي: لا تمنن على الناس بما تعلمهم من أمر الدين، والوحي؛ كالمستكثر لذلك الإنعام، فإنك إنما فعلت ذلك بأمر الله، فلا منّة لك عليهم، ولهذا قال: ولربك فاصبر [٢]، ولكل صابر جزاءٌ محمودٌ بعون الله تعالى.

ويقول الله تعالى على لسان الكافرين: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ الحجر: ٦، فهنا نداء يختص به النبي الكريم، وقد زعم الكافرون أن النبي مجنون، وهم من فَرْط تكذيبهم وتعنّتهم لا يعترفون بمُنْزِل القرآن الكريم على النبي الكريم، فقد ذُكِرَ فعل مبني للمجهول (نُزِّلَ)، ولم يقولوا: الذي نزّل اللهُ عليه الذكر، هذا فضلا عن استهزائهم وتهكمهم

---

[١] عباس، **إعجاز القرآن الكريم**، ص ١٨٢.
[٢] انظر الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ٣٠/ ٦٩٨- ٧٠٠.

الواضح في الآية بالنبي الكريم، وفي الإشارة إلى النبي بقولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ﴾ استصغار للنبي، إذْ ينادونه من مكان بعيد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى﴾، مع إعراضهم عن ذكر اسمه ومناداته بالصفة التي جاءهم عليها، كأنه إنكار لتلك الصفة، وتشنيع عليه بها، إذْ كانوا ينكرون على النبي أن ينزل عليه الذكر من بينهم، كما يقول سبحانه وتعالى عنهم: ﴿ أَءُلۡقِىَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾ القمر: ٢٥، وقيل: مِن قولهم يتأكد غباء تفكيرهم، فما داموا قد قالوا: ﴿ نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ ﴾ فمَن الذي نزّل هذا الذكر؟ والذكر هو القرآن، والذي نزله هو الله- سبحانه وتعالى- فكيف يعترفون بالقرآن كذكر، ثم يتهمون النبي بأنّه مجنون؟ فما داموا قد قالوا عن القرآن: إنه ذِكْر قد نزل عليه، ولم يأتِ به من عنده، فكيف يكون مجنونا؟ إنهم هم الكاذبون، وقولهم يؤكد أن فكرهم نازل هابط [1].

ومن اللطائف التي نسوقها عند الحديث عن النداء، أن الله تعالى خاطبَ الأنبياء في كتابه العزيز بأسمائهم مباشرة وقرنها بياء النداء، فقال: يا عيسى، يا نوح، يا داود، يا آدم، يا إبراهيم، يا موسى، يا زكريا، يا يحيى، أما عندما نادى سيدنا- محمد صلى الله عليه وسلم- فلا توجد آية يقترن فيها اسمه الشريف بأداة نداء، وعندما ناداه جعل له صفة مُعيّنة، فقال: يا أيها النبي، يا أيها الرسول، يا أيها المدثر، يا أيها المزمل، وهذا من باب تكريمه وتمييزه عن غيره من الأنبياء والرسل- صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-، ولقد خاطب الله تعالى نبينا الكريم بقوله: يا أيّها النّبي في ١٣ موضعا [2] في ست سور مدنية، وقد بدأ الله الخطاب بنداء النبي الكريم في ثلاث سور منها، هي: الأحزاب والطلاق والتحريم، وهذا الخطاب نوع من أنواع الخطاب يسمى "خطاب الكرامة" [3]، كما خاطب الله نبيه بقوله: يا أيها الرسول في موضعين، في سورة مدنية واحدة هي المائدة، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا

---

[1] الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ٤٢٣١/٧.

[2] انظر هذه الآيات: الأنفال ٦٤، الأنفال ٦٥، الأنفال ٧٠، التوبة ٧٣، الأحزاب ١، الأحزاب ٢٨، الأحزاب ٤٥، الأحزاب ٥٠، الأحزاب ٥٩، الممتحنة ١٢، الطلاق ١، التحريم ١، التحريم ٩.

[3] ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت: ٥٩٧هـ)، (٢٠٠٤م)، **المدهش**، تحقيق حامد البسيوني، دار الحديث: القاهرة، ص ١١.

يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ ﴾ المائدة: ٤١، قال الله تعالى: يسارعون في الكفر، ولم يقل: يسارعون إلى الكفر، فلِمَ هذا الأمر؟ كان ذلك كذلك " للإيماء إلى أنهم مستقرون في الكفر لا يبرحونه وإنما ينتقلون بالمسارعة عن بعض فنونه وأحكامه إلى بعض آخر منها " [١].

والآية الأخرى هي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ المائدة: ٦٧، "وهذا الخطاب لا شك في أنه خطاب تشريف وتعظيم" [٢].

وإنْ أحصينا نداء الله لنبيه الكريم في القرآن، فإننا نخرج بهذه النتيجة:

يا أيها النبي: ورد النداء ١٣ مرة

يا أيها الرسول: ورد النداء مرتين

يا أيها الرسل: ورد مرة واحدة في سورة المؤمنون ٥١

يا أيها الذي نزل عليه الذكر: ورد مرة واحدة في سورة الحِجْر ٦

يا أيها المزمل: ورد مرة واحدة، وكذلك يا أيها المدثر.

أي أن مجموع نداء الله لنبيه الأمين (١٩) مرة في القرآن الكريم كاملا، منها أربع مرات في السور المكيّة.

[١] أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت:٩٨٢هـ)، (د. ت)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ٣٦/٣.

[٢] الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ٣٥٨/١١.

الاستفهام:

للاستفهام حيز غير قليل من خطاب الله تعالى لنبيه الكريم، وقد تكررت العديد من الأسئلة، للتأكيد على أهميتها، والأمر المطروح فيه، فقوله تعالى: ما أدراك؟ قد تكرر في غير آية في كتاب الله تعالى، وصاحبَ السؤالَ غيرُ أمر، ففي قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ﴾ الهمزة: ٥، نجد هذه الصيغة من الاستفهام، ونجد الدراية أخص من المعرفة، والخاصية البيانية لهذا الأسلوب: ما أدراك، استعماله فيما يجاوز دراية المسؤول: إما لجلال الأمر وعِظَمِهِ، كهاتين الآيتين: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾ القدر: ٢، و﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴾ البلد: ١٢، وإما لكونه من الغيب المتعلق بالصبر في اليوم الآخر، والتهويل الذي يتجاوز دراية البشر ويمنعه من إدراكه حقَّ الإدراك، كهذه الآيات: ﴿ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ ﴾ المدثر: ٢٦- ٢٧، وكقوله: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴿٣﴾ ﴾ القارعة: ٣، وكقوله: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴾ القارعة: ١٠، وكقوله: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾ المرسلات: ١٤، وكقوله: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ ﴾ الانفطار: ١٧- ١٨، وكقوله: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرۡقُومٌ ﴿٩﴾ ﴾ المطففين: ٨- ٩

وكقوله: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرۡقُومٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ المطففين: ١٩- ٢٠

وكقوله: ﴿ ٱلۡحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٣﴾ ﴾ الحاقة: ١- ٣

وكقوله: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾ الطارق: ٢، وفي كل آية من هذه الآيات، يعقب على السؤال المثير ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ببيان مناط العلو أو الرهبة والهول، فلنا أن نلتمس مثل ذلك فيما تلا آية: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ﴾ الهمزة:٥ من بيان لها في الآيات بعدها: ﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ﴿٧﴾ ﴾ الهمزة: ٦- ٧ [1]، وأمّا أسلوب الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ

---

[1] انظر بنت الشاطئ، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ١٧٨/٢-١٧٩.

﴿ مَا الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) ﴾ الحاقة: ١- ٣، فيُراد به التفخيم لشأن الساعة، والتعظيم لحالها، فعندما قال الله تعالى: ما الحاقة؟ كأن الأفهام لا تحيط بهولها، والأفكار لا تستطيع أن تستوعب عظيم شأنها، فيعود الأسلوب القرآني الرائع في استفهام تنفطر له الأفئدة وتنخلع من قوله: وما أدراك ما الحاقة؟ [١] "ويشعر المخاطَب بقشعريرة تسري في جسده وهو يسمع هذه التراكيب... لتهويل أمرها وتعظيمه" [٢]، "وهذا التكرار لهذه اللفظة كان من باب التعظيم والتهويل" [٣]، وهذه الآية: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴾البلد: ١٢، نجد الإثارة اللافتة فيها لا تأتي من مجرد الاستفهام وحده، وإنما تأتي كذلك من كل لفظ وكل نبرة، في قوله تعالى:﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴾، فينفذ به إلى أعماق الوجدان، ويهيئ السامع لما يعقبه من بيان [٤]، فيقول سبحانه:﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ﴾ البلد: ١٣-١٦، "وبعد استقراء أساليب الخطاب في القرآن الكريم لاحظتُ أن الاستفهام جاء كثيرا في سياق دعوة الرسل أقوامهم المعاندين، إشارة إلى ما كان بين الرسل وأقوامهم من توبيخ وإنكار وتكذيب إلى غير ذلك، تسرية عن نبي الله" [٥].

وكذلك من الأسئلة التي تكررت في خطاب النبي: كيف كان عاقبة؟ وتكرر ذلك في غير آية، وكانت الكلمات التي تأتي بعد كلمة عاقبة متعددة، مثل: كيف كان عاقبة المكذبين، وقد وردت في السور المكية الآتية: الأنعام: ١١، النحل: ٣٦، الزخرف ٢٥، ومن أنواع العاقبة التي في القرآن أيضا، ما يلي: عاقبة المجرمين: الأعراف ٨٤، النمل ٦٩، عاقبة المفسدين: الأعراف ٨٦، الأعراف ١٠٣، النمل ١٤، عاقبة الظالمين: يونس ٣٩، القصص ٤٠، عاقبة المنذَرِين: يونس ٧٣، الصافات ٧٣، عاقبة مكرهم: النمل: ٥١، عاقبة الذين من قبل/ قبلهم: يوسف ١٠٩، الروم ٩، فاطر ٤٤، غافر ٢١، غافر ٨٢.

---

[١] كشك، عبد الحميد،(د. ت)، **تفسير سورة الحاقة**،(د.ط)، المختار الإسلامي للطبع والنشر: القاهرة، ص ٩.

[٢] الخالدي، **الخطاب النفسي في القرآن الكريم دراسة دلالية أسلوبية**، ص ١٠٩.

[٣] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ١٧/٣، وانظر شيخون، **أسرار التكرار في لغة القرآن**، ص٦٤.

[٤] بنت الشاطئ، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ١٩٣/١.

[٥] محمد، عبد الصمد عبد الله، (١٩٩٥م)، **خطاب الأنبياء في القرآن الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية**، أطروحة دكتوراه (غ. منش)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، ص ٢٠٧.

أما بداية السؤال بكيف، فقد ورد هذا السؤال في عشرين سورة مكية، ووردت كيف في غير آية في معظم هذه السور، فقد وردت في: الأنعام: ١١، ٢٤، ٤٦، ٦٥، ٨١، الأعراف: ٨٤، ٨٦، ٩٣، ١٠٣، ١٢٩، يونس: ١٤، ٣٥، ٣٩، ٧٣، يوسف: ١٠٩، إبراهيم: ٢٤، ٤٥، النحل: ٣٦، الإسراء: ٢١، ٤٨، الفرقان: ٩، ٤٥، النمل: ١٤، ٥١، ٦٩، القصص: ٤٠، العنكبوت: ١٩، ٢٠، الروم: ٩، ٤٢، ٤٨، ٥٠، سبأ: ٤٥، فاطر: ٢٦، ٤٤، الصافات: ٧٦، غافر: ٥، ٢١، ٨٢، الزخرف: ٢٥، القمر: ١٦، ١٨، ٢١، ٣٠، الملك: ١٧، ١٨، الفجر: ٦، الفيل: ١، وقد سبق الحديث عن كيف كان عاقبة المكذبين والمفسدين وما إلى ذلك، أما باقي الآيات فكان السؤال عن غير أمر، فالآية رقم ٤٦ من سورة الأنعام يقول فيها تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ الأنعام: ٤٦، هنا خطاب ينبه الكافرين إلى أن الأمور بيده وهو مسير الكون بأسره، ولكن في الآية إشارة أخرى إلى النبي، في أن الكافرين يعرضون عن هذا الكلام ولا يتبعون الحق عنجهية وتكبرا، ولذلك قال الله تعالى في الآية اللاحقة: ﴿ هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ الأنعام: ٤٧، نعم، من يظلم نفسه فعليه إثمه، ولهذا يخاطب الله تعالى الكافرين على لسان نبيه ويذكر غير نعمة أنعمها عليهم، فهو يرزقهم رغم جحودهم به، وهو الذي وهبهم السمع والبصر، وهو القاهر القادر مدبّر الأمور، والبعض من هؤلاء يعلم أن الله هو صاحب الأمور السابقة، ولهذا يقول الله تعالى: أفلا تتقون وتعودون عن غيّكم وتعنّتكم، يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ يونس: ٣١، ويعود الله تعالى إلى الحديث عن أعمال الكافرين المُشِينة، واتهاماتهم الباطلة لنبي الهدى، فبعد اتهامهم له بالسحر في الآية ٤٧ من الإسراء، قال الله تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ الإسراء: ٤٨، لكن الله يثبت نبيه لكريم ويشد من أزره فيقول: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ مريم: ٩٨، فالله استخدم كم الخبرية التي تفيد التكثير، وأنه أهلك العديد من الأمم

المكذبة، فهل نفعهم تكذيبهم؟ هل نجحوا في تخليد بطولاتهم المزعومة في إيذاء الأنبياء؟ الإجابة القاطعة بالنفي؛ لأنّه لم يبقَ من ذِكْرهم إلا ما وقع عليهم من العذاب، وأصبحوا عبرة لمن يعتبر، بل إن الله يقول: ﴿ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ النمل: ٥٩، هل يملك هؤلاء إجابة عن هذا السؤال؟ هل علموا الحق؟

وكرر الله السؤال الآتي: فكيف كان عذابي ونذر؟ أربع مرات في سورة واحدة، هي سورة القمر، الآية ١٦ و١٨ و٢١ و٣٠؛ تأكيدا على أن عذاب الله حاصل وهو ليس بالأمر الهيّن، وكل من استهان بعذاب الله سيناله وسيعلم الحق عندئذٍ، يقول سبحانه عن قوم عاد: ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾ الحاقة: ٨، أي لن تقوم قائمةٌ للكافرين مهما كانوا وأينما كانوا في الدنيا، ويقول سبحانه: ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾المرسلات:١٦، فهل سيكون من الصعب إهلاك الآخِرين؟

وتكرر السؤال بصيغة: ألم ترَ؟ للتنبيه واستثارة ذهن اللاهي العابث، ليعلم أمرا معينا بعد هذا السؤال الذي لا يريد جوابًا من المتلقي، بل يريد التهيئة لموضوع مهم دون شك، وقد ورد هذا السؤال في السور المكية ثلاثَ عشرةَ مرة في: إبراهيم: ١٩و٢٤و٢٨، مريم: ٨٣، الفرقان: ٤٥، الشعراء: ٢٢٥، لقمان: ٢٩و٣١، فاطر: ٢٧، الزمر: ٢١، غافر: ٦٩، الفجر: ٦، الفيل: ١، وكانت بعض الآيات التي ذُكِرَ فيها هذا السؤال داعية للتفكر في الكون ومعرفة قُدرة الله تعالى كالآية ١٩ من سورة إبراهيم، وبعضها يشير إلى عاقبة المكذبين الكافرين من الأمم السابقة، كالآية ٦ من سورة الفجر والأولى من سورة الفيل، فهنا أنبأ الله نبيه بقصص بعض الأقوام السابقة المكذبة، وأنبأه بمآلها، وعلى كل قارئ أو سامع لمثل هذه القصص أن يتعظ بها ويعتبر، ويعلم أن الله يمهل ولا يهمل، وأما هذه الآيات: الفرقان ٤٥، لقمان ٢٩ ولقمان ٣١ وفاطر ٢٧ والزمر ٢١، فتشير إلى قدرة الله، وقوته وأنَّ أمره بين الكاف والنون وأنه يُسَيّر الكون ويسخر للناس العديد من الأمور التي تهمهم وتُفيدهم، كالشمس والقمر والليل والنهار، وكالسفن التي لها غير مأرب، وكالأمطار التي جعلها الله مُحْيِيَةً للأرض ومُسبِّبَةً في خروج زرعها وثمارها المتنوعة، فسبحان الله العظيم، وكانت الآية ٢٢٥ قد تحدثت عن الشعراء الذين يخوضون في غير حديث وغير موضوع فيطرقونه ويكذب جُلّهم فيقول ما لا يفعل إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم، وكانت الآية ٦٩ من سورة غافر تتحدث عن المجادلين المكذبين الذين يخاصمون في آيات الله، ويرفضون الحق ويتشبثون بالباطل، ويمكرون مكرا شديدا، وينكرون ما في آيات الله من

صدق خالص، يوافق الواقع ولا يخالف حقيقة علمية أو معلومة تاريخية، إنه كلام وصفه الله بـ: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فصلت: ٤٢، صدق الله العلي العظيم.

وتكرر السؤال بهذه الصيغة: "أفرأيتَ"، في السور الكريمة الآتية: مريم ٧٧، الشعراء ٢٠٥، الجاثية ٢٣، النجم ٣٣، وجميعها تتحدث عن الكافرين، ففي مريم:٧٧ سؤال عن الكافر بآيات الله، وفي الشعراء:٢٠٥ سؤال عن إمهال الكافرين وتمتيعهم بهذه الدنيا سنين عديدة قبل الحساب، وفي الجاثية:٢٣ سؤال عن متخذي الآلهة المزعومة عن هوى لا اقتناع، ثم في سورة النجم:٣٣ سؤال مطروح عمّن يتولى عن هذا الدين.

أمّا "أرأيتَ"، فقد ورد هذا السؤال في: الفرقان: ٤٣، العلق: ٩، العلق: ١١، العلق: ١٣، الماعون: ١، وقد كان السؤال في سورة الفرقان: ٤٣ يدلّ النبي الكريم على أن الله غني عمّن يجحد به، ويؤمن بآلهة أخرى مزعومة، وهو ينفي كون النبي وكيلا مسؤولا عن هؤلاء وتصرفاتهم السيئة، أما العلق فقد كانت الآيات التي وَرَدَ فيها الاستفهام الآتي: أرأيتَ؟ قد تحدثت عن أبي جهل، يقول الله تعالى: "أرأيت أعجب مِن طغيان أبي جهل، الذي ينهى عبدا لنا إذا صلَّى لربه (وهو محمد صلى الله عليه وسلّم)؟ " [1] أرأيت إنْ كان المنهي عن الصلاة على الهدى فكيف ينهاه؟ أو إنْ كان آمرا غيره بالتقوى أينهاه عن ذلك؟ أرأيت إن كذَّب هذا الناهي بما يدعو إليه وأعرض عنه، ألم يعلم بأن الله يرى كل ما يفعل؟ ليس الأمر على ما يظن أبو جهل، إنه لن ينالك- يا نبي الله- بسوء، فلا تطعه فيما دعاك إليه مِن تَرْك الصلاة، واسجد لربك واقترب منه.

ويسأل الله نبيه الكريم بصيغة أخرى غير مرة في القرآن، فيقول: أفأنتَ....؟ وقد وردت هذه الصيغة في هذه الآيات: يونس: ٤٢ و٤٣ و ٩٩، الفرقان: ٤٣، الزمر: ١٩، الزخرف: ٤٠، وفي الآيات السابقات جميعها ينفي الله عن نبيه المقدرة على فعل شيء منها، فهو لا يستطيع إسماع الكافرين المُشبَّهِين بالصمّ، ولا يستطيع هداية الذين يُصِرُّون على الكفر، والذي يشبه الواحد منهم الأعمى، ولا يُكْرِه النبي أحدا على الدخول في الإسلام، بل يترك الحرية لهم ومن يدخل في هذا الدين لا بد أن يدخل عن قناعة تامة لا عن إكراه، علاوة على أنَّ النبي ليس وكيلا عن الكافرين، وهو لا يستطيع إنقاذ الكافرين المستحقين للعذاب من نار جهنم؛ لأنَّ أمرهم لله وحده.

---

[1] البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ٢٨٠/٥.

وكانت الصيغة الآتية: "هل أتاك؟" قد تكررت في: طه: ٩، ص: ٢١، الذاريات: ٢٤، النازعات: ١٥، البروج: ١٧، الغاشية: ١، وفي جميعها حديث عن الغيب، وطه: ٩ والنازعات:١٥ يسأل الله نبيه عن سيدنا موسى، ومن ثَمّ يُعلمه بقصته، وفي الذاريات:٢٤، سؤال عن ضيف سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، و في الآية الأولى من سورة الغاشية [١] سؤال عن حديثها، وفي هذه الآيات لكل آية مما سبق بيان وتوضيح للسؤال المطروح.

وقد طرح الله على نبيه غير سؤال يذكّره في كل منها بنعمه، ووقوفه إلى جانبه، وتيسير أموره في هذه الدنيا؛ ليقوى على إبلاغ الرسالة والدعوة إليها، يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾ الضحى: ٦، هنا سؤال موجه للنبي الكريم، وكذلك قال الله تعالى مخاطبا نبيه الكريم: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ الشرح: ١.

ومن الأسئلة التي نجدها في كتاب الله تعالى قوله عزّ وجلّ: ﴿ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴾ القلم: ٤٠، ومثل هذه الأسئلة لا تنتظر جوابا، وإنما حسب القرآن الكريم أن يواجههم بها على هذا الأسلوب البياني، غضا من شأنهم وصدعا لغرورهم وتحقيرا لكبرهم، وعدم انتظار الجواب عنها فيه تعجيز لهم وإفحام، وفيه كذلك عبرة بالغة لكل ذي سمع وبصر [٢]، "ومن أساليب الاستفهام المتنوعة التي نراها في القرآن، أنه في الضحى وارد بصيغة الغيبة، وفي الشرح بصيغة المتكلم، وهذا مما يوجب المباينة لا المناسبة" [٣]، والسؤال يوحي بدلائل عديدة، كالإنكار، "وميزة الإنكار أن ما بعده غير حاصل، وكثيرا ما يأتي بعده الاستثناء....وشاعَ الإنكار بالهمزة وهل" [٤]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ الأنعام: ١٤٣، فالمراد إنكار التحريم أصلا بإنكار وقوعه

---

[١] قيل: هي الساعة، وقد سميت بذلك لأن النار تغشى وجوه الكفرة، وقيل: لأن القيامة تُغشي الناس بالأهوال، انظر الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ٣٨١/٢٤.

[٢] بنت الشاطئ، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ٦٨/٢.

[٣] بنت الشاطئ، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ٥٩/١.

[٤] المدني، علي محمد نور، (٢٠٠٩م)، السلوك الانفعالي في أسلوب الاستفهام دراسة لغوية تحليلية نفسية، **مجلة جامعة الملك عبد العزيز للآداب والعلوم الإنسانية**، مج ١٧ (ع.١): ص ٤٤٩.

على جميع متعلقاته التي ارتبط بها، وكقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾

الأنعام: ١٦٤، فالمنكر اتخاذ رب غير الله.

ولا شكَّ في أن الاستفهام خرج إلى غير غرض عندما خطاب الله نبيه الكريم[١]، ومن ذلك:

التنبيه، كقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ الفجر: ٦.

التقرير، كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ الشرح: ١.

التشويق، كما في قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴾ الغاشية: ١.

الإنكار، كقوله: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ الأنعام: ١٤.

الاستهزاء والسخرية، كقوله تعالى على لسان هؤلاء المعتدين: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا

هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾ الفرقان: ٤١.

الوعيد (للكافرين)، كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ الفجر: ٦.

التهويل، كقوله: ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ ﴾ القارعة: ١-٣.

---

[١] والذي يلقي نظره على صيغ الاستفهام في القرآن يمكن أنْ يلحظ أنَّ مجيئها فيه للغرض الأصلي من الاستفهام، إنما هو في مواضع قليلة، بينما يُعَدُّ خروجها عن هذا الغرض لأداء أغراض أخرى هو الغالب الأعمّ، انظر جعفر، السيد عبد المقصود، (١٩٩٢م)، **مقدمة في خصائص الخطاب القرآني بين العهدين المكي والمدني**، ط١، دار الطباعة والنشر الإسلامية: مصر، ص ١٢٤.

القَسَم:

يُعَدُّ مكونا مهما من مكوّنات الخطاب الإلهي، وهو يستخدم كثيرا للتأكيد على أمر ما، والبرهنة على صدقه، ولننتقل إلى سؤال مهم مفاده: هل ثمّة فرق بين القَسَم والحَلْف؟ ولِمَ اخترنا هذا المصطلح؟ لا شك في أنَّ الفرق بينهما واضح جليّ، فقد قيل: الحلف يدور في العربية على احتمال الحنث غالبا؛ لأنّه مبني على الظن، وفي البيان القرآني يتضح بجلاء هذا الأمر، فيحلف المنافقون على خلاف الحقيقة التماسا للعذر، دون صدق في اليمين، أما القَسَم فإنه يكون على الشيء الواضح والحق البَيّن، وجاء موصوفا بالعظمة في القرآن الكريم، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ الواقعة: ٧٦ [١]، ولهذا لا ترادف بينهما.

وعند قراءة الذِّكْر الحكيم، نجد أسلوب القَسَم مرارا، وكان لكل قَسَم هدف معين، يقول الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ يونس: ٥٣، فهنا يأمر الله نبيه بالإجابة على استفسار السائلين عن العذاب وحقيقته، فيقول له: نعم، إنه حق، ويجعله يقسم بالله، بل إنه يؤكد بإنَّ واللام المزحلقة، إضافة إلى القسم، بأنَّ العذاب حق على مستحقيه، وهذا الأسلوب من التأكيد هدفه دَحْضُ مزاعم الكافرين وإزالة أوهامهم بأن العذاب لن ينالهم يوم القيامة، ويقول سبحانه: وأنتم لستم بمعجزين، "وبعد استقراء مواضع القسم برب، لم تأتِ الواو في بداية الآية، بل أتت بعد إي " [٢]، وآية يونس ٥٣ مثال على ذلك.

وأقسم الله بأن اليوم الآخر آتٍ لا محالة، وهو قريب؛ لكن كثيرا من الناس يظنونه بعيدا، يقول سبحانه: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾سبأ: ٣

ويقول الله تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ الحجر: ٧٢، هنا نلاحظ قسما بحياة نبيه الكريم عند حديثه عن قوم لوط الكافرين، وهو القسَم الوحيد الذي نراه في القرآن الكريم

---

[١] انظر الشايع، محمد بن عبد الرحمن بن صالح، (١٩٩٣م)، **الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم**، ط١، مكتبة العبيكان: الرياض، ص ٢٤١.

[٢] انظر بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، (١٩٦٧م)، **كتابنا الأكبر**، (د. ناشر): السودان، ص ١٨.

بحياة أحد من البشر، وهذا ليس بالأمر الغريب، فقد أقسم الله ببعض الأزمنة [١] وببعض الأمكنة [٢] وبغير شيء خلقه أو هيأه للناس [٣] وكذلك أقسم بالقرآن الكريم الذي أنزله على النبي الكريم [٤]، "فللّه أنْ يُقْسِمَ بما شاء من مخلوقاته من حيوان وجماد" [٥].

والله لا يُسأل عما يفعل، وله أن يقسم سبحانه بما شاء من خلقه، وهو سائل غير مسؤول، وحاكم غير محكوم، وقَسَمُ الله بهذه الآيات دليل على عظمته وكمال قدرته وحكمته، فيكون القسم به دالا على تعظيمها ورفع شأنها متضمنا الثناءَ على الله عز وجل، بما تقتضيه من الدلالة على عظمته [٦].

ومن القسم في خطاب النبي الكريم، قوله تعالى:﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ الحجر: ٩٢،

هنا قسم برب النبي الكريم ورب العالمين، بأنّه سيسأل المكذبين جميعا عمّا كانوا يعملون في دنياهم، وأن الله يمهلهم ولا يهملهم.

ويقول الله تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ النحل: ٦٣، هذه آية لتسلية النبي الكريم، وهنا قسم بأداة تختص بلفظ الجلالة، ألا وهي التاء، وهنا بيان واضح للنبي الكريم، ولكل من سمع هذه الآية أو قرأها؛ بأن الله قد أرسل الرسل مبشرين ومنذرين للأقوام السابقة، فمنهم من اتبع خطوات الشيطان

---

[١] انظر: العصر ١، الضحى ١، الفجر ١.

[٢] انظر: التين ٢، الطور ٤، (مكة) البلد ١.

[٣] انظر مثلا قسمه بالملائكة: النازعات ١-٥، الذاريات ١، المرسلات ١، وكذلك أقسم بالشمس والقمر والقلم والنجم والسماء والتين والزيتون والليل والنهار والنَّفْس والرياح والأرض والجبال والبحار والعاديات ويوم القيامة

[٤] انظر مثلا: يس ٢، ص ١، ق ١، الزخرف ٢، الدخان ٢.

[٥] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ٢٣٧/١٩.

[٦] انظر العثيمين، محمد بن صالح بن محمد، (١٩٩٢م)، **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، (د.ط)، جمع وترتيب فهد السلميان، دار الوطن: السعودية، ٧٩٧/١٠-٧٩٨، أما المسلم فلا يجوز أن يقسم بغير الله، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " ألا من كان حالفا فلا يحلف إلا بالله، فكانت قريش تحلف بآبائها، فقال: لا تحلفوا بآبائكم " انظر الزّبَيدي، أبو العباس أحمد (ت:٨٩٣هـ)، (٢٠٠٥م)، **التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح "مختصر صحيح البخاري"**، ط١، تحقيق عماد عامر، دار الحديث: القاهرة، ص ٤٠٥.

فكان من الخاسرين أصحاب العذاب الأليم، ولَحِقَ بقائد ركبهم إلى جهنم، والقسم بالتاء يختصّ به لفظ الجلالة، وهذا من خواصّ الخطاب القرآني.

ويقول الله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ مريم: ٦٨،

هنا قسم بأن الله سيُحَاسِبُ المشركين المكذبين المنكرين للبعث حسابا عسيرا وسيحشرهم مع الشياطين، وسيجعل النار مآلهم، بل سيذلهم إذلالا كبيرا بكونهم جاثين على بلاط جهنم، ويقال: " جثا يجثو فهو جاثٍ، أي: ينزل على ركبتيه، وهي دلالة على الذلة والانكسار والمهانة التي لا يقوى معها على القيام " [١].

والقَسَمُ بالقرآن كناية عن شرف قدره وتعظيمه عند الله تعالى، وذلك هو المقصود من الآيات الأولى من سورة يس، والمقصود من هذا القسم تأكيد الخبر مع ذلك التنويه [٢]، وهنا في بداية هذه السورة، نجد قسما بكلام الله تعالى الحكيم، أن النبي الكريم رسول من الله، أرسله للناس كافّة كما أرسل قبله رسلا إلى أقوامهم، وهنا تشريف وتعظيم للنبي الكريم، إذْ أقسم رب العالمين بأحلى الكلام وأعذبه وأعظمه، إنه الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهنا رد على مزاعم الكافرين الذين اتهموا النبي بِتُهمٍ عديدة، وشككوا برسالته، فجاء الردّ عليهم في غير آية في القرآن الكريم، ومن ضمنها هذه الآيات السابقات من سورة يس.

ومن الآيات التي فيها أسلوب قَسَم، وتدل على صفات للنبي الكريم، قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ النجم: ١-٤، هنا يقسم رب العالمين بالنجوم التي خلقها أن النبي الكريم بعيد عن الضلال وعدم الرشاد، وهو لا ينطق شيئا عن هوى منه، بل هو ينقل رسالة من الله عبر الوحي إلى الناس كافّة، ونلاحظ تتابع النفي لتوضيح صورة النبي الكريم الحقيقية لكفار قريش خاصة وللكفار عموما، فهو ما ضل وما غوى وما ينطق عن الهوى.

والنجم: الثريا إذا سقط، ويقال: هو أحد النجوم أقسم الله بها، ويقال: هي الكواكب التي تُرمى بها الشياطين، ويقال أقسم الله بالنبي عند منصرفه من المعراج، وجواب القسم قوله: ﴿ مَا

---

[١] الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ٩١٥١/١٥.

[٢] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ٣٤٤/٢٢.

ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾؟أي ما ضل عن التوحيد قطّ، ﴿وَمَا غَوَىٰ ﴾: الغي نقيض الرشد، وفي هذا تخصيص للنبي، إذْ تولى- سبحانه- الذبّ عنه فيما رُمِي به، بخلاف ما حدث مع سيدنا نوح عليه السلام، إذْ قال لقومه: ﴿لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ ﴾ الأعراف: ٦١، وهود إذْ قال لقومه: ﴿لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ ﴾الأعراف: ٦٧ [1]، ولم يقل الله عنهما: ما ضل نوح أو ما ضل هود، بل هما من أخبرا عن نفسيهما ودافعا عنها، أما سيدنا محمد فكان الدفاع عنه من قِبَل رب العالمين، " والفرق بين غوى و ضلَّ: أن الضلال بغير قصد، والغيّ بقصد " [2].

وقيل: معنى والنجم إذا هوى، أي: والقرآن إذا نزل؛ لأنه كان ينزل نجوما، وقاله الفراء، وعنه أيضا: يعني نجوم السماء كلها حين تغرب، وهو قول الحسن قال: أقسم الله بالنجوم إذا غابت، وليس يمتنع أن يعبر عنها بلفظ واحد ومعناه جمع، وهذا ما يُعرف باسم الجنس الذي يختلف مفرده عن جمعه بالتاء المربوطة، ومن ذلك قول الراعي:

فباتت تعد النجمَ في مستحيرةٍ ... سريعٌ بأيدي الآكلين جُمودُها

وقال عمر بن أبي ربيعة:

أحسنُ النجم في السماءِ الثريا ... والثريا في الأرضِ زَين النساء [3].

ومن الآيات الأخرى التي فيها قَسَم، قوله تعالى: ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ القلم: ١- ٤، هنا قسم بالقلم، وجواب القسم يأتي كالبلسم للجراح التي سببتها أقوال هؤلاء المكذبين المعتدين الذين يَسِمُون النبي بسِمات باطلة، إن الله ينفي عنه الجنون، بل إنه يعده بأجر عظيم؛ لأنه صبر على هؤلاء، وصبر على تكذيبهم وشتائمهم، وكذلك يزكي رب العالمين أخلاق نبيه، فمن من الخليقة جمعاء له أخلاق عظيمة كأخلاق نبينا الكريم؟ بل هل تداني أخلاق أحد أخلاقه الكريمة؟

ومن اللطائف أن الآية الثانية من سورة القلم فيها تقديم وتأخير، فقد أخّر خبر ما العاملة عمل ليس (بمجنون)، وهنا كأن الله يريد التأكيد على إبعاد هذه الصفة عن النبي الكريم،

---

[1] القشيري، **لطائف الإشارات**، ٤٨٠/٣.

[2] ابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، ٣١٦/٢.

[3] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ٨٢/١٧.

بالإضافة لنفي الجنون بما النافية، والباء التي في كلمة بمجنون، زائدة للتأكيد، وهذا شيء ثالث لدحض مزاعم الكافرين الذين اتهموا النبي بالجنون- حاشاه-.

ويجري القسم هنا على سنن الأقسام الصادرة في كلام الله تعالى، إذْ تكون بأشياء معظمة دالّة على آثار صفات الله تعالى، والقلم المقسم به قيل: هو ما يُكنّى به من تعلّق علم الله بالموجودات الكائنة والتي ستكون، أو هو كائن غيبي لا يعلمه إلا الله، وعن مجاهد وقتادة: أنه هو القلم الذي ذُكِرَ في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ العلق: ٤-٥، وهذا هو المناسب لقوله: وما يسطرون؛ في الظاهر، وهو الذي يقتضيه حال المشركين المقصودين بالخطاب الذين لا يعرفون إلا القلم الذي هو آلة الكتابة عند أهل الكتاب وعند الذين يعرفون الكتابة من العرب، ومن فوائد هذا القسم أن هذا القرآن كتاب الإسلام، وأنه سيكون مكتوبا مقروءًا بين المسلمين، ولهذا كان نبي الله يأمر أصحابه بكتابة ما يوحَى به إليه [١]، وكان للقسم بالقلم حكمة، فقد كُتِبَ به القرآن وكتبت به الكتب المقدسة وتكتب به كتب التربية ومكارم الأخلاق والعلوم وكل ذلك مما له حظ شرف عند الله تعالى، وهذا يرجحه أن الله نوّه بالقلم في أول سورة نزلت من القرآن بقوله: ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ العلق: ٣- ٥.

وقد اختلف في (النون) فهو عند ابن عباس الحوت الذي على ظهره الأرض، وهو قول مجاهد ومقاتل والسدي والكلبي، وروى أبو ظبيان عن ابن عباس قوله: أول ما خلق الله القلم، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم خلق النون فبسط الأرض على ظهره فتحرك النون فمادت الأرض، فأثبتت بالجبال [٢]، وقيل: هو الدواة، فإن بعض الحيتان يستخرج منه شيء أشد سوادا من النفس يكتب به- يقصدُ الحبرَ-، والقلم هو الذي خط اللوح، أو الذي يخط به، أقسم به تعالى لكثرة فوائده، وأما قوله: ما أنت بنعمة ربك بمجنون، فهو جواب القسم، والمعنى ما أنت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة الرأي، والعامل في الحال معنى النفي، وقيل بمجنون الباء لا تمنع عمله فيما قبله لأنها مزيدة، وإنَّ لكَ لأجرا على

---

[١] انظر ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ٦٠/٢٩.

[٢] البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ١٢٩/٥.

الاحتمال والإبلاغ، غير ممنون مقطوع أو ممنون به عليك من الناس فإنه تعالى يعطيك بلا توسط، وإنك لعلى خلق عظيم، إذْ تتحمل من قومك ما لا يتحمل أمثالك [١].

ومن قسم الله عند خطابه لنبيه الأمين، قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ الحاقة: ٣٨- ٤٢، لا أقسمُ نوع من القسم، وثمّة غير آية فيها هذا النوع [٢]، وكلها آيات مكية، وفعل القسم فيها جميعا، مسند إلى الله سبحانه، وجمهرة المفسرين يكتفون هنا بالقول: إنَّ لَا أُقْسِمُ معناه: أقسم، زيدت لا، للتأكيد: دون إشارة إلى المقتضى البياني للعدول عن أُقْسِمُ إلى لَا أُقْسِمُ، أو إيضاح وجه تأكيد القسم، بنقيضه وهو النفي، إلا أن الشيخ محمد عبده، لم يفته الوقوف عندها ليقول: إن لا أقسم، عبارة من عبارات العرب في القسم، يراد بها تأكيد الخبر، كأنه في ثبوته وظهوره لا يحتاج إلى قسم، ويقال إنه يؤتى بها في القسم إذا أريد تعظيم المقسم به، وكأن القائل هنا يقول: إني لا أعظمه بالقسم لأنه عظيم في نفسه، وفي لَا أُقْسِمُ قول آخر ذَكَرَه أبو حيان وهو: أنَّ النفي هنا حقيقي، وليس لتأكيد القسم، ونستقرئ كل مواضع الاستعمال القرآني لهذا الأسلوب في نفي القسم فنجد: أنه لم يستعمل "لا أقسم" إلا حين يكون الفعل مسندا إلى الله تعالى، وأن فعل القسم لم يأتِ في القرآن كله مسندا إلى الله، إلا مع "لا" النافية، وهذا الاستقراء صرح بأنّه سبحانه ليس في حاجة إلى القسم وأن نفي الحاجة إلى القسم تأكيد له، ومن مألوف استعمالنا أن نقول: لا أوصيك بفلان، تأكيدا للتوصية، كما نقول: بغير يمين، تأكيدا للثقة التي لا نحتاج معها إلى يمين [٣]، ونجد من اعتبر الآيات السابقات لا قسم فيها، وأنَّ لا نافية، "فالأمر عنده لا يحتاج إلى قسم وهو واضح كل الوضوح، ثابت كل الثبوت، واقع كل الوقوع، إنه حق، صادر عن الحق، وهو ليس شعر شاعر، ولا كهانة كاهن، ولا افتراء مفترٍ، ولهذا فالأمر ليس محتاجًا لتأكيد وقسم" [٤].

---

[١] البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ٢٣٣/٥.

[٢] انظر: الواقعة ٧٥، الحاقة ٣٨، المعارج ٤٠، القيامة ١، القيامة ٢، التكوير١٥، الانشقاق ١٦، البلد ١.

[٣] انظر بنت الشاطئ، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ١٦٥/١-١٦٦.

[٤] قطب، **في ظلال القرآن**، ٣٦٨٤/٦.

و يُقْسِمُ الله في آيات هذه السورة الكريمة بما يُبْصر الناس وما لا يُبْصرونه، وجواب القَسَم تثبيتٌ لنبي الهدى، كما حدث في بداية سورة النجم، ويُثْبِتُ رب العالمين للمعاندين المكذبين أنَّ النبي الأمين لا يقول إلا الصدق، وهنا لأنّهم كافرون أكّد الله بمؤكدين، فاستخدم حرف التوكيد إن واللام المزحلقة، وذلك لإنكار عدد كبيرة من عتاة قريش لدعوة النبي وكتابه الكريم، وكلامه ليس بالشعر فنصفه بالشاعر، ولا سجعه كسجع الكهان فنصفه بالكاهن، ونلاحظ أن الله قال بعد نفيه لصفة الشعر عنه: قليلا ما تؤمنون، وبعد نفي الكهانة قال: قليلا ما تذكّرون.

وقال الله في نفي الشاعرية: قليلا ما تؤمنون، وفي نفي الكهانة: ما تذكرون؛ والسبب فيه كأنه قال: ليس هذا القرآن قولا من رجل شاعر؛ لأنَّ هذا الوصفَ مباينٌ لصنوف الشعر كلها إلا أنكم لا تؤمنون، أي لا تقصدون الإيمان، فلذلك تُعْرِضُون عن التدبر، ولو قصدتم الإيمان لعلمتم كذب قولكم: إنه شاعر، لمفارقة هذا التركيب ضروب الشعر، ولا أيضا بقول كاهن؛ لأنه وارد بسبب الشياطين وشتمهم، فلا يمكن أن يكون ذلك بإلهام الشياطين، إلا أنكم لا تتذكرون كيفية نظم القرآن، واشتماله على شتم الشياطين، فلهذا السبب تقولون: إنه من باب الكهانة [1].

وقال قتادة عن " بما تبصرون وما لا تبصرون ": لقد أقسمَ الله بالأشياء كلها، فدخل فيه جميع المخلوقات والموجودات، وقال: أقسم بالدنيا والآخرة، وقيل: ما تبصرون ما على وجه الأرض وما لا تبصرون ما في بطنها، وقيل: ما تبصرون من الأجسام وما لا تبصرون من الأرواح، وقيل: ما تبصرون: الإنس، وما لا تبصرون: الملائكة والجن، وقيل: النعم الظاهرة والباطنة، وقيل: ما تبصرون ما أظهر الله للملائكة واللوح والقلم، وما لا تبصرون ما استأثر بعلمه فلم يُطلِع عليه أحدا [2].

ومن قسم الله عند خطابه للنبي الكريم، قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ ﴾ البلد: ١- ٢، وقيل في هذا: يجوز أن تكون لا زائدة، كما تقدم في لا أقسم بيوم القيامة، قاله الأخفش، أي أقسم؛ لأنه قال: بهذا البلد وقد أقسم به في قوله: ﴿ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ﴾التين:٣، فكيف يجحد القسم به وقد أقسم به، ومِن استخدام لا زائدة، قول الشاعر:

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ٦٣٣/٣٠.
[2] البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ١٤٩/٥.

تذكرتُ ليلى فاعترتني صبابةٌ   وكاد صميمُ القلبِ لا يتقطع

أي كاد يتقطع [١]، وأما البلد الذي أقسم الله به، فقد قصد به مكة المكرمة شرّفها الله، وأمّا قوله تعالى: "وأنتَ حلّ بهذا البلد"، فمقصوده أنَّ النبي الكريم، أحل الله له يوم دخل مكة أنْ يقتل من شاء، ويستحيي من شاء، فقتل يومئذ ابن خطل صبرا وهو آخذ بأستار الكعبة، فلم تحلّ لأحد من الناس بعد نبي الله أنْ يقتل فيها حراما حرّمه الله [٢].

وإذا انتقلنا إلى سورة الضحى، فإننا نجد تثبيتا للنبي الكريم، يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ الضحى:١- ٣، بدأ الله تعالى بالقسم بالضحى، وأتْبَعَه بالليل عند قدومه، وقيل: ذهابه وقيل: استوائه وسكونه [٣]، وكان رب العالمين قد أقسم بالضحى في سورة أخرى، فقال: ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴾ الشمس: ١، ونفى رب العالمين في جواب القسم في سورة الضحى ترك نبيه الكريم وحده، بل إنه سيبقى إلى جنبه داعما وحافظا له وقت الدعوة، ولن يبغضه أبدا، إذْ كيف للحبيب أن يبغض حبيبه؟ وكيف لله أن يبغض خير خلقه؟ وكيف يمكن أن يبغض الله سيدَ الأنبياء والمرسلين؟ والله تعالى يذكر في الآيات اللاحقة أن يوم القيامة خير من الدنيا بأسرها، وسيعطي الله نبيه جزاء موفورا عظيما، ثم يذكر الله كيفية وقوفه إلى جنبه مذ كان يتيما فقيرا، وأن عليه التحدث بالنعم العديدة التي أنعمها الله عليه، وذلك معروف جرى ذِكْره في السابق.

ومن الأمور المهمة المتعلقة بالقَسَمَ في القرآن الكريم، أن يأتي القسم في آية واحدة، أو في آيتين متتابعتين أو غير متتابعتين، بل قد يأتي في غير آية، وتهمنا الآيات التي فيها خطاب للنبي الكريم بعد كل قَسَم، وغالبا ما يأتي الخطاب في جواب القسم، إذْ نجد في الآية الأولى من سورة النجم قَسَما وفي الثانية جواب القسم الذي يختص بنبينا الكريم، وكذلك سورة طه والقلم و ق، أمّا سورة البلد ففي الآية الأولى قسمٌ وفي الثانية أمرٌ يختص بالنبي الكريم، أما سورة الضحى وسورة يس ففي الآية الأولى والثانية منهما نجد قسما وفي الثالثة نجد جواب قسم يختص بنبينا الكريم، ومثلهما سورة الحاقة، إذْ نجد الآيتين ٣٨ و٣٩ فيهما قسم، وكان الخطاب للنبي الكريم في الآية رقم ٤٠، وأما البروج فالآيات الثلاث الأولى منها فيها قسم

---

[١] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ٥٩/٢٠.

[٢] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ٤٢٩/٢٤.

[٣] انظر المصدر السابق، ٤٨٢/٢٤-٤٨٤.

وثالثتها تختص بالنبي الكريم، وأما سورة الطارق ففي الآية الأولى قسمان، وفي الثالثة نجد خطابا للنبي الكريم بصيغة الاستفهام، أما سورة التكوير فقد أقسم الله ثلاث مرات قبل أنْ ينزه قول النبي الكريم، فقال: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ﴾ التكوير: ١٥- ١٩، وأما سورة الفجر، فقد أقسم الله بخمسة أمور قبل أن يطرح سؤالا على النبي الكريم، يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلۡفَجۡرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴿٤﴾ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجۡرٍ ﴿٥﴾ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ ﴾ الفجر: ١- ٦، وكذلك أقسم الله بخمسة أمور في سورة الطور، قبل أن يؤكد وقوع عذابه على مستحقيه، يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ ﴾ الطور: ١- ٧.

الفصل الرابع: جماليات أسلوب الخطاب الإلهي في المستوى التركيبي

- التقديم والتأخير

- التكرار

- الحذف

- الالتفات

- التقديم والتأخير:

للتقديم والتأخير أهمية كبيرة في عِلْم النحو، وعِلْم البلاغة، وغيرهما من العلوم، وقد تحدَّثَ عنهما غير عالم، فبيّنوا كثيرا من جماليات هذا الأسلوب، واستخرجوه من آيات كثيرة في كتاب الله الكريم، ومن أشعار العرب وغيرها، وقد كان سيبويه أول من لفت الأنظار إليه، إذْ يقول: "كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهمّ لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم" [(١)]، أي أن العناية والاهتمام يعدان من أبرز أغراض التقديم والتأخير، ويقول عبد القاهر الجرجاني: هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قُدِّمَ فيه شيءٌ، وحُوِّلَ اللفظ عن مكان إلى مكان [(٢)]، ويُضيف: للتقديم فائدة شريفة ومعنى جليل لا سبيل إليه مع التأخير [(٣)]، وقد كشف عبد القاهر الجرجاني كيفية حصول المزيّة في التقديم والتأخير بتحريك بعض الألفاظ عن أماكنها الأصلية إلى أماكن أخرى، أضفتْ على الدلالة بُعْدا جماليا، نفتقدها إذا عُدْنا بها إلى رتبتها الأولى [(٤)].

ويقول الزركشي: "هو أحد أساليب البلاغة، فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق" [(٥)]، والتقديم والتأخير ليس جديدا على العرب، فقد كانت "تفعل ذلك في مخاطبتها قبل أن ينزل الكتاب على نبيه عليه السلام" [(٦)]، لكن الجديد هو الاستخدام البديع له في القرآن الكريم، إنه الاستخدام الذي يحار فيه المرء، ويُمْعن فيه معتقدا لا ظانا، أنه نصٌّ إلهي يعجز البشر عن الإتيان بمثله. والتقديم والتأخير عند ابن الأثير ضربان: الأول: يختص بدلالة الألفاظ على المعاني، ولو أُخِّرَ المُقدَّم أو قُدِّمَ المُؤخَّر لتغيرَ المعنى، والثاني: يختص بدرجة التقدم في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك، ولو أُخِّرَ لَمَا تغير المعنى، فأما الضرب الأول، فإنه

---

(١) سيبويه، أبو بِشْر عمرو بن عثمان بن قنبر، (ت:١٨٠هـ)، (١٩٨٨م)، **الكتاب**، ط٣، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي: القاهرة، ٣٤/١.

(٢) انظر الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت:٤٧١هـ)، (١٩٩٢م)، **دلائل الإعجاز في علوم المعاني**، ط ٣، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني: القاهرة، دار المدني: جدة، ص ١٠٦.

(٣) انظر المصدر السابق، ص ٢٨٦.

(٤) عبد المطلب، محمد، (١٩٨٤م)، **البلاغة والأسلوب**،(د.ط)، الهيئة المصرية للكتاب: القاهرة، ص ٢٤٩.

(٥) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ٢٣٣/٣.

(٦) المحاسبي، أبو عبد الله الحارث بن أسد (ت:٢٤٣هـ)، (١٩٧٨م)، **فهم القرآن ومعانيه**، تحقيق حسين القوتلي، دار الكندي ودار الفكر: بيروت، ص ٤٧٦.

ينقسم إلى قِسمين: أحدهما: يكون التقديم فيه هو الأبلغ، والآخر: يكون التأخير فيه هو الأبلغ، فأمّا القِسم الذي يكون التقديم فيه هو الأبلغ، فكتقديم المفعول على الفعل، وتقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم الظرف أو الحال، أو الاستثناء على العامل [1].

والتقديم والتأخير رافدان من روافد الإيقاع الصوتي للعبارة، ونجد هذا الأسلوب في غير آية في القرآن الكريم، إذْ تمَّ تقديم لفظة أو تأخيرها لتكون في مكانها الأمثل الذي يجعلها تؤدي وظيفة مهمة، فمراعاة الفواصل القرآنية من أساب تقديم لفظة أو تأخيرها.

ففي العديد من الآيات التي جرى فيها تقديم وتأخير، نرى ما قُدِّمَ وحقّه التأخير أو العكس، وهذا دون شك له غاية، وغرض فني أو جمالي يُرام تحقيقه، فتحريك الكلمة أفقيا إلى الأمام؛ أو الخلف، يساعد مساعدة بالغة في الخروج باللغة من طابعها النفعي إلى طابعها الإبداعي [2]، "وثمّة ترتيب في الجملة لا يمكن مخالفته، وهو ما يعرف بالرتبة المحفوظة، وثمة ترتيب غير لازم، وهو ما يعرف بالرتبة غير المحفوظة، وأشار القدماء إلى قضية رعاية الرتبة كسيبويه عن شيخه الخليل" [3].

وللتقديم أقسام منها:

أولا: ما قُدِّمَ والمعنى عليه:

من ذلك تقديم النداء على الأمر، يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ ﴾ المزمل: ١- ٤، فالخطاب هنا فيه تنبيه للنبي الكريم على أن الله سيلقي عليه أمرا مُعَيّنا بعد التمهيد بهذا النداء، وكذلك الأمر في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥ ﴾ المدثر: ١- ٥، إذْ تَبِعَ التمهيد بالنداء غير أمر موجه لذات النبي الكريم، وغالبا ما يكون النداء بساطا يمهد لطرح أمر أو سؤال ما على المخاطَب، وأسلوبا لجذب المتلقي.

---

[1] ابن الأثير، ضياء الدين (ت:٦٣٧هـ)، (د.ت)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، (د.ط)، (تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة)، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع: القاهرة، ١٧٢/٢.

[2] انظر عبد المطلب، محمد، (١٩٩٥م)، **جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم**، (د.ط)، مكتبة لبنان: بيروت، والشركة المصرية العالمية للنشر: الجيزة- مصر، ص ١٦١- ١٦٢.

[3] الشلوي، بريكان سعد، (٢٠١٠م)، التقديم والتأخير في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة نحوية دلالية، **مجلة جامعة الطائف للآداب والتربية**، مج١ (ع.٤): ص ٢٥٣.

ومنه تقديم الأمر على الاستفهام، فكقوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِ ﴾ الأنعام: ١٢، فهنا أمر مباشر للنبي الكريم هيَّأ من خلاله لطرح سؤال مهم على الناس، وهذا السؤال لا يحتاج إلى إجابة بل يحتاج إلى تأمّل وتفكر في خلق الله تعالى وملكه، ومثل هذا الأمر في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ ﴾ الأنعام: ١٤، هنا إشارة أخرى إلى أن الأمور كلها بيد الحي الذي لا يموت، ومن ذلك الآية ١٩ والآية ٢٤ من سورة الأنعام.

أما تقديم الأمر على النداء فكقوله: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ الكافرون: ١، وانظر كذلك: الأعراف ١٥٨ ويونس ١٠٤ ويونس ١٠٨ والأنعام ١٣٥ والزمر:١٠ و٣٩ و٥٣.

ونجد في القرآن الكريم، العديد من الآيات التي تمَّ تقديم لفظة ما فيها على حساب أخرى، عندما يخاطب الله نبيه الكريم، ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ الأنعام: ٤٢، هنا تمّ تقديم كلمة البأساء على الضراء، ولهذا الأمر سبب دون شك، فقد قيل: البأساء هي شِدّة الفقر والضيق في المعيشة، والضراء هي الأسقام والعلل العارضة في الأجسام [١]، والبأساء تكون المصائب في الأموال، والضراء تكون في الأبدان، ويؤدّب الله عباده بالبأساء والضراء، واستدل العباد في تأديب أنفسهم بالبأساء في تفريق الأموال، والضراء في الحمل على الأبدان بالجوع والعري بهذه الآية [٢]، ونلاحظ أن الله تدرج في عقاب الأقوام المكذبة السابقة، فضيق عليهم معيشتهم وقلل أموالهم ليعتبروا ويعدلوا عن غيّهم، ثم قام تعالى بجعل السقم يمسهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن أمرهم بيده وحده.

وتم تقديم كلمة غفور على رحيم في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ الأعراف: ١٥٣، فالله عز وجل تحدث عن قبول التوبة، فناسب ذكر المغفرة للذنوب، وهذه المغفرة كانت لرحمة واسعة عنده، وقيل: إنَّ هذا التقديم والتأخير من باب المرتبة، "فالمغفرة سلامة والرحمة غنيمة والسلامة مطلوبة قبل

---

[١] انظر الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ٣٥٤/١١-٣٥٥.

[٢] انظر القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ٤٢٤/٦.

الغنيمة، وإنما تأخرت في الآية الثانية من سورة سبأ؛ لأنها منتظمة في سلك تعداد أصناف الخلق من المكلفين وغيرهم، فالرحمة شملتهم جميعا والمغفرة تخص بعضا والعموم قبل الخصوص بالرتبة" [١].

وتمَّ تقديم الرسول على النبي، من باب شرف الرسالة [٢]، في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ الأعراف: ١٥٧، فالرسول صاحب رسالة وصاحب معجزات.

ويقول الله تعالى: ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ فصلت: ٤٣، تم تقديم المغفرة على عقاب الله؛ ترغيبا بالمسارعة في التوبة، ليعلم الناس أن الله يفتح باب المغفرة للجميع في كل حين، قبل أن يعذبهم، وهذا من رحمته الكبيرة، فهو أرحم من الأم بوليدها، لكن من يصرُّ على الكفر فلن يجد في الآخرة إلا العقاب الأليم، هذا إن لم يوقع الله عقابا عليه في الدنيا أولا.

ويقول الله تعالى:﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الشعراء: ٩، قَدَّم ذكر العزيز على ذكر الرحيم لأنه لو لم يقدمه لكان ربما قيل إنه رحمهم لعجزه عن عقوبتهم، فأزال هذا الوهم بذكر العزيز وهو الغالب القاهر، ومع ذلك فإنه رحيم بعباده، فالرحمة إذا كانت عن القدرة الكاملة كانت أعظم وقعا [٣].

ويقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ يونس: ١٠٦، هنا قدم الله تعالى: ما لا ينفعك على ما لا يضرك، وذلك للتأكيد على أنه لا نافع له غير الله، وكذلك لن يصيبه مكروه إلا بمشيئة الله، والنفع هو ما يبحث عنه الإنسان دوما، وهنا مواجهة مباشرة بأن النفع الذي يُرتجى لن يُرتجى إلا من الله وحدَهُ.

ويقول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ هود: ١٢٣، هنا تقديم للفعل: اعبده على الفعل توكل، وهذا الأمر كان لحصول التوكل بعد العبادة لله، فكيف يتوكل على الله من لا يعبده؟

---

[١] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ٢٤٩/٣.

[٢] انظر المصدر السابق، ٢٥٢/٣.

[٣] الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ٤٩٢/٢٤.

وأما الآية الكريمة الآتية: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ الإسراء: ٨٨، تَمَّ تقديم الإنس على الجن؛ لأن التحدي كان لمن زعم افتراء القرآن من قريش، فناسب تقديم الإنس، وهذا التقديم من باب "الشرف بالفضيلة" [١]، أي أن الإنس فضّلهم الله على الجن فقدمهم، وقيل: ومن دقائق القرآن ولطائفه في البلاغة، أنه يقدّم أَوْلَى الاسمين المتلازمين في آية، لسرّ من أسرار البلاغة يقتضيها ذلك المقام، ولا يؤخر ذلك المقام في آية أخرى، إلا لسرّ آخر، ففي سورة "الناس" قدم الله الجِنّة على الناس، في قوله تعالى: ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ الناس: ٦؛ لأن الحديث عن الوسوسة، وهي من شياطين الجن، أخفى وأدق، وإنْ كانت من شياطين الإنس أعظم وأخطر وأدهى وأَمَرّ؛ فشيطان الجن يستخدم شيطان الإنس للشر والإفساد، فيربى عليه ويكون شرا منه؛ لأنه بمثابة السلاح الذي يفتك به؛ ورُب كلمة واحدة صغيرة يوحيها جني لإنسي، ويوسوس إليه بتنفيذها، فتتولد منها فتنٌ، ويتمادى شرها من قرن إلى قرن ومن جيل إلى جيل [٢].

ونلاحظ في سورة الضحى أنَّ الله قدّم أمرين على أمر معين، فقد قدّم أولا النهي على قهر اليتيم، وقدم ثانيا نَهْر السائل، على التحدث بنعمته تعالى [٣]، فلماذا أخّرَ الشكر لذاته وقدّمَ ما يتعلق باليتيم والسائل؟ ويقول الرازي: إنَّ الحكمة من ذلك فيها وجوه، أحدها: كأنه يقول أنا غني وهما محتاجان، وتقديم حق المحتاج أَوْلَى، وثانيها: أنه وضع في حظهما الفعل ورضي لنفسه بالقول، وثالثها: أن المقصود من جميع الطاعات استغراق القلب في ذكر الله، فجعل خاتمة هذه الطاعات تحدث القلب واللسان بِنِعَم الله تعالى حتى يكون ختم الطاعات على ذكر الله، واختار قوله: فحدث على قوله فخبر، ليكون ذلك حديثا لا ينساه، ويعيده مرة بعد أخرى [٤].

---

[١] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ٣/٢٥٥.

[٢] انظر ابن باديس،عبد الحميد محمد (ت:١٣٥٩هـ)، (١٩٩٥م)، **تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**، ط١، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية: بيروت، ص ٣٨٥-٣٨٦.

[٣] انظر بنت الشاطئ، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ١/٥٤.

[٤] انظر الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ٣١/٢٠١.

ثانيا: ما قُدِّمَ والنية به التأخير:

هذا النوع هو الثاني من أنواع التقديم والتأخير، "فمن سُنن العرب تقديمُ الكلام وهو في المعنى مُؤخّر، وتَأخِيرُهُ وهو في المعنى مُقَدَّم" [١].

ما قدِّمَ و النية به التأخير في الجملة الفعلية:

سنبدأ بتقديم الفاعل على الفعل، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ يونس: ٥٩، فقد قُدِّمَ الفاعل على فعله لتأكيد إنكار نسبة الفعل إلى فاعله المقدّم [٢]، فالإنكار واضح والافتراء بيّن على الله من قِبَلِ الكافرين، ولمواجهتهم وتبيان كذبهم، ذُكِرَ الفاعل (لفظ الجلالة) قبل الفعل.

ومن تقديم الفاعل على الفعل قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ﴾ يونس: ٣٥، تقدم الفاعل لفظ الجلالة (الله)، على الفعل يهدي، وهذا أسلوب من أساليب إقامة الحُجّة.

أما تقديم المفعول به على الفعل والفاعل، فمنه تقديم لفظ الجلالة (الله) على الفعل والفاعل أعبدُ، في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴾ الزمر: ١٤، وهنا إشارة إلى أن الله وحدَه هو الإله الذي يجب أن يعبده النبي والمؤمنون، والنبي ومن آمن معه عليهم الإخلاص في عبادة الله، ورفع شأن دينهم، وهذا التقديم للتركيز على المعبود الواحد الأحد ونفي إشراك أحد معه في ذلك.

فالمفعول شاع واطّردَ تقدمه على الفَاعِل حتّى دعا ذاك أبا عليّ الفارسي إلى القول: إنَّ تقديم المفعول على الفاعل قِسْم قائم برأسه، وإنْ كان تقديم الفاعل أكثر؛ وقد جاء به الاستعمال مجيئا واسعا، في لغة العرب [٣].

ومن تقديم المفعول به على الفعل والفاعل، قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الأنعام: ١٤، هنا تقدم المفعول به الثاني غيرَ، على الفعل والفاعل والمفعول به

---

[١] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت:٣٩٥هـ)، (١٩٩٧م)، **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، ط١، تحقيق محمد بيضون، دار الكتب العلمية: بيروت، ص ١٨٩.

[٢] انظر نزال، **لغة الحوار في القرآن الكريم دراسة وظيفية أسلوبية**، ص ١٠٦.

[٣] انظر البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت:١٠٩٣هـ)، (١٩٩٧م)، **خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب**، ط ٤، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي: القاهرة، ٢٧٨/١.

الأول، وذلك لنفي اتخاذ ولي للنبي غير الله تعالى، فإيمانه بالله خالص لوجهه، ولا يُشرِك معه أحدا، ونلاحظ الإنكار الشديد، ونفي اتخاذ غير الله وليا، في السماوات والأرض.

ومن تقديم المفعول به على الفعل والفاعل، قوله تعالى: ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ ﴾ المدثر: ٣- ٥، هنا تقدمت المفاعيل الثلاثة على أفعالها، فالأصل: كبّر ربَك، وطهّر ثيابَك، واهجر الرجزَ، ولكن تقدمت المفاعيل للتركيز عليها والتنبيه إليها، فلا تكبّرْ غير الله، وطهّرْ ثيابك دوما، واهجر الرجز ولا تقربه، وكذلك جاء التقديم لمراعاة الفاصلة في الآيات.

ومن ذلك، قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ ﴾ الضحى: ٩- ١٠، فالأصل: فلا تقهر اليتيم ولا تنهر السائل، ولكن قُدِّمَ المفعول لمناسبة الفاصلة القرآنية، وقيل: تقدم المفعول به على الفعل والفاعل جاء للأهمية، والعناية، والتخصيص معا، ففي هذه الآية تخصيص لليتيم في عدم القهر نظرا لما لليتيم من أهمية وعناية عند الله، فإذا كان لا بدَّ من القهر أو النَّهْر في الآية التي تليها فحذار أن يكون اليتيم، والسائل [1]، "فتقديم اليتيم والسائل للاهتمام بشأنهما والتوجيه إلى عدم استضعافهما" [2].

ومن تقديم المفعول به على الفاعل، قوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ الإسراء: ٢٣، تم تقديم "الكبرَ" على "أحدُهما"، وهذا لبذل جهد مضاعف في الاهتمام بالأبوين عند كبرهما، وفي الآية إشارة أخرى إلى تجنب قول كلمة أف لهما، بل تجنّب قول أي كلمة جارحة لهما، فهي من الأمور التي تجرح نفسهما، وكان هذا النهي قد تقدم على نهي آخر يقتضي عدم رفع الصوت عليهما لزجرهما عن شيء ما، ثم أتى أمر بمخاطبتهما مخاطبة لطيفة فيها لين ولطف شديد، يناسب عمرهما.

أمّا تقديم شبه الجملة على أركان الجملة الفعلية فمتعدد، وغايته بصفة عامة التوكيد والتحقيق، ومنه:

---

[1] جوارنة، أحمد محمود الصالح، (٢٠٠٩م)، **التقديم والتأخير في الجملة العربية في السور المكية**، (د.ط)، المركز القومي للنشر: إربد- الأردن، ص ٢٢٨.

[2] الباز، **من اللمسات البيانية والإشارات العلمية في القرآن الكريم**، ص ١٩٢.

تقديم شبه الجملة من الجار والمجرور على الفاعل كقوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ﴾ الأنعام: ٣٥، هنا تقديم شبه الجملة عليك، على الفاعل وهو المصدر "إعراضُهم"؛ لأنَّ النبي الكريم شَعَرَ بضيق كبير من أعمال الكافرين، وليُعْلِمَ الله نبيه معرفته بهذا الأمر وأنه يقف إلى جانبه وقت الدعوة.

ومن ذلك تقديم شبه الجملة من الجار والمجرور إليك، على الفاعل ربك، قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ﴾ الإسراء: ٣٩، هنا تأكيد أن الوحي كان من الله رب العالمين إلى النبي الكريم، وأنه وهبه الحكمة.

ونجد تقديما لشبه الجملة الظرفية على الفاعل والمفعول به، كقوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ الإسراء: ٢٣، تقدمت شبه الجملة الظرفية عندك، على الفاعل أحدُهما والمفعول به الكبرَ، للإشارة إلى بذل الاهتمام من الابن بأبويه، ولا سيما عند كِبَرِ أحدهما أو كليهما، ولهذا تقدم المفعول به أيضا على الفاعل.

ونجد تقديما لشبه الجملة من الجار والمجرور على نائب الفاعل، كقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ الأنعام: ٨، هنا تقدمت شبه الجملة عليه، على نائب الفاعل (مَلَكٌ)، وهنا إشارة إلى إصرار زيادة المشقة على النبي الكريم بطلبات المكذبين الكثيرة التي تلاحقه تِبَاعا دون ملل، فهم يترصدون نبي الهدى ويطالبونه بغير أمر ظانين أن الله سيخذله، لكن هيهاتَ، فلن يزيدهم تعنتهم إلا ضلالا، والله يرسل آياته الباهرة لتصديق نبيه الكريم.

ومن ذلك تقديم شبه الجملة من الجار والمجرور (إليك) على نائب الفاعل (وحيُه)، في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ طه: ١١٤، حصل هذا الأمر حتى لا يستعجل النبي الكريم، فالوحي من الله سيتنزل عليه في الوقت المناسب الذي يرتئيه الله.

ونجد تقديما لشبه الجملة من الجار والمجرور على المفعول به، كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ ﴾ الأنعام: ٧، إذْ قَدَّمَ شبه الجملة من الجار والمجرور (عليك) على المفعول به (كتابا)، وذلك للتأكيد على أن إنزال القرآن كان على النبي وحده لا غير، وتنبيه المتلقي لهذا الأمر المهم سبَّبِ تقديم شبه الجملة، والأمر ذاته في قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ النحل: ٨٩.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ الإسراء: ٢٤، تقدمت شبه الجملة لهما، على المفعول به "جناحَ"، للتأكيد على أهمية الاعتناء بهما ورحمتهما والقيام بتوفير سبل الراحة لهما بشتّى الطرق والوسائل.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ يوسف: ٣، تقدمت شبه الجملة إليك، على المفعول به (هذا)، للتأكيد على أن الله قد أوحى لنبيه العزيز القرآن الكريم، وأنه متلقي الوحي الأول والأوحد، ولم يقم بكتابة حرف واحد من آيات الذكر الحكيم، فما هو إلا مُبلِّغ لآيات ربه.

ومن تقديم شبه الجملة على المفعول به، تقديم شبه الجملة لكَ على المفعول به الأمثالَ، في قوله تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ الإسراء: ٤٨، هنا للتأكيد على أنهم يتوجهون إلى النبي مباشرة بالتهم الكاذبة المتعددة، من حين لآخر، إذْ اتّهموه في الآية التي تسبق هذه بالسحر، قاتلهم الله، فهم يواجهون النبي ويفترون عليه.

ومن تقديم شبه الجملة على المفعول به، قوله تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ الكهف: ١٣، تقدمت شبه الجملة (عليك) على المفعول به نَبأَهم، للتأكيد على أن متلقي الوحي لا يعلم الغيب، بل إنه يعلمه من لدن العلي العظيم.

وقيل عن الفرق بين النبأ والخبر: "النبأ أهم من الخبر وأعظم، ووصفه الله بالعظمة في قوله: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ النبأ: ٢، وقال: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴾ ص: ٦٧، والقرآن لم يستعمل لذكر أخبار الماضين من الرسل وغيرهم إلا الأنباء" [(١)].

وتقدمت شبه الجملة من الجار والمجرور (له)، على المفعول به: وليا، في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ الكهف: ١٧، هنا تأكيد من الله على أن الضالّ لن يجد له وليا يرشده للصواب، إنْ أصرَّ على عناده وضلاله، واعلم يا نبي الله أنَّ الله وحده الذي يهدي إلى جادّة الحق، وليعلم كل مؤمن ذلك ولا يبتعد عن الصواب.

وقد تقدمت شبه الجملة فيهم و شبه الجملة منهم، على مفعول به واحد، هو: أحدا، في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٢، وذلك للتأكيد على عدم الالتفات إلى هؤلاء، والإعراض عنهم بشتّى الطرق والوسائل؛ لأنّهم ليسوا أهلا لذلك.

وتم تقديم شبه الجملة لبشر وشبه الجملة من قبلك، على المفعول به: الخلدَ، في قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ الأنبياء: ٣٤، كان ذلك للتأكيد على أن النبي من البشر أولا، أي أنه سيشرب من كأس الموت، وثانيا سيقع عليه الموت كما وقع على الذين من قبله، أي الذين لم يعرفوا الخلد في الدنيا.

ومنه تقديم شبه الجملة بهدف التخصيص، كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ ﴾ الشرح: ١- ٤، إذْ قدم شبه الجمل الآتية: لكَ، عنكَ، لكَ، على المفعول به: صدرك، وزرك، ذكرك، على التوالي، وكان ذلك قد أفاد الاختصاص، وأيضا شرّ على وقوف الله تعالى إلى جانب نبيه الكريم، واعتنائه به في كل وقت وحين، كما يمتن الله على نبيه الكريم بهذه الأمور التي أعانته على الدعوة.

وقد تقدمت شبه الجمل الآتية: (لك، به، علينا) على المفعول به وكيلا، في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ الإسراء: ٨٦، هذا

[(١)] السامرائي، فاضل صالح، (٢٠٠٨م)، **أسئلة بيانية في القرآن الكريم**، ط١، مكتبة الصحابة: الشارقة- الإمارات، ومكتبة التابعين: القاهرة، ص ٢٠٣.

لمعرفة قدرة الله على كل شيء، وأنه إذا شاء فإن مشيئته ستحدث بلحظة، فمقاليد السماوات والأرض بيديه الكريمتين، فما من وكيل إلّاه للنبي الكريم ولكل مسلم، وأينما كان المرء فليدعُ ربه، ولينتظر الإجابة منه.

ومن الآيات التي تقدمت شبه الجملة من الجار والمجرور على المفعول به فيها عند خطاب النبي الكريم: الكهف ٣٢، الكهف ٤٥، الكهف ٨٣، مريم ١٦، مريم ٤١، مريم ٥١، مريم ٥٤، مريم ٦٥، الفرقان ٩، يس ١٣، المدثر ٣، المدثر ٤، المدثر ٥.

ومنه تقديم شبه الجملة لإفادة العناية وتأكيد الأهمية، كتقديم شبه الجملة الظرفية (مع الله) على المفعول به (إلها)، في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ الشعراء: ٢١٣، والأمر ذاته جاء في تقديم شبه الجملة الظرفية (مع الله) على المفعول به (إلها)، في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ الإسراء: ٣٩، هنا إشارة إلى أهمية توحيد الله وأن لا نشرك معه إلها آخر، ولنا أسوة حسنة بنبينا الكريم، حتى لا نذوق عذاب جهنم؛ ولأن هذا الأمر يعد من الشرك الأكبر، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ النساء: ٤٨.

وقد تقدمت شبه الجملة الظرفية (بينك) على المفعول به (حجابا)، في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ الإسراء: ٤٥، فالله يحمي نبي الهدى، ويذكّره بهذا الأمر، والكلمة التي ينتظرها المتلقي تأخرت هنا بعد ضمان من الله أن يكون النبي في مأوى عن ضلال الكافرين ومضايقتهم، وبعد ذِكْرِها تطمئن النفس، ويرتاح الفكر، وكان انتقاء هذه الكلمة في محلها، إذْ الحجاب من الحجب، وهو يدلّ على عدم المقدرة على اختراق شيء ما، أو العبث به، أو التفكر في إيجاد طريقة للنفاذ إليه.

ونجد تقديما لشبه الجملة من الجار والمجرور (لهما) على المفعول المطلق (قولا)، في قوله تعالى: ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ الإسراء: ٢٣، هنا للتنبيه الشديد على أهمية قول الكلام اللطيف الحسن الذي يثلج صدرهما، والابتعاد عن الكلام المنغّص لهما.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾

الإسراء: ٢٨، إذْ تقدم المفعول المطلق "قولا" على شبه الجملة "لهم"؛ لأن دعوة النبي إلى الإسلام لم تجبر أحدا على الدخول إليه دون اقتناع، فإن أعرض عن الكافرين المكذبين، فعليه أن يخاطبهم بقولٍ ليّنٍ، لعل الله يزيل الغشاوة عن عيونهم، وليعلموا أنه رسول رب العالمين، جاء ليخرجهم من الظلمات إلى النور.

ومن تقديم شبه الجملة من الجار والمجرور (عليك) على النائب عن المفعول المطلق (أحسنَ)، قوله: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾ يوسف: ٣، هنا تأكيد بأن القرآن من لدن الله تعالى وأنه نزّله على النبي الكريم.

ونجد تقديما لشبه الجملة من الجار والمجرور (للدين) على الحال (حنيفا)، في قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ يونس: ١٠٥، هنا للتأكيد على أن الدين هو الشيء المهم الذي يجب أن يقيم النبي وجهه له.

وقد تقدمت شبه الجملة الظرفية (حول جهنم) على الحال (جثيا)، عندما خاطب الله نبيه الكريم تثبيتا له وتأكيدا على أن كل كافر مستهزئ به سيناله العذاب الشديد، وتقدمت شبه الجملة للإشارة إلى المكان الذي سيكونون فيه ذليلين خاسرين، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ مريم: ٦٨.

ونجد تقديما لشبه الجملة من الجار والمجرور على المفعول لأجله: كقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ الأعراف: ٢٠٥، فكلمة تضرعا مفعول لأجله تأخر، وشبه الجملة التي تقدمت كان هدفها التأكيد على ذكر الله في نفس النبي، وكل مسلم متوكل على الله تعالى في كل حين.

ونجد تقديما لشبه الجملة على فعل الأمر، فالملحظ البياني في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾ الشرح: ٨، هو في تقديم "وإلى ربك" على الفعل "ارغب"، وهو أسلوب بلاغي يفيد القصر والتخصيص، وقد رُبِطَت الآية بما قبلها بواو العطف، فلزم أن يكون هذا التخصيص

في "وإلى ربك فارغب" مرتبطا بما قبله، متصلا به [١]، وقيل: "اجعل يا محمد رغبتك إلى ربك، دون من سواه من خلقه، إذْ كان هؤلاء المشركون من قومك قد جعلوا رغبتهم في حاجاتهم إلى الآلهة والأنداد" [٢].

التقديم والتأخير في الجملة الاسمية:

تقدّم الخبر على المبتدأ، في قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾ الصافات: ١٤٩، هنا تأخر المبتدأ مرتين عن خبر كل واحد منهما، فهنا تقدم الخبر للدلالة على التعجب من قول الكافرين بأن لله البنات وقصدوا بهم الملائكة، وأن البنين لهم، وهذا يدلّ على ضلالهم الشديد وسوء تفكيرهم واعتقادهم الباطل، ومن موجب التقديم اقتران الخبر بهمزة الاستفهام وهي من الأحرف التي لها حق الصدارة، وقيل: هؤلاء زادوا على الشرك ضلالات أخَر، كالتجسيم وتجويز الفناء لله تعالى، كما فضلوا أنفسهم عليه، برأيهم وحسب تقديرهم، فجعلوا أوضع الجنسين له وأرفعهما لهم، واستهانوا بالملائكة فأنثوهم، ولذلك كرر الله تعالى إنكار ذلك وإبطاله في كتابه مرارا، وجعله مما تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدّا [٣].

وفي قوله تعالى: ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴾ القيامة: ١٢، تمّ تقديم شبه الجملة "إلى ربك" والظرف "يومئذ" على المبتدأ "مستقر"، وكذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴾ القيامة:٣٠، تم تقديم شبه الجملة والظرف على المبتدأ "المساق"، وكان هذا التقديم للإشارة إلى أنَّ الله تعالى هو الذي سنؤول إليه، وللتفكر في الأمر الذي سيُورَدُ بعد شبه الجملة إلى ربك.

الترتيب في جملة كان وأخواتها:

إذ تقدمت شبه الجملة (لهم) التي في محل نصب خير ليس، على اسم ليس (ولي)، في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾

---

[١] بنت الشاطئ، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ٧٩/١.

[٢] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ٤٩٨/٢٤.

[٣] انظر البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ١٩/٥.

الأنعام:٥١، وهذا تأكيد على أن الله هو وليّ الذين آمنوا، وهنا الفعل الماضي الناقص ليس، ينفي وجود وليّ للناس غير الله.

وهذه الآية: ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴾ القلم: ٢، فيها تقديم وتأخير، إذْ تأخَّرَ خبر ما العاملة عمل ليس (بمجنون)، عن شبه الجملة المتعلّقة بالخبر (بنعمة ربك)، وهنا كأن الله يريد التأكيد على إبعاد صفة الجنون عن النبي الكريم، إضافة لنفيها عنه بما النافية، وهذه الباء التي في كلمة بمجنون، قيل: إنها زائدة للتوكيد.

الترتيب في جملة إنَّ وأخواتها:

تقدم خبر إن "إلى ربك" على اسمها "الرجعى"، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ﴾ العلق: ٨، وذلك للتأكيد على أن المرجع إلى رب العالمين، فمهما فعل الإنسان وظن أنه سيهرب من عقاب الله، فإن المآلَ لربه حاصلٌ دون شكّ، ومن يعبد ربه حق العبادة فإنه سيعود إليه؛ ليجزل له العطاء، ويكرمه على ما فعل في دنياه، علاوة على أن تأخير الخبر كان لتوازن الفواصل القرآنية.

وتقدمت شبه الجملة الظرفية (عندي)، على اسم أنَّ (الاسم الموصول ما)، في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوۡ أَنَّ عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۗ ﴾ الأنعام: ٥٨.

وأمّا الترتيب في الجملة الشرطية:

فكقوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ الأنعام: ١٥، هنا تقدم جواب الشرط (إني أخاف) على الأداة وفعل الشرط؛ لأنه يشير إلى أهمية الخوف العظيم من الله والرغبة في اجتناب عذابه الأليم، وهذا الأسلوب يأتي للتوكيد على الشعور بالخوف من العذاب وتقديمه على غيره.

وكذلك تم تقديم جواب الشرط الذي جاء على صيغة الاستفهام: أغير الله تدعون، على الأداة والفعل: إن كنتم صادقين، في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ الأنعام: ٤٠، وهذا التقديم لمواجهة كل شخص يفكر بدعاء غير الله لينجيه من الكروب، " فليس الإنكار موجها إلى اتخاذ الولي أو إلى الدعاء، وإنما هو موجه إلى أن يكون غير الله بمثابة أن يتخذ وليا....ولو قدّم الفعل في ذلك لتوجه الإنكار

إليه، وكان المعنى نفي حصوله، ولم يفد في المفعول ذلك المعنى الذي أفاده تقديم المفعول "[١].

ومن تقديم جواب الشرط على الأداة والفعل، قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ يونس: ٣٨، هنا بعد مخاطبة النبي الكريم، يخاطب الله الكافرين القائلين بافتراء النبي للقرآن الكريم، ويقدم جواب الشرط (فأتوا بسورة من مثله)، على الأداة والفعل: إن كنتم صادقين، وهذا التقديم يشير إلى التحدي من رب العالمين لهؤلاء المتخذين للآلهة المزعومة ومواجهتهم بافترائهم، ويدعوهم للاستعانة بهم إن كانوا صادقين، للإتيان بسورة واحدة من مثل سور القرآن، لكن أنّى لهم ذلك؟ فالفشل حليفهم والخيبة نصبهم.

ومن ذلك تقديم جواب الشرط: اذكر ربك، على أداة الشرط وفعله: إذا نسيت، في قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾ الكهف: ٢٤، وهذا للتذكير بأنَّ عملية ذكر الله مهمة جدا، تسبق أي عمل، ولا سيما عند نسيان شيء ما، فكثيرا ما يقول شخص لشخص آخر نسي شيئا كان يريد قوله: اذكر الله وستسترجع المعلومة التي أردت طرحها علينا بعونه.

وتقدَّمَ الجواب على الأداة والفعل أيضا في قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ الأعلى: ٩، جواب الشرط كان فعل أمر إلى النبي الكريم، يأمره بالتذكير، ولا شك في أن للتذكير تأثيرا كبيرا على المخاطَبين، ولهذا قدم الجواب، ويرى البعض أنَّ "إنْ" بمعنى قد؛ والدليل على ذلك أنَّ الآيات بعدها تشير إلى أنَّ من يخشى سيتذكر؛ والأشقى سيتجنب الذِّكْرَى ولا ينتفع.

ويقول سبحانه:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النحل:٤٣، تمّ تقدم جواب الشرط: فاسألوا أهل الذكر على الأداة والفعل (إنْ كنتم لا تعلمون)،وهذا من خطاب الله للنبي وإلحاقه بخطاب للمؤمنين، وتم تقديم الجواب للإشارة إلى أهمية سؤال أهل العلم وأهل القرآن إن خفي أمر ما على مسلم أو شكّ فيه أو أراد التيقن منه.

[١] المسيري، منير محمود، (٢٠٠٥م)، **دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم دراسة تحليلية**، ط١، مكتبة وهبة: القاهرة، ص ٧١.

وأما هذه الآية الكريمة: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ طه: ١٢٩، فجملة "وأجل مسمى"، تأخرت عن جواب الشرط لكان لزاما، والتقدير: " ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان العذاب لازما لهم " [١] ونلاحظ تقديرَ ألفاظٍ محذوفةٍ.

ثالثا: ما قُدم في آية وأُخِّرَ في أخرى:

منه قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ فاطر: ١٢، وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ النحل: ١٤، نلاحظ التقارب الشديد بين الآيتين، وكذلك التقديم والتأخير في العبارة الآتية: فيه مواخر، في سورة فاطر، ومواخر فيه، في سورة النحل، وكذلك زيادة واو قبل كلمة لتبتغوا في النحل، يقول ابن جماعة: آية النحل سِيقتْ لتعداد النِّعَم على الخلق بدليل تقديم قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ)، وآية فاطر سيقت لبيان القدرة والحكمة بدليل قوله تعالى: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ) الآية ١١، ولذلك عطف (وَلِتَبْتَغُوا) بالواو لمناسبة تعدد النِّعَم، وقدم (مَوَاخِرَ) على (فيه) لأنه امتنَّ عليهم بتسخير البحر، فناسب تقديم (مَوَاخِرَ) أي شق السفن للماء، وأيضا ليلي المفعول الثاني المفعول الأول لـ (ترى)، إذْ نجده أَوْلَى من تقديم شبه الجملة، وأما آية فاطر فحذفت الواو منه لدلالة (وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ) عليها، وقدم (فيه) على (مَوَاخِرَ)؛ لأن الفلك تشق الماء لجريانها فيه، وهذه آية من آيات الله تعالى فالتقديم فيه أنسب للفلك [٢]، ويُضِيف المطعني: أمّا تقديم فيه على مواخر في سورة فاطر، فسببه فيما أرى هو تعلق " لتبتغوا من فضله " به، والتقدير: وترى الفُلكَ فيه تمخر الماء-أي تشقه- لتبتغوا من فضله، لذلك أخّر: مواخر ليجاور معموله: " لتبتغوا " والأصل عدم الفصل [٣].

---

[١] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ٢٨٢/٣.

[٢] انظر ابن جماعة، **كشف المعاني في المتشابه من المثاني**، ص ٢٢٦.

[٣] انظر المطعني، **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**، ١٧٩/٢.

ومنه قوله تعالى: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ الإسراء: ٩٦، وقوله: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ العنكبوت: ٥٢، تقدمت شبه الجملة الظرفية بيني، على كلمة شهيدا؛ لأنه هو الأمر الأهمُّ الذي يُرَادُ التنبيه عليه في هذه الآية، " فالتأمل في الموضع الأول- الإسراء- يرى القوم قد أوغلوا في تحديهم للنبي وتفننوا في مظاهر العناد كما في الآيات ٩٠-٩٣، ولقد بلغ التحدي- هنا- غاية بعيدة، إذْ انتقلوا فيه من صورة إلى صورة قاصدين من ورائه تعجيزه وإفحامه، أما الموضع الثاني- العنكبوت- فإن القرآن حكى فيه تحدى القوم للنبي على وجه الإجمال، وكان للتفنن في المعارضة، ولحجج الخصومة فيما حكاه القرآن عن القوم في الإسراء حال داعية إلى تقديم: الشهادة على بيني وبينكم؛ لأنّهم حين لم تثمر فيهم النُذر التي بلغتهم عن ربهم أثاروا في الداعي شعور الاستياء منهم والأسف عليهم، فكأنه- أي الداعي- كان يردد في نفسه: ربي إن خروج هؤلاء عن الحق، وتماديهم في الباطل، ليس عن تقصير مني، لقد بلَّغتُهم ما أمرتني به، وأنت تعلم أني قد بَلَّغْتُ [1].

ويقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ البقرة: ٢٦٤، و يقول أيضاً: ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ إبراهيم: ١٨، نلاحظ التقديم والتأخير في الآية الكريمة، ففي الأولى قدّم كلمة شيء على مما كسبوا، و في الثانية قدم الكسب " مما كسبوا " على كلمة شيء، و كان سبب ذلك: أنَّ الآية الأولى جاءت في سياق الإنفاق والصدقة، والمنفق يكون في العادة مُعطيا منفقا، و ليس كاسباً، و لهذا أخّر الله جملة مما كسبوا، و أما الآية الثانية فقد

[1] انظر المطعني، **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**، ١٧١/٢-١٧٢.

جاءت في سياق العمل، والعامل في العادة كاسب للمال، ولهذا قدّم الله جملة مما كسبوا [١]، وهذا الأسلوب يؤدي مثلما هو واضح إلى التناسب.

ومنه تقدم أحد المعطوفين في آية وتأخره في أخرى، كتقديم نفعا على ضرا أو العكس، فقوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ الأعراف: ١٨٨، هنا تم تقديم النفع على الضر، بينما في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ ﴾ يونس: ٤٩، هنا تقدم الضر على النفع، فرب العالمين يقدِّم النفع على الضر في سياقات الدعاء والعبادة؛ لأن النفع في هذه الأحوال شيء مهم، بينما يقدّم الضر على النفع في سياق المُلك والمقدرة؛ لأن دفع الضر في هذه الحال أوجب وأولَى من جلب النفع، وكان تقديم الضر أكثر من النفع في القرآن [٢]، "وكان ذلك كذلك لأنَّ العابد يعبد معبوده خوفا من عقابه أولا ثم طمعا في ثوابه ثانيا" [٣]، بينما ورد النفع في القرآن قبل الضر أقل من ذلك [٤]، "وهذا لسابقة لفظ تَضَمَّنَ نفعا" [٥]، وآية الأعراف تقدَّمَها ذكر الساعة، فناسب في حقها تقديم النفع الذي هو ثواب الآخرة، وأخّر الضرّ الذي هو عقابها، وآية يونس تقدمها ذكر استعجال الكفار للعذاب في قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ يونس: ٤٨، فناسب تقديم الضر على النفع، ولذلك قال الله تعالى بعده: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوۡ نَهَارٗا مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ يونس: ٥٠ [٦]، وقال الكلبي: إن أهل مكة قالوا: يا محمد، ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فتشتري فتربح؟ وبالأرض التي يريد أن يُجْدِبَها فترحل عنها إلى ما قد أخصب؟ [٧] وهذا ما قاله عن آية رقم ١٨٨ من سورة الأعراف، وإن

---

[١] انظر الكردي، عز الدين محمد سليمان، (٢٠٠٧م)، **التقديم والتأخير في القرآن الكريم**، ط ١، دار المعرفة للطباعة والنشر: بيروت، ص ٢٧.

[٢] ورد ذلك في أربع آيات الآتية: المائدة ٧٦، يونس ٤٩، طه ٨٩، الفرقان ٣.

[٣] الكرماني، **أسرار التكرار في القرآن**، ص ٩٢.

[٤] إذ ورد في ثلاث آيات، هي: الأعراف ١٨٨، الرعد ١٦، سبأ ٤٢.

[٥] الكرماني، **أسرار التكرار في القرآن**، ص ٩٢.

[٦] انظر المطعني، **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**، ١٨٨/١، وانظر الإسكافي، **درّة التنزيل وغرّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز**، ص١٨١،وانظر ابن جماعة، **كشف المعاني في المتشابه من المثاني**، ص ١٨٨.

[٧] انظر الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، (ت: ٤٦٨هـ)، (١٩٩٠م)، **أسباب نزول القرآن**، ط١، تحقيق كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية: بيروت، ص ٢٣٢.

علموا الأمر فهذا فيه نفع لهم، ولهذا قدّم النفع على الضرّ، ويقول جلال البغدادي عن قوله تعالى قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ ﴾ يونس: ٤٩، في النص إضافة إلى معاني التواضع الذي يتواضعه النبي لربه شموخ في الانتماء إلى قدرة الله القدير، الذي يمنح نبيه طاقة عظمى في مثل تلك المواجهات التي كان يخرج منها منتصرا ويروح الكفار مخذولين، يجرّون أذيال الخيبة والهزيمة الذريعة [1].

رابعا: ما قُدِّمَ وأُخِّرَ في السورة ذاتها:

كقوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ الزمر: ١١، وقوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴾ الزمر: ١٤، نلاحظ تكرار معنى الآية، ونلاحظ أن لفظ الجلالة الذي وقع مفعولا به في الآيتين السابقتين، فقد تقدّم على الفعل وفاعله الضمير المستتر "هو"، في الآية الثانية، ويقول الزركشي: "أعاد الله قوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴾ لا لتقرير معنى الآية الأولى بل لغرض آخر؛ لأن معنى الأولى الأمر بالإخبار أنه مأمور بالعبادة لله، والإخلاص له فيها، ومعنى الثانية أنه يخص الله وحده دون غيره بالعبادة والإخلاص، ولذلك قدم المفعول على فعل العبادة في الثانية" [2].

وصفوة القول في التقديم والتأخير "أنهما يشكلان ثنائية أسلوبية اقتضائية وغائية في الوقت نفسه، وقد بدت لنا نمطا أسلوبيا راقيا في التعبير القرآني، يمثل الجانب الإبداعي في الأداء، ويهدف إلى خلق ألوان متنوعة من التغيير في الشكل والمضمون" [3].

---

[1] البغدادي، جلال الحنفي، (١٩٩٧م)، **شخصية الرسول الأعظم قرآنيا**، ط ١، وزارة الثقافة والإعلام: بغداد، ص ٢٧٠.

[2] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ١٠/٣.

[3] الكردي، **التقديم والتأخير في القرآن الكريم**، ص ٢٠٨.

- التكرار:

للتكرار أهمية كبيرة في حياتنا، ودائما ما نحتاجه لغير هدف، فحينما يرغب أحدهم في فهم أمر ما، يكرر البحث فيه أو السؤال عنه، وهذه الكلمةُ بسيطةٌ، إلا أنَّ لها حيزا غير قليل من اهتمام اللغويين والبلاغيين، وأصحاب الدراسات القرآنية، وإنْ رُمْنا معرفة معناها لغة، فالإجابة هي أنها: "كلمة مأخوذة من الكرّ، وتعني: الرجوع على الشيء" [(١)]، "وثمّة فَرْق بين التكرار والتكرير، إذْ يستخدم البعض أحدهما أو يخلط بينهما، فالأول اسم، والثاني مصدر من كررت الشيء: إذا أعدته مرارا، وهو تكرير كلمة فأكثر باللفظ والمعنى لنكتة" [(٢)]، "والتكرار يشكل لبنة أساسية ويعين على تشكيل تلاحم النص وتماسكه" [(٣)].

"وللتكرار مواضع يحسن فيها، ومواضع يقبح، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقلّ" [(٤)]، "والتكرار نمط من أنماط التأليف اللغوي يقصد به التضخيم والتفخيم والتوكيد" [(٥)]، "وهو من وسائل إقناع المتلقي وشدّ انتباهه" [(٦)]، وقيل عنه: يجيء في بعض آيات القرآن، فتختلف في طرق الأداء، وأصل المعنى واحد في العبارات المختلفة، كالذي يكون في بعض قصصه لتوكيد الزجر والوعيد وبسط الموعظة وتثبيت الحجة ونحوها، أو في بعض عباراته لتحقيق النعمة وترديد المنة والتذكير بالنعم واقتضاء شكره، إلى ما يكون هذا الباب، وهو مذهب للعرب معروف، ولكنهم لا يذهبون إليه إلا في ضروب من خطابهم للتهويل والتوكيد، والتخويف والتفجع، وما يجري مجراها من الأمور العظيمة، وكل ذلك مأثور عنهم، منصوص عليه في كثير من كتب الأدب، والبلاغة [(٧)].

وقيل عمّن يرى التكرار مُستحسَنا في كتاب الله: في هذا التكرار سحر بيان وتثبيت بنيان، فَعَدّوه بلاغة وإعجازا ووجدوا فيه منهجا قويما، وهدفا عظيما من مناهج التربية وأهدافها، وقيل عمّن يطعن بالتكرار ويعتبره عيبا: اجتمع الطاعنون على دين الله من كل صوب

---

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: كرر.

(٢) ابن معصوم، علي بن أحمد بن محمد،(ت:١١١٩هـ)،(١٩٦٩م)، **أنوار الربيع في أنواع البديع**، ط١، تحقيق شاكر هادي، مطبعة النعمان: النجف، ٣٤٥/٥، وانظر ربابعة، **قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي**، ص ١٤.

(٣) ربابعة، **قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي**، ص ٨.

(٤) القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق (ت:٤٦٣هـ)، (١٩٨١م)، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، ط ٥، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل: القاهرة، ٧٣/٢.

(٥) الخالدي، **الخطاب النفسي في القرآن الكريم دراسة دلالية أسلوبية**، ص ٢٠٩.

(٦) جيرو، بيير،(١٩٩٤م)، **الأسلوبية**، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري: حلب- سوريا، ص١٧

(٧) الرافعي، مصطفى صادق، (١٩٧٤م)، **تاريخ آداب العرب**، دار الكتاب العربي: بيروت، ١٢٨/٢.

وتألّبوا حسدا عليه فبدأ الحديث عن شبهة التكرار [١]، وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة ظنا أنه لا فائدة له، وليس كذلك بل هو من محاسنها لا سيما إذا تعلق بعضه ببعض، وذلك أن عادة العرب في خطاباتها إذا أبهمت بشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه، أو قصدت الدعاء عليه، كررته توكيدا وكأنها تقيم تكراره مقام المقسم عليه، أو الاجتهاد في الدعاء عليه، حيثُ تقصد الدعاء، وإنما نزل القرآن بلسانهم، وكانت مخاطباته جارية فيما بين بعضهم بعضا، وبهذا المسلك تستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة [٢].

والتكرار مألوف في مواقف الإطناب والإطالة، لكنه حين يأتي في مواقف الإيجاز الحاسمة، يكون لافتا ومثيرا، ففي سورة الزلزلة، على إيجازها وقِصَرِ آياتها، نجد التكرار في ثمانية مواضع، وهذه ظاهرة أسلوبية في القرآن الكريم، يعمد فيها إلى التكرار مع الإيجاز والقِصَر، ترسيخًا وتقريرًا وإقناعًا، والدارسة النفسية قد انتهت بعد طول التجارب، إلى أن مثل هذا الأسلوب هو أقوى أنواع الاستدلال النفسي، وأدعاها إلى اليقين، وأشدها إيحاء بالحسم والجدّ [٣]، "وليس في القرآن مكرر لا فائدة في تكريره، فإن رأيت شيئا منه تكرر من حيثُ الظاهر؛ فأنْعِمْ نظرك فيه، فانظر إلى سوابقه ولواحقه، لتنكشف لك الفائدة منه" [٤]، وهذا ما نجده في كثير من آيات القرآن الكريم، عند التمعّن فيها وفيما سبقها أو تلاها من آيات، فنكشف سرّ التكرار.

ومن التكرارات التي نجدها في الخطاب الإلهي لنبيه الكريم، ما يلي:

تكرار الفعل: تكرر الفعل **"قل"** غير مرة في غير آية كريمة، فقد بلغ تكراره خمس مرات في الآية رقم ١٦ من سورة الرعد، وهذا للتأكيد على قدرة الله وعظمته، وتكرر الفعل أربع مرات في الآية رقم ١٩ من الأنعام، وتكرر مرتين في كل آية من الآيات المكية الآتية: الأنعام ١٢، الأنعام ١٤، الأنعام ٥٠، الأنعام ٥٦، الأنعام ٧١، الأنعام ٩١، الأعراف ٣٢، الأنعام ١٨٧، يونس ٣٤، يونس ٣٥، يونس ٥٩، الإسراء ٥١، سبأ ٢٤، الزمر ٣٨.

وتكرار الفعل يستعجلونك ومعه شبه الجملة بالعذاب، في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ العنكبوت: ٥٣، وكذلك تكرر

---

[١] عباس، **إعجاز القرآن الكريم**، ص ٢٢١.
[٢] انظر الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ٩/٣.
[٣] بنت الشاطئ، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ٨٣/١.
[٤] ابن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ٨/٣.

الفعل وشبه الجملة في آية لاحقة من السورة ذاتها، يقول الله تعالى:﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ العنكبوت: ٥٤، وهذا التكرار للتأكيد على مقدار خُيلاء الكافرين وتكبرهم الشديد، وعدم إيمانهم بالله، بل إنهم يستهزئون بما يعدهم الخالق.

ومن التكرار اللفظي مع زيادة أو نقصان، قوله: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ الصافات: ١٧٤، وقوله:﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ الصافات: ١٧٨، هنا دعوة إلى الإعراض عن المكذبين.

وقد تكررت الجملة الآتية: ولا أنتم عابدون ما أعبد، عندما خاطب الله نبيه الكريم في سورة (الكافرون)، وفي ذلك قيل: يخاطب الله تعالى نبيه محمدًا- صلى الله عليه وسلّم- وقد كان المشركون من قومه قد عرضوا عليه أن يعبدوا الله سنة، على أن يعبد نبيّ الله آلهتهم سنة- قائلا: (قُلْ) يا محمد لهؤلاء المشركين الذين سألوك عبادة آلهتهم سنة، على أن يعبدوا إلهك سنة (يا أَيُّها الكافرون) بالله (لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ) من الآلهة والأوثان الآن (وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ) الآن (وَلا أَنَا عَابِدٌ) فيما أستقبل (مَا عَبَدْتُمْ) فيما مضى (وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ) فيما تستقبلون أبدا (مَا أَعْبُدُ) أنا الآن، وفيما أستقبل [1]، ولهذا كان التكرار لفائدة، إذ دلت الجملة الأولى على الحاضر والأخرى على المستقبل، لنفي عبادة إله غير الله في كل وقت وحين، وقيل: من يتأمل صيغ النفي في السورة يجد أن النفي لم يأتِ في حق الكافرين إلا بصيغة الفاعل (ولا أنتم عابدون)، وأما النبي الكريم فقد جاء النفي بالفعل المضارع (لا أعبدُ)، تارة وبصيغة الفاعل (ولا أنا عابد)، تارة أخرى، ولهذا نكتة بديعة، فالنفي عن النبي أتى بكل وجه، فالفعل يدلّ على الحدوث والتجدد، واسم الفاعل يدلّ على الوصف والثبوت، فكأن النبي قال: عبادة غير الله لا تكون فعلا لي ولا وصفا من أوصافي، أما الكافرون فأتت صيغة اسم الفاعل دون الفعل [2]، ولو طرحنا السؤال الآتي: لماذا كرر الله تعالى: في سورة (الكافرون)؟ الإجابة: هذا للتأكيد، فهو يريد أن يُفْهِمَ الكفار أنَّ المسألة واضحة لا لبس فيها، ولا مجال فيها للأخذ والرد، وقيل: "لا أعبد ما تعبدون" نفي للفعل (الجملة الفعلية)، "ولا أنا عابد ما عبدتم" نفي للجملة الاسمية التي تدل على الثبوت والاستمرار، بخلاف الفعل

---

[1] انظر الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ٦٦١/٢٤.

[2] الباز، **من اللمسات البيانية والإشارات العلمية في القرآن الكريم**، ص ٢٢٦.

الذي يقع في زمن من الأزمان ويرتبط به [1]، "والله تعالى ذكر هذا التكرار لنفي ما أرادوا في كل زمان، لا ليوم ولا لأمس ولا لغد، فآيسهم مما طلبوا" [2]، وفائدة التكرار "الإيحاء باليأس" [3].

ومن الجمل الفعلية المكررة في السورة ذاتها، قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ الواقعة: ٧٤، وقوله: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ الواقعة:٩٦، والفرق بينهما، أنَّ الأولى أتت بعد ذكر النِعَم، والثانية أتت بعد ذكر العذاب، وهذا يدلّ على أن مقاليد السماوات والأرض وما بينهما بيده الكريمة، وعلينا أن نسبح الله العظيم ونشكره عند السراء والضراء.

ومن التكرار الجزئي في السورة ذاتها، قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ غافر: ٢١، وقوله:﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ غافر:٨٢، هنا التكرار للتأكيد على أن عقاب الله سينزل في أي لحظة على الكافرين وفي أي مكان كان، كما نزل على الأمم المكذبة السابقة، التي امتازت بالقوة والسلطة ولكن هذه الأمور لم تنفعها، ولم يعصمها أحد.

ومن التكرار مع إبدال ضمير متصل بآخر مستتر، قوله تعالى:﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ الصافات: ١٧٥، وقوله: ﴿ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ الصافات: ١٧٩، وللسائل أن يسأل عن تعدية الفعل الأول وهو: (أبصرهم) وحذف ما تعدى إليه "أبصر" في الثانية، ثم عن تكرير ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾، والجواب أن يقال: إن هذا بعد ما بشر الله به عباده إذ يقول:﴿ وَلَقَدْ

---

[1] انظر القرني، عائض، (٢٠٠٤م)، **اللؤلؤ المكنون في تفسير جزء عمَّ يتساءلون**، ط١، دار ابن حزم: بيروت، ص ٩١-٩٢.

[2] غلام ثعلب، أبو عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد، (ت: ٣٤٥هـ)، (٢٠٠٢ م)، **ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن**، ط١،تحقيق محمد التركستاني، مكتبة العلوم والحكم: المدينة المنورة، ص ٤٦٠.

[3] شيخون، **أسرار التكرار في لغة القرآن**، ص ٥٦.

سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ الصافات: ١٧١-١٧٣، فقوله: "فتولَّ عنهم حتى حين"، أي: أعرض عن محاربتهم إلى الحين الذي يعلم الله أنه يظفرك بهم، "وأبصرهم" في الوقت الذي تنصر فيه عليهم، فسوف يبصرون قهركم لهم وذلهم، فأما حذف هم من أبصر في الثانية فلذَكَرَها في الأولى، ولوجود معانٍ أخرى تنضم إلى ذِكْرهم فيترك ذكر المفعول ليشرع الفعل إلى تلك المعاني كلها، ويبيّن ذلك في الجواب عن فائدة تكرار العامل، وهي أنَّ قوله: "فتول عنهم حتى حين"، إنما يراد به الحين في الدنيا وهو الوقت الذي ينصر فيه المسلمون عليهم ويقهرون بأيديهم، وقوله ثانيا: ﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ الصافات: ١٧٨- ١٧٩ [١].

تكرار مع إظهار الفاعلين في آية وإضمارهم في أخرى، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾ الأنبياء: ٣٦، وقوله: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾ الفرقان: ٤١، إن ما قبل الآية في سورة الأنبياء: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ الأنبياء: ٣٥، فلم يجرِ للكفار ذكر في الآية التي قبل هذه، فكان الاختيار الإظهار، وأما في سورة الفرقان فإن قبل الآية: ﴿ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ الفرقان: ٤٠، أي: ألم يرَ الكفار في زمانك القرية التي أمطرت مطر السوء فيحذروا، فلما كان الذكر متقدما في أقرب الكلام إليها كان الاختيار الإضمار [٢]، والآيات المتشابهات من أعظم الدلائل على إعجاز القرآن الكريم، فاختلاف جملة أو كلمة، بل وحرف، يبرز أسرارا عظيمة، وحكما عجيبة، لا يتصورها إلا من يتأمل ويتدبر هذا الإعجاز العظيم [٣].

---

[١] انظر الإسكافي، **درّة التنزيل وغرّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز**، ص٣٩٥-٣٩٦.

[٢] انظر المصدر السابق، ص ٢٩٨، وانظر الكرماني، **أسرار التكرار في القرآن**، ص ١٤٢.

[٣] الشتري، صالح عبد الله، (٢٠٠١م)، **المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية**، أطروحة دكتوراه (غ.منش)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، ص ٤٦٢.

ونجد تكرارا لفظيا مع تغيير صورة الكلمة المُعَرَّفة من اتصال أل التعريف بها إلى اتصال ضمير، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ﴾ الأعراف: ١٥٧، وقوله: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ﴾ الأعراف: ١٥٨، وكان التكرارُ لصفة من صفات النبي الكريم في آيتين متتاليتين دليلا على أن القرآن من لدن العليم الخبير، وأن نبينا لم يكتب لفظة واحدة ولم يغير حرفا.

ومن تكرار نهاية آيتين في سورة واحدة مع إبدال كلمة بأخرى، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ الأنعام: ١١٢، وقوله: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ الأنعام: ١٣٧، نلاحظ أن كلمة ربك مذكورة في الآية الأولى وأما الثانية فتمّ ذكر كلمة الله، وتعليل ذلك: إن الأولى قبلها: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ الأنعام: ١١٢، أي: كان للأنبياء قبلك أذى من قِبَلِ الأعداء من الإنس والجن، ولو شاء من ربّاك وقام بمصالحك لألجأهم إلى موافقتك وترك مخالفتك، وإن كان من يقوم بربابتك يحجزهم عن مضرتك، وأن يظفروا بمرادهم من عداوتك، فقد تَضَمّنَ قوله "ربك" هذا المعنى، وقوله في الآية الأخرى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ﴾، جاء بعد قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا ﴾ الأنعام: ١٣٦، فأخبر أنهم أقاموا لله الذي يحق إفراده بالعبادة شريكا، ولو شاء الله، أي: ولو شاء من نعمته عليهم نعمة توجب التألّه له أن يعبدوا سواه ما تمكنوا من فعله، فهذا موضع لم يلقَ به إلا الاسم الذي يفيد معنى فيه حجة عليهم دون غيره من الأسماء فأفاد كل اسم من الاسمين في مكانه ما لم يكن ليستفاد بغيره [١].

[١] انظر الإسكافي، **درّة التنزيل وغرّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز**، ص ١٢٨.

ومن التكرار مع تقديم أو تأخير في الآيات، قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ الأعراف: ١٨٨، وقوله: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ﴾ يونس: ٤٩، وقد تحدثنا عن الآيتين عند موضوع التقديم والتأخير.

وممّا تكرر من آيات في القرآن، ما نجده عندما أشفق المولى سبحانه وتعالى على نبيه الكريم، فهدّأ من روعه، مخاطبا إياه بقوله: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ الشعراء: ٣، وقال في موضِع آخر: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ الكهف: ٦، إذ وردت كلمة باخع مرتين في القرآن الكريم كاملا، وذلك في الآيتين السابقتين [١].

وتكرار آيات متطابقة قد يقع في سورة واحدة، أو في سورتين مختلفتين، ومن النوع الثاني تكرار آيتين في سورة النمل وفي سورة الروم، وهما قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ۝٨٠ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ۝٨١﴾ النمل: ٨٠- ٨١، وقوله في الروم: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ۝٥٢ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ۝٥٣﴾ الروم: ٥٢- ٥٣، لكن بداية الآية ٥٢ من الروم، ترتبط فيها الفاء بإنَّك، وهذا التكرار للتأكيد على أنَّ النبي لا يمكن أن يهدي الكافرين الذين شبههم الله بالموتى وبالصمّ الذين لا يسمعون كلام النبي وكلام رب العالمين، بل إنَّ غشاوة على أعينهم تمنعهم من رؤية الحق.

---

[١] ومعنى باخع كما قال الليث: بخع الرجل نفسه إذا قتلها غيظا من شدة وجده بالشيء، وفي حديث عائشة- رضي الله عنها- أنها ذكرت عمر فقالت: بخع الأرض، أي: جهدها حتى أخذ ما فيها من أموال الملوك، وقال الكسائي: بخعت الأرض بالزراعة إذا جعلتها ضعيفة بسبب متابعة الحراثة، انظر الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ٢١/٤٢٦.

ومن الآيات التي تكررت في القرآن، قوله تعالى: ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ الإسراء: ١٠٥، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ الفرقان: ٥٦، نلاحظ التكرار هنا، مع وجود بداية في أول آية الإسراء ١٠٥، لا نجدها في الفرقان ٥٦، وكان التكرار لهذا الأسلوب من حصر إرسال النبي للناس لغايتي التبشير والإنذار، فالآيتان السابقتان تشيران إلى أنَّ الغايتين السابقتين مهمتان جدا، وهما من أعظم أعمال النبي الكريم.

وتكررت هذه الآية: ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ الأنعام: ١٥، وهذه الآية: ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ الزمر: ١٣، وهذا التطابق التام يدلّ على أهمية الخشية من رب العالمين، وأهمية الابتعاد عن معصيته؛ لأن جزاء ذلك عذاب أليم.

ومن الأوامر التي تكررت في القرآن الكريم في آيتين كريمتين، قوله تعالى: ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾ الزخرف: ٨٣، وقوله تعالى: ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾ المعارج: ٤٢، جاء هذا التكرار لِمَا للأمر من أهمية كبيرة في تسلية النبي الكريم، وجعله يعرض عمّن تكبر وعاند وكفر أشد الكفر، وبقي يلهو ويلعب؛ لأن له يوما سيأخذ جزاء عمله في الدنيا، وسيعلم حينها أن أعماله الباطلة ستوصله إلى جهنّم ولبئس القرار.

ومن التكرار في آيتين، قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ الزخرف: ٧، وقوله: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ الحجر: ١١، والفرق بينهما أنَّ الأولى قال فيها عز وجلّ: نبي، وفي الأخرى: رسول، وهذا للتأكيد على المشقة الكبيرة التي عانى منها الأنبياء والرسل عند الدعوة وتبليغ الرسالة، وكذلك سبقت الآية ١١ من سورة الحجر بحديثٍ عن الرسل، فناسبَ اختيار لفظة رسول، إذْ يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي

شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾الحجر:١٠، بينما سبق الآية: ٧ من سورة الزخرف حديث عن الأنبياء، فناسب اختيار لفظة نبي، يقول الله تعالى:﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ الزخرف:٦.

ومن الآيات التي ورد فيها التكرار، قوله تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ الإسراء: ٤٨، وقوله تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَـٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ الفرقان: ٩، هنا إشارة إلى أن الكافرين الذين يتهمون النبي بتهم باطلة ويَسِمُونَه بِسِمَات لا أساس لها من الصحة، يضربون الأمثال التي تدل على ضلالهم، وافترائهم الكاذب، وهل للطرف الضعيف حيلة غيرَ الكذب لتعزيز موقفهم، وإقناع ذواتهم قبل إقناع الآخرين بما يفترون؟

ومن التكرار الذي في الآيات: قول الله عز وجلّ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النحل: ٤٣، وقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ الأنبياء: ٧، لكن سورة النحل فيها إضافة مِن، وقال البعض بزيادتها، لكن لا بد أن يكون هذا لغرض معين، فالله تعالى لم يضع حرفا في القرآن إلا لغاية محددة، وسأذكر سبب حذف من في موضوع حذف الحرف.

وتكررت بداية الآية في سورة يوسف: ١٠٩، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ يوسف: ١٠٩، وهذه التكرارات الثلاثة تخفف من ضيق النبي الكريم وتعمل على تسليته، وليعلم أن الله قد أرسل قبله غير نبي ورسول، وأوحى إليهم ما أوحى إليه، وقد عانَوا كثيرا، فأنزل الله عليهم الرحمة بعد صبرهم.

ومن الآيات التي تكررت، قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الشعراء: ٩، فقد تكررت في سورة الشعراء ثماني مرات [1]، وهذا فيه دلالة على أن دعوة الرسل واحدة، وأن رحمته عظيمة كبيرة، وأنه قادر قاهر عزيز، ومع ذلك هو رؤوف رحيم.

وتم تكرار جملة فعلية في آية واحدة، وهذه الجملة هي: "يأتي بعض آيات ربك"، وذلك في قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ الأنعام: ١٥٨، وهذا للتأكيد على أن الله قادر على إرسال الآيات المتنوعة في كل وقت وحين.

ومن الآيات المكررة، قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ الأنعام: ١٠، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ الأنبياء: ٤١، هذا التكرار يؤكد أن ما أصاب النبي الكريم من ضيق شديد بعد تعرض الكافرين له بكل أنواع الاستهزاء والإيذاء، قد أصاب غير نبي ورسول قبله، لكن العدل الإلهي يأبى أن يسود الظلم، فأوقع العقاب على أمثال هؤلاء المتغطرسين.

ومن التكرار الجزئي لبعض الآيات التي خاطب الله فيها نبيه، في سورة واحدة، قوله تعالى: ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ الأنعام: ١٤٣، وقال الله تعالى في الآية التالية للآية سابقة: ﴿ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

---

[1] انظر هذه الآيات: ٩، ٦٨، ١٠٤، ١٢٢، ١٤٠، ١٥٩، ١٧٥، ١٩١.

الأنعام: ١٤٤، إذْ تمَّ تكرار جزء من كل آية، وهو: ﴿ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾، وهذا التكرار للتأكيد.

ويقول الله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ يونس: ٣٨، ويقول: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ هود: ١٣، في الآية الأولى طالب الله نبيه بإخبار الكافرين القائلين بافتراء النبي لكتاب الله أن يأتوا بسورة واحدة من مثل سور القرآن الكريم، وأما الآية الأخرى فقد زاد عدد السور فقال: عشر سور، وزاد صفة أخرى، هي: مفتريات، وهذا التكرار لمواجهة المفترين بالحقيقة، ولدعوتهم للإتيان بمثل هذا القرآن الذي نزل بلغتهم، أو لمعارضته إن استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

ومن التكرار في القرآن، قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الأعراف: ١٨٧، ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ النازعات: ٤٢، السؤال عن الساعة تكرر، للدلالة على الرغبة الكبيرة لمعرفة وقتها، بل إن بعض الكافرين يسألون عنها استخفافا واستهزاء، وكأنهم يقولون: هل حقا سيأتي اليوم الآخر؟ إنه لن يأتي، فأخبرنا يا محمد عن وقتها إن كنت من الصادقين؟ فيأتي الجواب من الله، أنه المختص بمعرفة وقتها، فهي من أمور الغيب، وقيل عن القصد من سؤال المشركين عن يوم القيامة: لقد أكثر المشركون السؤال عن ذلك اليوم، فَهُم يسألون النبي، إما سؤال المختبر الممتحن، وإما سؤال المتعجب المستغرب، وإما سؤال المستهين المستهتر، وكل ذلك لا يخرج عن كونه سؤالا بقصد التعنت والجدال مع نبي الله، وبيان عدم صدق دعوته [1].

---

[1] الملا، عبد الله صباح ناصر، (٢٠٠٠ م)، **السؤال والجواب في السور المكية من القرآن الكريم: دراسة موضوعية**، رسالة ماجستير (غ. منش)، جامعة الكويت، الكويت، ص ٧٦.

ومن التكرار الجزئي، قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ سبأ: ٣٦، وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ سبأ: ٣٩، نلاحظ أن كلمة "ويقدر"، لا شيء مذكور بعدها في الآية ٣٦، أمّا الآية ٣٩ فأضيف بعدها شبه جملة (له)، وكذلك أضيفت شبه الجملة من عباده، في الآية ٣٩، وكان لتكرار الآية في السورة ذاتها دور في عدم تكرار بعض الألفاظ، واستخدام ألفاظ أخرى، ففي الآية ٣٩ زاد: من عباده، بعد الفعل يشاء، فخص العباد بالرزق، أما الآية ٣٦ فالرزق لعموم الناس، العابد وغيره، بدليل قوله: ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ومن التكرار الجزئي، قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ طه: ١٣١، وقوله تعالى: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الحجر: ٨٨، فقد تكررت البداية في الآيتين، وهي: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ ﴾ للتأكيد على أهمية هذا النهي.

ومن التكرار الجزئي في السورة الواحدة، قوله تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ الملك: ٣- ٤، ففي قوله تعالى: فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا،"وهذا التكرار كان القصد منه الاستيعاب"[1]، وقد أمر الله نبيه بتكرير البصر فيهن متصفحا ومتتبعا يلتمس عيبا وخللا، ينقلب إليك: أي إن رجَّعت البصر، وكررت النظر، لم يرجع إليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل، وإدراك العيب، بل يرجع إليك بالخسوء والحسور، أي: بالبعد عن إصابة الملتمس، كأنه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة، وبالإعياء والكلال لطول الإجالة والترديد [2].

---

[1] شيخون، **أسرار التكرار في لغة القرآن**، ص ٦٠.

[2] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ٥٨١/٤.

ومن التكرار الجزئي الذي نجده في سورتين أو أكثر عند خطاب النبي الكريم، ما يلي:

ما نجده في: الأنعام١١، العنكبوت ٢٠، النمل ٦٩، الروم ٤٢.

الأنعام ١٧ ويونس ١٠٧.

الأنعام ٢٥ ويونس ٤٢.

الأنعام ٣٧ والعنكبوت ٥٠.

الأنعام ٤٢ والأعراف ٩٤.

الأنعام ٥٠ وهود ٣١.

الأنعام ١١٧ والنجم ٣٠.

الأعراف ٢٠٠ وفصلت ٣٦.

الأعراف ١٨٨ ويونس ٤٩.

يونس ٣١ وسبأ ٢٤.

يونس ٣٣ وغافر ٦.

هود ١١٧ والقصص ٥٩ والأنعام ١٣١.

يوسف ١٠٩ والنحل ٤٣ والفرقان ٢٠ والأنبياء ٧.

الحجر ١١ و الزخرف ٧.

الحجر ٨٨ والشعراء ٢١٥.

النحل ٤٣ والأنبياء ٧ ويوسف ١٠٩.

الكهف ١١٠ وفصلت ٦ والأنبياء ١٠٨.

طه ١٣٠ و ق ٣٩.

النمل ٨٠ والروم ٥٢.

الأنبياء ٣٦ والفرقان ٤١.

المؤمنون ٢٤ والمؤمنون ٣٣.

القصص ٧١ والقصص ٧٢.

فاطر ٤ وفاطر ٢٥ وآل عمران ١٨٤.

ص ٤ و ق ٢.

الزمر ٣٩ و الأنعام ١٣٥ و هود ٩٣.

غافر ٦ ويونس ٣٣.

فصلت ٦ والكهف ١١٠.

الشورى ١٤ وفصلت ٤٥.

الزخرف ٦-٧ والحجر ١٠-١١.

الزخرف ٩ والعنكبوت ٦١ ولقمان ٢٥.

الملك ٢٣ والنحل ٧٨ والمؤمنون ٧٨.

ومن التكرار الجزئي الذي نجده في آيات السورة الواحدة عند خطاب النبي الكريم،ما يلي:

الصافات: ١٧٤، ١٧٨.

الصافات: ١٧٥، ١٧٩.

الانفطار: ١٧، ١٨.

وأما الآيات المتطابقة في سورتين مختلفتين وفيها خطاب لنبينا الكريم، فهي:

ما نجده بين: الأنعام ١٥ والزمر ١٣.

هود ١١٠ وفصلت ٤٥.

الإسراء ٤٨ والفرقان ٩.

النمل ٨١ والروم ٥٣.

الزخرف ٨٣ والمعارج ٤٢.

الطور ٤٠ والقلم ٤٦.

الواقعة ٧٤ والحاقة ٥٢.

الحاقة ٤٠ والتكوير ١٩.

ونجد تطابقا بين غير آية في السورة الواحدة، التي فيها خطاب للنبي الكريم، كسورة:

الشعراء: ٩، ٦٨، ١٠٤، ١٢٢، ١٤٠، ١٥٩، ١٧٥، ١٩١، يقول الله تعالى في هذه الآيات: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾، وهذا التكرار له سرّ، فقد اعتُبِرَ من باب "الحَثّ على العِظَة والاعتبار والتأمل" [1].

الشعراء: ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠.

الواقعة: ٧٤، ٩٦.

الكافرون: ٣، ٥.

ومن تكرار الاستفهام، قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ ﴾ الانفطار: ١٧- ١٨، فقد كرر الله السؤال لِمَا ليوم القيامة من أهمية كبيرة، ولِمَا ينتظر المكذبين به من عذاب، وما ينتظر المؤمنين به من جزاء موفور.

---

[1] شيخون، **أسرار التكرار في لغة القرآن**، ص ٥٢.

وتكرر السؤال عن أمر غيبي، لا يعلمه إلا الله، وهو وحده يُعْلِمُ النبي الكريم و يُعْلِمُ الناس كافّة عنه، وهذا السؤال هو: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ طه: ٩، وقوله: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ النازعات: ١٥، ونلاحظ وجود الواو في بداية سورة طه: ٩، وخلوّ النازعات: ١٥ منها.

وكرر الله السؤال الآتي: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾ أربع مرات في سورة واحدة، هي سورة القمر، الآية ١٦ و ١٨ و ٢١ و٣٠، تأكيدا على أن عذاب الله حاصل وهو ليس بالأمر الهيّن، وكل من استهان بعذاب الله سيناله وسيعلم الحق عندئذٍ.

ومن الأسئلة المكررة، قوله تعالى: ﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾ الطور: ٤٠، وقوله: ﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾ القلم: ٤٦، وهذا السؤال المكرر غايته التأكيد على أن النبي الكريم لا يأخذ أجرًا مقابل دعوته من أحد، بل إنَّ أجره على الله وحدَهُ.

ومن الأسئلة المكررة في أربع سور كريمة، ما خاطب الله به نبيه الكريم ليسأل الناس عن خالق السماوات والأرض، وتأتي الإجابة منهم مقرّين بأن الله هو الخالق وحدَهُ، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ العنكبوت: ٦١، وانظر لقمان ٢٥، الزمر ٣٨، الزخرف ٩، ففيها تكرار جزئي، وهذا التكرار لمواجهة المكذبين، وإعلامهم أن الله هو مالك الملك.

وتكرر النفي لعدم استطاعة النبي هداية من كان قلبه مسودا، ومن هو كالذي فقد بصره، بل إن بصيرته قبل ذلك قد أصابها سقمٌ، وللتأكيد على أن سماع النبي يكون ممن أسلم لله، وآمن بآياته، وذلك في قوله عز وجلّ: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ النمل: ٨١، وفي قوله: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ الروم: ٥٣، والتطابق واضح بين الآيتين، إلا ما نجده في الاسم المنقوص في الآية الأولى من إثبات الياء، ومن حذفها في الآية الثانية، ولهذا غاية دون

شك، " فحذفها يفيد الدوام والاستمرار بصفة عامة " [(١)]، ولفظة هادي وردت ثلاث مرات حذفت الياء في اثنتين منها، في سورتي الحج ٥٤ والروم ٥٣، وحذفت الياء من الأخيرة؛ لأنَّ أصل الهداية ليست من النبي، وإنما من الله تعالى، وما على الرسول إلا البلاغ وإقامة الحجة على العُمي منهم، وأما إثباتها في سورة النمل ٨١، فلأن إنكار الدعوة لم يدم في كثير من الناس الذين دعاهم النبي إلى الهداية، فهم بعد عدم استماعهم إليه وعداوتهم لله وله، تحولوا بعد هداية الله لهم إلى جند مدافعين عن الإسلام ونصرة النبي، وقال الله تعالى قبل هذه الآية: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ النمل: ٧٩، والعُمْي في آية الروم من النوع الذي لا يريد الإبصار فيعجز عن هدايتهم النبي، والعمي في آية النمل من النوع الذي لم يعرف النور من قبل، ويؤمل هديهم مع الاستمرار في الدعوة [(٢)].

ومن تكرار النهي في جزء من الآية، ما نجده في هذه الآيات: في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ الأنعام: ١٤، وقوله: ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ يونس: ١٠٥، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ القصص: ٨٧، فقد نهى الله نبيه أن يكون من المشركين، ونجد نون التوكيد الثقيلة في نهاية الفعل تأكيدا على الأمر الذي نُهي عنه النبي الكريم، فهو أمر جلل، ويجب الحذر من اتباع خطوات هؤلاء.

أما قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ﴾ العلق: ١-٣، فإن الفعل اقرأ كان أول أمر إلى نبينا الكريم، وقيل: للسائل أن يسأل عن تكرير خلق؟ والجواب أن يقال: إنّ قوله "خلق" بعد "الذي"، عامّ في المخلوقات كلها، سمائها وأرضها، ثم استأنف التنبيه على "خلق" قاصدًا المخاطبين أنفسهم؛ فقال: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ أي:

---

(١) العرابلي، أبو مسلم عبد المجيد، (٢٠١٠م)، **أسرار زيادة وحذف الياء وإبدالها في الرسم القرآني**، (د.ط)، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع: عمّان، ص ٣٣.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٥٠- ٥١.

عرف انقلابه من حال الدم إلى ما يشاهد لِتعرف حاله الثانية التي ليست بأبعد من هذه الناشئة [١].

أمّا قوله تعالى: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ ﴾ القيامة: ٣٤- ٣٥، فللسائل أن يسأل عن تكرير أَوْلَى، وعن الفائدة فيه، وعن حقيقة اللفظ واشتقاقه، والجواب أن يقال: اللفظة مشتقة من: ولى يَلي، إذا قرب منه قرب مجاورة، فكأنه قال: الهلاك قريب منك مجاورٌ لك، بل هو أَوْلى وأقرب، وأما التكرير لفظا فهو غير معيب إذا لم يتكرر المعنى، فالأول يراد به الهلاك في الدنيا، والثاني يراد به الهلاك في الآخرة [٢].

وكان السبب في تكرير لفظة الناس في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ الناس: ١- ٦، ما نجده من تكرار عِدّة صفات، وعطف البيان يحتاج إلى مزيد من الإظهار، كما أن هذا التكرير يقتضي مزيد شرفٍ للناس، وسبحانه كأنه عرّف ذاته بكونه ربا للناس، ملكا للناس، إلها للناس، ولولا أنَّ الناس أشرف مخلوقاته لما ختم كتابه بتعريف ذاته بكونه ربا وملكا وإلها لهم [٣].

وأما تكرار النَّاس فإما لمشابهة رؤوس الآي كغيرها من السور، أو لأن الأوصاف الثلاثة أتى بها عطف بيان كقولك: الفاروق أبو حفص عمر، لقصد البيان، فكان التصريح بلفظ الناس أصرح في البيان من الضمائر [٤]، وقيل: المراد بالأول الأطفال ومعنى الربوبية يدلّ عليه، وبالثاني الشبان ولفظ الملك المنبئ عن السياسة يدلّ عليه، وبالثالث الشيوخ ولفظ إله المنبئ عن العبادة يدلّ عليه، وبالرابع الصالحون والأبرار، والشيطان يولع بإغوائهم، وبالخامس المفسدون والأشرار وعطفه على المتعوّذ منهم يدلّ على ذلك [٥].

---

[١] انظر الإسكافي، **درّة التنزيل وغرّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز**، ص ٥٣٤.

[٢] انظر المصدر السابق، ص ٥٠٩، و انظر ابن جماعة، **كشف المعاني في المتشابه من المثاني**، ص ٣٦٩.

[٣] انظر الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ٣٧٧/٣٢.

[٤] المطعني، **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**، ٣٨٣/١، وانظر ابن جماعة، **كشف المعاني في المتشابه من المثاني**، ص ٣٨٣.

[٥] الكرماني، **أسرار التكرار في القرآن**، ص ٢٢٨، وانظر الأنصاري، أبو يحيى زكريا بن محمد (ت:٩٢٦هـ)، (١٩٨٣م)، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، ط١، تحقيق محمد الصابوني، دار القرآن الكريم: بيروت، ص ٦٣٤.

وأما حكمة ترتيب رَبّ ثم مَلِك ثم إله: أن الباري تعالى ربّى الناس بنعمه أجنَّة وأطفالا وشبابا، فقال: "رَبِّ النَّاسِ" فلما شبوا عرفوا أنهم عبيد لملك قاهر لهم، وهو الله سبحانه وتعالى، فقال: "مَلِكِ النَّاسِ"، فلما عرفوا وجوده وملكه سبحانه كلفوا بعبادته وأمره ونهيه وانفراده بالألوهية والعبادة، فقال: "إِلَهِ النَّاسِ"، فَرَبّ أخصّ الثلاثة، لأنه يقال في الباري تعالى وفي غيره، ومَلِك: أعمّ منه، وأخصّ من إله، لأنه يقال: ملك العراق ونحوه، وإله: أعمّ الثلاثة؛ لأنه تعالى: ربهم، وملكهم، وإلههم، ولا يشاركه غيره في ذلك فحصل الترقي من صفة إلى صفة، لما في الوصف الثاني من التعظيم ما ليس في الأول، وفي الثالث ما ليس في الثاني [١].

أما سبب تكرار كلمة شرّ ثلاث مرات في سورة الفلق: شرّ غاسق،شرّ النفاثات، شرّ حاسد، فالآية الثانية تدل على العموم: من شرّ ما خلق: والتكرار من باب التخصيص بعد التعميم، ليدلّ به على أن هذه الثلاثة من أشد الشرور على الناس لكثرة وقوعها بينهم [٢].

أما تكرار كلمة (اقرأ) في سورة العلق فيدلّ على تنوّع المعرفة وليس الاقتصار على وجه واحد أو خط واحد؛ لأن التغيير سِمَة هذا الكون.

وقد تكررت "أرأيت" ثلاث مرات في سورة العلق، وثمّة ظاهرة أسلوبية لافتة هنا، وهي أن القرآن قلّما يتعلق بذكر مفعول ثانٍ، في الأسلوب الاستفهامي المبدوء بـِ: أرأيتَ خطابا للمفرد، أو أرأيتم خطابا للجمع، وإنما يستغنى عن هذا المفعول بتقرير يلفت إلى موضع العبرة والنذير، كقوله تعالى:﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ ﴾ الماعون: ١- ٢،وكقوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ الواقعة: ٦٣- ٦٤، إذْ يُستغنَى عن المفعول الثاني لـِ رأى حين تقترن بهمزة الاستفهام في الخطاب [٣].

---

[١] ابن جماعة، **كشف المعاني في المتشابه من المثاني**، ص ٣٨٣.

[٢] انظر المصدر السابق، ص ٣٨١، وانظر المطعني، **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**، ١/ ٣٨١.

[٣] انظر بنت الشاطئ، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ٢/٢٩-٣٠.

- الحذف:

نجد عند قراءة القرآن العديد من المواضع التي نستشف منها حذف لفظة ما، فنقوم بتقديرها، بل يتعدى الأمر إلى وجود جملة كاملة، بُتِرت لهدف أراده الله، والحذف لغة: "الإسقاط.... واصطلاحا: إسقاط جزء من الكلام أو كله لدليل" [١]، " الحذف استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أنْ يقوم في الذهن، أو أنْ يوسع" [٢].

وللحذف أهمية كبيرة عند البلاغيين والنقاد، إذ يشكل جزءا مهمّا من ملامح الأسلوب في المستوى التركيبي، ومال البلغاء والفصحاء وأرباب البيان إلى استخدامه، فقد عدّوا الحذف من مظاهر الإبانة والبلاغة والفصاحة، ومن يستخدمه استخداما صحيحا دون إخلال في المعنى، يكون قد حاز قصب السبق، وفاق أقرانه، " وعادة العرب الحذف، إذا كان ثمّة دليل فيما بقي من العبارة على ما حُذِفَ، ويرون ذلك من الفصاحة " [٣]، وحسنُ العبارة يرجع في كثير من التراكيب إلى حذف ما لا يغمض به المعنى، ولا يلتوي وراءه القصد، وإنما هو تصرف تَصفو به العبارة، ويشتد به أسرها، ويقوى حبكها، ويتكاثر إيحاؤها، ويمتلئ مبناها، وتصير أشبه بالكلام الجيد، وأقرب إلى كلام أهل الطبع، وهو من جهة أخرى دليل على قوة النفس وقدرة البيان وصحة الذكاء وصدق الفطرة [٤]، هذا فضلا عن أنَّ الحذف يجعل الأسئلة تدور في خَلَد المَرْءِ، مما يزيد التفكير في اللفظة المحذوفة ومحاولة تقديرها؛ " فالمبدع يتصرف بوجوه النحو طِبقًا لمبدأ الاختيار والانتقاء الذي يُمْلِيه عليه المعنى أو الغرض المقصود " [٥].

"وللحذف وظيفة مزدوجة، فهو يُثري الإيحاء ويقويه من ناحية، وينشط خيال المتلقي من ناحية أخرى؛ لتأويل الجوانب المضمرة" [٦]، وللحذف فوائد عدّة منها: "زيادة لذةٍ بسبب

---

[١] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن،** ٣/ ١٠٢، والحذف من أهم الإجراءات التنفيذية ذات الطابع التجريبي التي يقوم بها الباحث الأسلوبي، انظر فضل، صلاح، (١٩٩٨م)، **علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته،** ط١، دار الشروق: القاهرة، ص ٢٧٥.

[٢] دي بوجراند، روبرت، (١٩٩٨م)، **النصّ والخطاب والإجراء،** تر: تمام حسان، عالم الكتاب: القاهرة، ص ٣٠١.

[٣] ابن حمدون، بهاء الدين أبو المعالي محمد بن الحسن بن محمد، (ت:٥٦٢هـ)، (١٩٩٦م)، **التذكرة الحمدونية،** ط١، تحقيق إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر: بيروت، ١٣١/٦.

[٤] أبو موسى، محمد، (١٩٨٠م)، **خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني)،** ط٢، دار التضامن للطباعة: القاهرة، ص ١١١.

[٥] خليل، **الأسلوبية ونظرية النص،** ص٤٢.

[٦] زايد، علي، (٢٠٠٢م)، **عن بناء القصيدة العربية الحديثة،** ط٤، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع: القاهرة، ص ٥٥.

استنباط الذهن للمحذوف، وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسر كان الالتذاذ به أشد وأحسن" [١]، وكلما كانت اللفظة المحذوفة أكثر غموضا، كان الحذف ناجحا أكثر من كلمة واضحة وضوح الشمس، وكلما كانت الكلمة المحذوفة لها خيارات أكثر، كان الحذف أكثر نجاعة، كما أن كثيرا من الألفاظ يُفضّلُ حذفها لدلالة السياق عليها؛ ولأن حضور بعضها في النص لا يقدم أو يؤخر، فإن حُذِفَت تلك اللفظة أو الجملة فبها ونِعْمَتْ، ولهذا قيل: اعلم أنَّ المحذوفات في صناعتهم على ثلاثة أقسام: محذوف لا يتمّ الكلام إلا به، حذف لعلم المخاطب به، كقولك لمن رأيته يعطي الناس: زيدا، أي أعطِ زيدا فتحذفه وهو مراد، وإن أظهر تم الكلام به، والمحذوفات في كتاب الله تعالى لعلم المخاطبين بها كثيرة جدا، وهي إذا أظهرت تم بها الكلام، وحذفها أوجز وأبلغ، والثاني محذوف لا حاجة بالقول إليه، بل هو تام دونه، وإن ظهر كان عيبا كقولك:(أزيدا ضربته)، قالوا: إنه مفعول بفعل مضمر تقديره أضربت زيدا، وأما القِسْم الثالث فهو مضمر، إذا أظهر تغير الكلام عمّا كان عليه قبل إظهاره، كقولنا: يا عبد الله، وحكم سائر المناديات المضافة والنكرات حكم عبد الله، وعبد الله عندهم منصوب بفعل مضمر تقديره أدعو أو أنادي [٢].

"والحذف هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تُبِنْ" [٣]، والسياق القرآني يحفل بما لا حصر له من وجوه الحذف، حتى ليتصور أنه لو لم يُحْذَف منه ما حُذِف على هذا النحو المُعْجز لكان في مجلدات عدّة [٤].

---

[١] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ١٠٤/٣.

[٢] انظر ابن مضاء، أحمد بن عبد الرحمن القرطبي (ت:٥٩٢هـ)، (١٩٨٢م)، **الرد على النحاة**، ط ٢، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف: القاهرة، ص ٧٩-٨٠.

[٣] الجرجاني، **دلائل الإعجاز في علوم المعاني**، ص ١٤٦.

[٤] انظر الظواهري، كاظم، (١٩٩١م)، **بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم**، ط١، دار الصابوني: عمّان، ص ٣٥٣.

ومن ضروب الحذف في القرآن الكريم:

حذفُ حرفٍ مُعيّنٍ:

الحروف ليست سواء فثمّة حروف قد تُحْذَف من الكلمة بهدف التخفيف، ولكنك بعد حذفها تترك دليلا عليها، فتدرك لأول وهلة أنَّ في الكلمة حرفا محذوفا، كأداة القسم الواو في قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ الحديد: ٢٥ [١]، إذ نجد واو قسم محذوفة قبل كلمة لقد.

وقد حُذِفَ ضمير الخطاب في قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ الضحى: ٣، إذ الأصل قلاك، وقيل: "هو اختصار لفظي لظهور المحذوف" [٢]، وقيل: "إنه اكتفاء بفهم السامع لمعناه، إذ كان قد تقدم ذلك قوله: ما ودعك، فعُرِفَ بذلك أن المخاطب به نبي الله" [٣]، "وأمّا أبو حيان فذكر أن الحذف للاختصار، والنيسابوري قال: هذا لرعاية الفاصلة" [٤]، لكن يوجد من يرفض التعليل الأخير، ويرى أن الحذف "كان لنكتة، ألا وهي كراهة أنْ يقع القِلَى والبغض صراحة على الضمير العائد على النبي" [٥]، وفي حذف الكاف ثلاثة وجوه، هي: الاكتفاء بالكاف الأولى في ودّعك، وأن اتفاق الفواصل أوجب حذف الكاف، وفائدة الإطلاق أي أنه ما قلاك أحد من أصحابك ولا ممن أحبك إلى يوم القيامة [٦]، وفي الإطلاق على ما بينه الرازي، تحميل للنص ما لا يحتمل، والسياق شاهد على أن الخطاب لسيدنا محمد- صلى الله عليه وسلّم- على وجه الخصوص، أما تعليل الحذف برعاية الفاصلة فليس من المقبول عندنا أن يقوم البيان القرآني على اعتبار لفظي، وإنما الحذف لمقتضى معنوي بلاغي [٧]، لكن هل يعد الاعتبار اللفظي عيبا يخلّ بإعجازه؟

والأمر ذاته نجده من حذف الكاف في الأفعال الآتية: فآوى، فهدى، فأغنى، إذْ الأصل أنْ يتصل بها ضمير المخاطَب الكاف، فتكون الأفعال هكذا: فآواك، فهداك، فأغناك، ونلاحظ

---

[١] انظر عباس، **لطائف المنان وروائع البيان في نفي الزيادة والحذف في القرآن**، ص ٢٦٤.

[٢] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ٧٧١/٤.

[٣] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ٤٨٥/٢٤.

[٤] بنت الشاطئ، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ٣٥/١.

[٥] انظر عباس، فضل، (١٩٨٥م)، **البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)**، ط ٢، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع: إربد- الأردن، ص ٢٨٤.

[٦] الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ١٩٢/٣١.

[٧] بنت الشاطئ، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ٣٥/١.

أن بعد الفعل وَدَّعَ أتى الفاعل اسما ظاهرا، أما بعد الفعل قلى فتم إضمار الفاعل؛ لدلالة السياق عليه.

قيل: لِمَ ذُكِرَ مفعول التوديع (ودّعكَ)، أليس في ذلك كراهة؟ الإجابة: لا، فالتوديع أمر معروف مشتهر بين الناس، ولا سيما بين الأحبة، فليس بمستهجن أن يودع الحبيب حبيبه [1] ولودّعكَ قراءتان، ودَّعَكَ، ووَدَعَكَ من دَعْهُ يَدَعْهُ.

وحُذِفَ المفعول به الذي جاء على صيغة ضمير متصل بالفعل بعث في قوله تعالى: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ الفرقان: ٤١، فالتقدير بعثه الله، وسأعود إلى الحديث عن هذا الأمر عند حذف المفعول به.

حُذِفت التاء تخفيفا من بداية الفعل المضارع "تتلهى" في قوله: ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ عبس:١٠.

وحُذِفت نون "تكن" في آية النحل الآتية: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ النحل: ١٢٧، ولم تحذف من آية النمل الآتية: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ النمل: ٧٠؛ لأن السياق مختلف في السورتين، فالآية الأولى نزلت حين مثّل المشركون بالمسلمين يوم أحد، وقد أوصى الله نبيه بالصبر، ثم نهاه أن يكون في ضيق من مكرهم، فحذف النون إشارة إلى ضرورة حذف الضيق من النفس، وهذا تطييب مناسب لضخامة الأمر وبالغ الحزن، وكذلك للتخفيف لِمَا حدث، وللتهوين على المخاطَب [2].

ونجد حذفا لحرف الجر مِنْ في آية وإثباته في أخرى، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النحل: ٤٣، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ الأنبياء:٧،

وهذا الحذف له غرض نبّه عليه الإسكافي، مؤكدًا أن من لابتداء الغاية، وقبلك اسم للزمان الذي تقدم زمانك، فإذا قال: (وما أرسلنا من قبلك) فكأنه قال: وما أرسلنا من ابتداء الزمان الذي تقدم زمانك، فيخص الزمان الذي يقع عليه قبل تحديه، ويستوعب بذكر طرفيه ابتداءه

---

[1] عباس، **البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني**، ص ٢٨٤.

[2] السامرائي، فاضل صالح، (٢٠٠٦م)، **التعبير القرآني**، ط ٤، دار عمّار: عمّان، ص ٧٧.

وانتهاءه، وإذا قال: (وما أرسلنا قبلك) فمعناه: ما فعلنا في الزمان الذي تقدم زمانك، فهو في الاستيعاب كالأول إلا أن الأول أوكد للحصر بين الحدين، وضبطه بذكر الطرفين، والزمان قد يقع على بعض ما تقدم فيستعمل فيه اتساعا، فأكثر ما في القرآن: (وما أرسلنا من قبلك) ولم يجئ بحذف من إلا في موضعين: أحدهما: هذا، والآخر: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ الفرقان: ٢٠، فأما الأول فإنه حذفت منه من بناء على الآية المتقدمة وهي﴿ مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴾ الأنبياء: ٦، فلما كان الزمان الذي تقدمهم هو الزمان الذي تقدم النبي المذكور في قوله: (وما أرسلنا قبلك) وكانت قبلُ إذا عريت مِنْ مِنْ موضوعة للزمان المتقدم كله، صار بناؤه على قبل مذكورًا كالتوكيد الواقع بمن في سائر المواضع، فأما قوله تعالى: (وما أرسلنا قبلك من المرسلين) فإنما لم يؤكد بمن؛ لأن المعتمد بالخبر إنما هو الحال التي للمرسلين، وهي أنهم يأكلون الطعام وليسوا من الملائكة الذين طلب الكفار أن يبعثوا إليهم، وأخبر الله تعالى به عنهم في قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَا ﴾ الفرقان: ٢١، فإن قال: فقد جاء قوله:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾ الحج: ٥٢، والقصد ذكر حال الرسول والنبي، وهو المعتمد بالخبر، فأكد مع ذلك قبلك بمن، قلت: القصد بمن في هذا الموضع توكيد ذكر الرسول وذكر حاله، ألا تراه قال: ﴿مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ فجمعهما في نَفْي ما نُفِي عنهما إلا ما أثبته لهما بعد قوله:﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾ فلما كان المكانان معتمدين بالخبر صحَّ التوكيد وكان المقصود [1].

ونجد حذفا لحرف الفاء المرتبطة مع إنك، في هذه الآية:﴿ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴾ النمل: ٨٠، ولا نجد ذلك في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴾ الروم: ٥٢.

---

[1] انظر الإسكافي، **درّة التنزيل وغرّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز**، ص ٢٤١- ٢٤٢

حذف المبتدأ، كقوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ ﴾ الأنعام: ١٢، حذف المبتدأ بعد كلمة قل الثانية في الآية، فالتقدير: هو لله، لكن حذف لدلالة السياق عليه.

ومن حذف المبتدأ، قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ﴾ الهمزة: ٥-٦، فالتقدير: "والحطمة نار الله" [١].

وحذف المبتدأ في قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ الكهف: ٢٩، فالتقدير: هو الحق من ربكم، حذف المبتدأ (هو)؛ لأنه معلوم.

وحذف المبتدأ في قوله: ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾ الضحى: ٥، والتقدير: "ولأنت سوف يعطيك ربك، وحذف المبتدأ لأن الخبر هو المقصود بالكلام ولكمال العناية به" [٢]، فالقاعدة النحوية أن اللام في (سوف) إن كانت للقسم، لا تدخل على المضارع إلا مع نون التوكيد، وإن كانت اللام للابتداء فإنها لا تدخل إلا على الجملة من المبتدأ والخبر [٣]، لا بُدَّ إذن من تكلف واحتيال، لتسوية الصّنعة، وقد رأى الزمخشري أنه لا بُدَّ من تقدير مبتدأ محذوف، وأن يكون أصل العبارة: ولأنت سوف يعطيك ربك فترضى، وكذلك قال أبو حيان: إن اللام هنا لام ابتداء أكدت مضمون الجملة على إضمار مبتدأ، أي: ولأنت سوف يعطيك، وندرك جور الصّنعة الإعرابية على هذا البيان العالي، إذا احتكمنا إلى حِسّ العربية، ووازنا بين التعبير القرآني ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾ وذلك التأويل المقدر، الذي قال عنه الزمخشري إنه الأصل: ولأنت سوف يعطيك [٤].

---

[١] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ١٣٦/٣.

[٢] أبو شادي، **الحذف البلاغي في القرآن الكريم**، ص ٤٨.

[٣] ابن هشام، أبو محمد جمال الدين الأنصاري (ت:٧٦١هـ)، (١٩٨٥م)، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ط٦، تحقيق مازن المبارك ومحمد حمد الله، دار الفكر: دمشق، ص٣٠٢.

[٤] بنت الشاطئ، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ٤١/١.

حذف الخبر، كقوله تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ الحجر: ٧٢، فالتقدير: "لعمرك قسمي، فقد حُذِفَ الخبر اختصارا للعلم به ولوجود دليل عليه، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما أقسم الله تعالى بحياة نبي غير محمد" [١].

حذف الفعل، تم حذف الفعل المنصوب تبتغيَ وأداة النصب أنْ، في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ﴾ الأنعام: ٣٥، هنا تم الحذف بعد حرف العطف أو، للدلالة على المحذوف فيما سبقه في الآية.

وحذف الفعل في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ٦٤، هنا حذف للفعل ينجيكم قبل شبه الجملة (من كل)، لوروده سابقا في بداية الآية الكريمة، فالله ينجيهم من ظلمات البر والبحر، وكذلك ينجيهم من كل كرب.

وحُذِفَ الفعل يرى، في قوله تعالى: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ الشعراء: ٢١٩، فالتقدير: ويرى تقلبك في الساجدين، وتم حذف الفعل لأن الآية السابقة تدل على ذلك، إذْ قال رب العالمين: ﴿ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ الشعراء: ٢١٨.

وحُذِفَ الفعل "وَصّى" في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ الإسراء: ٢٣، فالتقدير: "ووصّى بالوالدين إحسانا" [٢]، وحُذِفَ الفعل لدلالة الآية عليه.

حذف الفاعل، كقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الأنعام: ١٧، فاعل الفعل يمسسك الثاني في الآية محذوف، وجُعِلَ ضميرا مستترا، بينما فاعل الفعل الأول يمسسك كان اسمًا ظاهرًا هو (الله)، وهذا الحذف الذي ورد لفاعل الفعل الثاني كان لدلالة الجزء الأول من الآية عليه، وهنا إشارة أخرى، إذ

---

[١] ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ٥٣٨/٢، وانظر ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ت:٧٥١هـ)، (د.ت)، **التبيان في أقسام القرآن**، تحقيق محمد الفقي، دار المعرفة: بيروت، ص ٤٢٩، وانظر أبو شادي، **الحذف البلاغي في القرآن الكريم**، ص ٥٣.

[٢] الدينوريّ، **تأويل مُشْكِل القرآن**، ص ٢١٧.

بعد الفعل الثاني إشارة للخير، والخير من الله وحده وهذا معلوم، أما الضر في الجزء الأول من الآية فكذلك هو بمشيئة الله تعالى، لكن ذكر لفظ الجلالة معه للتنبيه، ولكي لا يحيد المرء عن جادّة الصواب، وليعلم أن أمره كله بيد الله.

ومن حذف الفاعل، قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الأنعام: ٣٤، هنا ثمّة كلمة محذوفة دل عليها سياق الآية الكريمة، فالتقدير: جاءك نبأ، وقيل: "ولقد جاءك يا محمد من خبر من كان قبلك من الرسل وخبر أممهم، وما صنعت بهم حين جحدوا آياتي وتمادوا في غيهم وضلالهم أنباء، وترك ذكر أنباء لدلالة مِن عليها" [1]، فهو هنا يرى أنَّ الكلمة المحذوفة جمع، وهذا صحيح؛ لأنَّ الأنباء عديدة.

وحذف الفاعل في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ الأنعام: ٦٣، هنا حُذِفَ لفظ الجلالة الله، بعد الفعل ومفعوله أنجانا، فالتقدير: أنجانا اللهُ، وهذا يدلّ على أن الكافرين يحاولون جاهدين عدم الاعتراف بوجود إله يسيّر الكون ويحمي مخلوقاته ويسمع دعاءهم، وثمّة حذف آخر سنتطرق إليه عند حذف أركان السؤال.

ومن حذف **نائب الفاعل**، عند خطاب الله لنبيه الكريم، قوله: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ الزمر: ٦٥، "وهذا الخطاب خطاب عين والمراد غيره" [2]، فالخطاب ليس مباشرا للنبي، بل لغيره، "والمقصود بالآية أنه قد أوحِيَ إليكَ وإلى الأنبياءِ قبلكَ بالتَّوحيدِ، والتَّوحيدُ محذوفٌ" [3].

حذف المفاعيل:

حذف المفعول به، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ الأنعام: ٤٢، فقد حذف المفعول به: رسلا، والتقدير: أرسلنا رسلا، لكن حذف

---

[1] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ٢٢٤/٩.

[2] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ٢٤٣/٢.

[3] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ٢٧٦/١٥.

لمعرفته ودلالة السياق على هذه اللفظة، فمن يُرسَل إلى أمة من الأمم يكون رسولا من رب العالمين.

وحُذِفَ المفعول به الذي جاء على صيغة ضمير متصل بالفعل بعث في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾ الفرقان: ٤١، فالتقدير بعثه الله، "وقد كشف حذف المفعول به رفض الاعتراف بوقوع فعل البعث على محمد- صلى الله عليه وسلّم- سخرية به، واحتقارا له، منبعهما الغيرة، والحقد، والإحساس بالتميز، الذي يدفع إلى دحض الآخر ومحاولة إخفاء أية مزيّة قد يُخَصُّ بها" (١).

وحُذِفَ لفظ الجلالة الله، بعد الفعل اعبدوا الموجه للنبي وللمسلمين، في قوله تعالى: ﴿ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴾ النجم: ٦٢، فالتقدير: اعبدوا الله، لكن تم الحذف لدلالة السياق على اللفظة، ولأن السجود كان لله ولا يحق لغيره فالعبادة كذلك.

ومن حذف ظرف الزمان، قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ يونس: ٤٩، هنا حذف ظرف الزمان ساعة بعد الفعل المسبوق بأداة النفي لا، فالتقدير: لا يستقدمون ساعة، وهذا الحذف كان لدلالة السياق على اللفظة المحذوفة.

حذف المعطوف عليه: من ذلك قوله: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ الأعراف: ٦٣، والتقدير: "أكذّبتم وعجبتم؟ والهمزة للإنكار، وحذف اكتفاء بالمعطوف الذي يدلّ على أن تكذيبهم بلغ غايته" (٢).

(١) نزال، **لغة الحوار في القرآن الكريم دراسة وظيفية أسلوبية**، ص ٣٧٠.

(٢) أبو شادي، **الحذف البلاغي في القرآن الكريم**، ص ١٣٧.

حذف المضاف، وهو كثير، "قال ابن جني: وفي القرآن منه زهاء ألف موضع" [١]، فقوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ الضحى: ٧، "أي وجد رهطك ضالا فهداه بك، فحُذف المضاف رهط" [٢].

ومن حذف المضاف، ما جاء عند تسلية النبي الكريم وتثبيته، بأن عذابا أصاب الأقوام السابقة المكذبة، ففي قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾ القمر: ١٨، تم حذف المضاف "وعيد"، والتقدير: "فكيف كان وعيد عذابي؟" [٣] .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ الأنعام: ٩٢، فالتقدير: ولتنذر أهل أم القرى.

ومن حذف المضاف في قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ الإسراء: ١١٠، والتقدير: "ولا تجهر بقراءة صلاتك، ولا تخافت بقراءتها" [٤].

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ ﴾ يس: ٦٩، التقدير: وما علمناه صناعة الشعر.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ الإسراء: ٧٥، فالتقدير: "ضعف عذاب الحياة، وضعف عذاب الممات" [٥].

حذف **الصفة**، كقوله تعالى: ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ الأنعام: ٦٦، فالتقدير: قومك المعاندون [٦].

---

[١] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ١٤٦/٣.

[٢] أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ٤٩٧/١٠.

[٣] المطعني، **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**، ٣٤٥/١.

[٤] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ١٤٧/٣.

[٥] الدينوريّ، **تأويل مُشْكِل القرآن**، ص ٢١٠.

[٦] انظر المصدر السابق، ١٥٦/٣.

حذف **المتعجب منه**، كما في قوله تعالى: ﴿ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ مريم: ٣٨، فالتقدير: "وأبصر بهم، وقد حُذِفَ لوجود دليل عليه في الآية" [١].

حذف خبر لا النافية للجنس، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴾ سبأ: ٥١، فالتقدير: "فلا فوت لهم" [٢].

الحذف في بنية السؤال:

يقول الله تعالى: ﴿ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ الأنعام: ٦٣، هنا ثمّة حذف آخر غير الذي ذكرناه من حذف الفاعل بعد كلمة أنجانا، إذْ يخاطب الله نبيه الكريم طالبا منه سؤال الكافرين: من ينجيكم من ظلمات البر والبحر؟ لكن جواب السؤال لم يرد، فالتقدير: ينجينا الله، لكن هؤلاء لا يؤمنون به، فكيف سيقولون هذا الجواب؟ ولهذا قالوا: "لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ"، وكأنّهم يُشكّكون بقُدرة الله، والشكّ صفة الكافر، أما المؤمن فعنده ثقة مطلقة بربه، ولهذا بعد طول انتظار لرد هؤلاء على سؤال النبي الكريم، لقَّنَ الله نبيه الجواب، فقال: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴾ الأنعام: ٦٤، وهنا تأكيد على أنهم سيبقون مشركين بالله، وأنهم لا يقدّرون حماية رب العالمين لهم.

ومن **حذف الجمل** في جواب السؤال، قوله تعالى: ﴿ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٩، فقد حذفت جملة: أن مع الله آلهة أخرى، بعد الفعل المسبوق بلا النافية "لا أشهدُ"، إذ وردت الجملة المحذوفة قبل الفعل

---

[١] التميمي، عبد الكريم خالد، (٢٠١٠م)، الحذف والتقدير رؤية في الأسلوب القرآني، **مجلة آداب البصرة**، (ع.٥١): ص ١٠١.

[٢] انظر المرجع السابق والصفحة ذاتها.

المنفي، لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى، ولهذا لم يكن من الضروري تكرارها، حتى تحافظ الآية على رشاقتها وجمالها.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) ﴾ المؤمنون: ٨٤- ٨٥، حذف جزء من جواب السؤال المطروح، والتقدير: سيقولون لله- الأرض ومن فيها-، وحذفت هذه الجملة لدلالة السياق عليها.

ومن حذف الفعل في جواب السؤال، قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ الزمر: ٣٨، فالتقدير: ليقولن خلقهن الله.

الحذف في التركيب الشرطي:

حذف جواب الشرط، في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأحقاف: ١٠، فإن جواب الشرط هنا محذوف، تقديره: إنْ كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين؟ ويدلّ على المحذوف قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

ومن حذف جواب الشرط، ما يقع جوابا لأداة الشرط غير الجازمة لو وفعلها، ففي صيغة: ولو ترى [1]، لا نجد جوابا للشرط، ولهذا فالتقدير: "لرأيت عجبا أو أمرا عظيما أو لرأيت سوء منقلبهم أو لرأيت سوء حالهم، والسر في حذفه في هذه المواضع أنها لما ربطت إحدى الجملتين بالأخرى حتى صارتا جملة واحدة أوجب ذلك لها فضلا وطولا فخُفف بالحذف خصوصا مع الدلالة على ذلك" [2]، وحُذِفَ الجواب في مثل هذه الآية من قوله تعالى في القرآن الحكيم: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

---

[1] انظر هذه الآيات التي وردت فيها صيغة (ولو ترى): الأنعام ٢٧، الأنعام ٣٠، الأنعام ٩٣، الأنفال ٥٠، السجدة ١٢، سبأ ٣١، سبأ ٥١.

[2] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن،** ١٨٣/٣.

الأنعام: ٢٧، للتهويل وللدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف، فلا يتصور مكروها إلا وهو دونه [١]، وقد لاحظتُ أنَّ كل آية فيها جملة "ولو ترى" فيها حديث عن الكافرين.

الحذف في أسلوب القسم:

تتفاوت استخدامات أسلوب القسم في القرآن الكريم، باعتبارات مختلفة، حسب ما تتطلب السياقات، فتارة نجده مكتمل الأركان، مشتملا على فعل القسم والمقسم به والمقسم عليه.... وتارة أخرى نجده قد حذفت منه بعض هذه الأركان [٢]، فقوله تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ الحِجْر: ٧٢، ثمّة حذف في هذه الجملة، والتقدير: لعمرك قسمي، حذف الخبر اختصارا للعلم به.

ومن حذف الجملة، ما نجده في قوله تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾ فاطر: ٤، فالتقدير: "فلا تحزن واصبر" [٣].

ومن الجمل المحذوفة ما نجده في قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ هود: ٣٥، يسمّى هذا الحذف بالحذف المقابلي، والمقصود به: أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من واحد منهما مقابل لدلالة الآخر عليه، إذ الأصل: فإنْ افتريته فعلي إجرامي وأنتم براء منه وعليكم إجرامكم وأنا بريء مما تجرمون، فنسبة قوله تعالى: "إجرامي" وهو الأول إلى قوله: "وعليكم إجرامكم" وهو الثالث كنسبة قوله: وأنتم براء منه، وهو الثاني إلى قوله: وعليكم إجرامكم، وهو الثالث كنسبة قوله: وأنتم برآء منه، وهو الثاني، إلى قوله تعالى: وأنا بريء مما تجرمون، واكتفى من كل متناسبين بأحدهما [٤].

---

[١] انظر أبو شادي، **الحذف البلاغي في القرآن الكريم**، ص ١١٦-١١٧.

[٢] القماز، يوسف عواد، (٢٠٠٣م)، ظاهرة القسم بواسطة الحروف في القرآن الكريم (دراسة تحليلية)، **مجلة مؤتة للبحوث والدراسات**، مج ١٨ (ع.٢): ص ١٠٢.

[٣] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ٢٠٩/٣.

[٤] انظر المصدر السابق، ١٢٩/٣.

ومن الجمل المحذوفة ما نجده في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ الإسراء: ٣٠، فقد تم حذف الجملة الآتية: الرزق لمن يشاء، بعد الفعل يقدرُ، وذلك لدلالة السياق عليها، ومثل ذلك حصل في الآية ٣٦ من سورة سبأ.

ومن حذف شبه الجملة من الجار والمجرور قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ الأنبياء: ٤١، فقد حذفت شبه الجملة: بالرسل أو يمكن تقديرها بـِ: من الرسل، بعد كلمة سخروا، وذلك لدلالة السياق عليها.

وثمّة حذف في آية وزيادة كلمة في آية أخرى، ففي سورة الطور: ٢٩ قال سبحانه: "بكاهن ولا مجنون"، أما في سورة القلم: ٢ فقال سبحانه: "بمجنون"، فوجود "بكاهن" في سورة الطور دون سورة القلم، له غير سبب، ومن ذلك: تفصيله في سورة الطور في ذكر أقوال الكفرة في النبي، فقالوا: إنه كاهن ومجنون وشاعر وكاذب، أما في سورة القلم فاتّهموه بالجنون فقط، وسبب آخر أن الله قال في سورة الطور: ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ الطور: ٣٨، والاستماع مما تدعيه الكهنة لتابعيهم من الجن، ولذلك ذكر الكهنة فيها، وكذلك ذكر الله السحر في قوله: ﴿ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ الطور: ١٥، فناسب ذكر السحر ذكر الكهانة، وذكر الله في آخر سورة القلم قول الكفرة: إنه لمجنون، فرد الله عليهم في أول السورة بنفي الجنون عنه، فناسب آخر السورة أولها، ثم انظر من ناحية أخرى كيف ناسب التأكيد بالباء الزائدة في النفي (بمجنون) التوكيد باللام في الإثبات (لمجنون)؛ لأن الباء لتوكيد النفي واللام لتوكيد الإثبات [١].

وخلاصة الحديث عن الحذف، أننا لو تقصّينا البحث عن كلمة تحل محل كلمة في القرآن الكريم ما وجدنا غيرها تصلح في مكانها، فكلّ محذوف في القرآن الكريم ما كان ينبغي إلا أن يكون محذوفا [٢].

---

[١] انظر السامرائي، فاضل،(٢٠١١م)،**لمسات بيانية في نصوص من التنزيل**، ط ٧، دار عمّار: عمّان، ص١٥٦-١٥٧.

[٢] أبو شادي، **الحذف البلاغي في القرآن الكريم**، ص ٣٩.

- الالتفات:

هو فنّ رفيع له رونق بديع، لا سيّما ما نجده في كتاب الله السَّمِيع، إذ نرى العديد من أشكال الالتفات فيه، والتي تدلّ على روعة هذا النصّ العظيم المُعْجِز.

وأمّا تعريف الالتفات، فهو: نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية واستدرارا للسامع وتجديدا لنشاطه وصيانة لخاطره من الملال والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه كما قيل:

لا يُصْلِح النفسَ إنْ كانت مصرفة... إلا التنقلُ مِنْ حالٍ إلى حال [١]

"وهو أسلوب يهز النفوس ويؤثّر في القلوب" [٢].

ونفهم ممّا سَلَفَ أنَّ الالتفات يشدُّ انتباه المتلقي، ويجعله مقبلا على القرآن غيرَ مدبر لملل أو غيره، ومُعْجَبا بهذا الانسجام بين الألفاظ وهذا التماسك بين الجمل، المؤدي إلى اصطفائه على سائر النصوص، فهو في الأعالي، ولا يدانيه نصّ أبدا.

والالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم، والكلام إذا نُقِلَ من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد [٣]، وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة؛ لأنه ينتقل فيه عن صيغة، كانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل ماض إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماض [٤]، وسمّاه ابن الأثير شجاعة العربية [٥]، وهو على ثلاثة أقسام هي:

---

[١] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ٣١٤/٣، وانظر الخطيب، أحمد سعد، (٢٠١٢م)، من أساليب القرآن الكريم في كَسْرِ أفق التوقّع، **مجلة الدراسات القرآنية**، (ع.١٠): ص ٤٩٢.

[٢] الشبل، يوسف، (٢٠٠٨م)، أسلوب الالتفات في القرآن الكريم، دراسة تفسيرية، **مجلة الدراسات القرآنية**، (ع.٢): ص ١٦٨.

[٣] انظر الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ٥٦/١.

[٤] ابن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ١٣٥/٢.

[٥] ولكن ابن جني سمّى الحذف بهذا المُسمّى، فقد ذكر في باب شجاعة العربية: اعلم أن معظم ذلك إنما هو الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف، انظر ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي، (ت:٣٩٢هـ)، (١٩٩٩م)، **الخصائص**، ط٤، تحقيق محمد النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، ٣٦٢/٢، وانظر الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ١٠٥/٣.

القسم الأول: في الرجوع من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، واعلم أنَّ عامة المنتمين إلى هذا الفن إذا سُئِلوا عن الانتقال من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة قالوا: كذلك كانت عادة العرب في أساليب كلامها.

القسم الثاني: في الرجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر، وعن الفعل الماضي إلى فعل الأمر، وهذا القسم كالذي قبله في أنه ليس الانتقال فيه من صيغة إلى صيغة طلبا للتوسع في أساليب الكلام فقط، بل لأمر وراء ذلك، وإنما يقصد إليه تعظيما لحال من أجري عليه الفعل المستقبل، وتفخيما لأمره، وبالضد من ذلك فيمن أجري عليه فعل الأمر.

القسم الثالث: في الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل، وعن المستقبل بالماضي [١]، وأيّا كان الأمر فالالتفات لون من ألوان الصياغة يعين ذا الموهبة الصادقة على الإيحاء بكثير من اللطائف والأسرار، ويلفت النفس المتلقية الواعية إلى كثير من المزايا، وكلما أمعنت النظر في مواطنه من الكلام الرفيع بانت لك وجوه من الحسن تزيدك إحساسًا بقدرته [٢]، وله فوائد: منها تطرية الكلام، وصيانة السمع عن الضجر والملال؛ لِمَا جُبلت عليه النفوس من حب التنقلات، والسآمة من الاستمرار على منوال واحد، وهذه فائدته العامة، ويختص كل موضع بنكت ولطائف باختلاف محله.... مثاله من التكلم إلى الخطاب، ووجهه حثّ السامع وبعثه على الاستماع إذ أقبل المتكلم عليه وأعطاه فضل عناية تخصيص بالمواجهة [٣].

ومن الالتفات في الخطاب، قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ يونس: ١٥، ففي الآية التفات عن خطاب هؤلاء الموعوظين إلى الغيبة عنهم، وتوجيهه للنبي الكريم، "وأسلوب الالتفات في القرآن كثير جدا، وفائدته العامة تلوين الكلام بما يجدد الانتباه له والتأمل فيه، وفي كل التفات فائدة خاصة، لو أردنا بيان ما نفهمه منها لطال بنا بحث البلاغة الكلامية" [٤].

---

[١] انظر ابن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ١٣٥/٢-١٤٥.

[٢] أبو موسى، **خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني)**، ص ٢٤٩.

[٣] السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ٢٨٩/٣.

[٤] رضا، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، ٢٦١/١١.

ومن الأمثلة على الالتفات من المتكلم إلى الغائب، قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾ الكوثر: ١- ٢، ووجهه أن يفهم السامع أن هذا نمط المتكلم وقصده من السامع حضر أو غاب، وأنه في كلامه ليس ممن يتلوّن ويتوجه فيكون في المضمر ونحوه ذا لونين، وأراد بالانتقال إلى الغيبة الإبقاء على المخاطب من قرعه في الوجه بسِهام الهجر، فالغيبة أروح له وأبقى على ماء وجهه أن يفوت، كقوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ إذ لم يقل: (لنا) تحريضا على فعل الصلاة لحق الربوبية [١]، فقد فضّل كلمة "ربّك" بضمير الغيبة على "لنا" تحقيقا لهذا التنويع.

ومن الالتفات من المتكلم إلى الغائب، قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ﴾ الأعراف: ١٥٨، فلقد جرى الأسلوب على طريقة التكلم في إعلان الرسول عن رسالته للناس "إني رسول الله إليكم"، ثم تحول إلى طريق الغيبة (الاسم الظاهر)، عند دعوتهم إلى الإيمان "فآمنوا بالله ورسوله".... وقد ذكر البلاغيون لهذا التحول نكتتين، الأولى: دفع التهمة عن شخص النبي والدلالة على أنه لا يدعو إلى الإيمان به لذاته، بل إلى اتباعه بوصفه رسولا.... الثانية: أن التعبير بالاسم الظاهر "رسوله" قد هيأ لاتباعه بالصفات التي أجريت عليه في الآية الكريمة، من كونه نبيا أميا، يؤمن بالله وكلماته، وهي صفات تؤدي دورها في إقناع الناس- لو تأملوها- بما يدعوهم إليه من إيمان [٢].

ومن الالتفات من الغائب إلى المتكلم، قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ الإسراء: ١، وقد تكرر الالتفات في الآية السابقة، في أربعة مواضع، فانتقل عن الغيبة في قوله: "سبحان الذي أسرى بعبده"، إلى التكلم في قوله: "باركنا حوله" ثم عن التكلم إلى

---

[١] انظر الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ٣/٣١٦-٣١٧.

[٢] طبل، حسن، (١٩٩٨م)، **أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية**، ط١، دار الفكر العربي: القاهرة، ص ١٠٩.

الغيبة في قوله: "ليريه" بالياء على قراءة الحسن، ثم عن الغيبة إلى التكلم في قوله: "آياتنا" ثم عن التكلم إلى الغيبة في قوله: "إنه هو السميع البصير" [١].

الالتفات من خطاب الواحد إلى خطاب الجمع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ الزمر: ١٠، فهنا انتقال من خطاب النبي الكريم إلى خطاب عباد الله المخلصين، الذين يدعوهم الله إلى تقواه؛ لينالوا الأجر على ذلك وعلى صبرهم في الدنيا.

ومن الالتفات بين غير ضمير، قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ الأنعام: ١٤، نلاحظ الالتفات من ضمير المخاطَب إلى ضمير المتكلم، ثم العودة إلى المخاطب.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ الأنعام: ٥٦، هنا نجد الخطاب قد انتقل من المخاطَب إلى المتكلم ثم العودة للمخاطب ومن ثَمَّ للمتكلم.

ويقول الله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ يونس: ٢، هنا التفات من الحديث عن النبي بصورة الغائب إلى المخاطب المعلوم، ومثل ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ ﴾ يونس: ٢٠، وكذلك قوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ يونس: ٣٨.

التحول من ضمير الغائب إلى ضمير المخاطَب، كقوله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ عبس: ١- ٣، فقد كان الهدف من الالتفات رفع الحرج عن

---

[١] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ٣٢٢/٣.

المخاطَب، ومراعاة لذات النبي، ونلاحظ انتقال الخطاب من أسلوب الخبر إلى الإنشاء، فبدأ الخطاب بالحديث عن النبي الكريم بصيغة الغائب حتى يكون عتابه ليّنا رقيقا، ثم التفت إليه مخاطبا إياه بطرح سؤال مهم على النبي الكريم، يُشعره بأهمية إعطاء هذا الرجل الضعيف اهتماما من النبي الكريم؛ لقضاء حاجاته وللإجابة عن استفساراته؛ وقضاء غيرها من أمور مختلفة.

أما الالتفات من المخاطَب إلى المتكلم، فكقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ يونس: ٥٣، وفي هذه الآية الكريمة أيضا نجد التفاتا من المخاطَب إلى المتكلم، يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ يونس: ١٠٨، وكذلك في الآية الآتية: ﴿ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴾ الحجر: ٨٩، وكذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ الكهف: ١١٠، وكذلك قوله: ﴿وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ النمل: ٩٢، وكقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَـٰبِدِينَ ﴾ الزخرف: ٨١، نلاحظ أنَّ جميعها يهدف لبثّ رسالة معينة وإيصالها للمتلقي.

الخاتمة:

وبعد الوصول إلى نهاية التطواف، أرجو أنْ أكون قد وفّقتُ في تناولي لهذا الموضوع، الذي اشتمل على التعريف بالخطاب لغة واصطلاحا، ومعرفة ميّزات السور المكيّة، وبيان جماليات الأسلوب في المستوى الصوتي، وكيف تفرّدت العديد من الآيات بجرْس لفظيّ أخّاذ، وإيقاع فريد متنوّع، وفواصل قرآنية سَلِسَة، خفيفة الوقع على الأذن، وأنْ نكون قد بيّنّا أبرز مكوّنات الخطاب وأساليبه التي نجدها في السور المكية، وختمنا الموضوع بالحديث عن بعض جماليات الأسلوب، كالتقديم والتأخير والتكرار والحذف والالتفات.

ولقد خَلُصَت الرسالة إلى عدد من النتائج، أبرزها:

تفرّدَ نبيّنا الكريم عن غيره من الأنبياء عند خطاب الله إيّاه في القرآن الكريم، فقد شرّفه الله بصفات تميزه عن غيره من الرسل، فنحن لا نجد في القرآن اسما له إلا وتتبعه صفة، ولا نجد حديثا عنه إلا وتتبعه صفه كذلك، فلا يكون الحديث مجردا من صفة النبوة أو الرسالة مثلا، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ﴾ آل عمران: ١٤٤، كما تميّز النبي الكريم بصفات عدّة أثناء الخطاب الإلهي، بل أقسم الله بحياته.

ووجدنا بعض الفروقات بين الخطاب الإلهي للنبي الكريم في السور المكية وعنه في السور المدنية، ففي المدنيّة نجد حديثا عن زوجات النبي الكريم، والأمر بالجهاد، ومخاطبة النبي الكريم بِـ: يا أيها النبي أو يا أيها الرسول، ومخاطبته باسمه الصريح محمد، وأحمد، وهذا ما لا نجده في مكيّ القرآن.

وامتازت السور المكيّة عن المدنية من الناحية الصوتية، إذْ سادَ في أغلبها- المتميّز بِقِصَر الآيات- نوع من الموسيقى العذبة، تأتّتْ من توالي الفواصل الجميلة، وتنوع الإيقاع العذب، والجرْس الأخّاذ، وما حصل في الآية من تقديم لفظ معين أو تأخيره، أو حذفه، أو تكراره.

كما أشرنا إلى غير لمسة من اللمسات البيانية، واللطائف القرآنية التي تبيّن عظمة هذا الكتاب المُعجِز، كالفرق بين "أنزلنا إليك" و"أنزلنا عليك"، ومنها: أنَّ كلّ آية فيها جملة "ولو ترى" فيها حديث عن الكافرين، ومن اللطائف التي نسوقها عند الحديث عن النداء، أنَّ الله تعالى خاطبَ الأنبياء في كتابه العزيز بأسمائهم مباشرة وقرنها بياء النداء، فقال: يا عيسى، يا نوح، يا داود، يا آدم، يا إبراهيم، يا موسى، يا زكريا، يا يحيى، أما عندما نادى سيدنا- محمد صلى الله عليه وسلم- فلا توجد آية يقترن فيها اسمه الشريف بأداة النداء، وعندما ناداه جعل له صفة معينة، فقال: يا أيها النبي، يا أيها الرسول، يا أيها المدثر، يا أيها

المزمل، وهذا من باب تكريمه وتمييزه عن غيره من الأنبياء والرسل- صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-، علاوة على اللطائف التي ذكرناها عند الحديث عن سورتيّ: الفلق والناس.

ولاحظتُ أنَّ الله تعالى عندما يعاتب نبيه الكريم يخاطبه بلفظ الرسول، ولا يخاطبه بلفظ النبيّ.

ونلاحظ أنَّ الآيات التي خوطِبَ فيها النبي الكريم على أنواعها، تتمتع بأسلوب يتميز عن غيرها من الآيات، إذْ يكثر فيها التكرار، ويتواتر فيها الحذف أيضا، وامتازت العديد منها بِقِصَرِ الآيات، وتقارب الفواصل.

وحسبي في نهاية الموضوع أنني حاولت ولوجَ هذا البحر الممتع الذي فيه العديد من الدُّرر اللذيذة، والمشوب ببعض الصعوبات عند البحث في الوقت عينه، ولي أجر المجتهد بعونه، وأستأنس بما ورد على لسان القائل: وبقي القرآن قادرا- بحول الله- على العطاء، كنوزه ثمينة مذخورة لا تنفد ولو كثر المتغرّفون، ومعينه ثرّ كريم عزيز لا ينضب ولو كثر الشاربون، وظلاله ممتدة واسعة لا تزول ولو توافد عليها المتفيّئون، وأنواره مشعة لا تخبو ولو طال عليها الزمان وامتدت بها السنون [1]، والله وليّ التوفيق.

---

[1] الخالدي، صلاح عبد الفتاح، (١٩٨٥م)، **مفاتيح للتعامل مع القرآن**، ط١، مكتبة المنار: الزرقاء، ص ٨.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

المصادر القديمة:

- ابن الأثير، ضياء الدين (ت:٦٣٧هـ)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، (د.ط)، ٤م، (تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة)، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع: القاهرة، (د.تا).

- الإسكافي، الخطيب (ت:٤٢٠هـ)، **درّة التنزيل وغرّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز برواية ابن أبي الفرج الأردستاني**، ط١، م١، (د.تحق)، دار الآفاق الجديدة: بيروت، ١٩٧٣م.

- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت:٥٠٢هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، ط١، ٥م، (تحقيق صفوان الداودي)، دار القلم: دمشق، ١٩٩١م.

- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت:١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط١، ١٦م، (تحقيق علي عطية)، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٩٩٤م.

- امرؤ القيس (ت:٨٠ ق.هـ)، **ديوان امرئ القيس**، ط٥، م١، (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار المعارف: القاهرة، (د.تا).

- الأنصاري، أبو يحيى زكريا بن محمد (ت:٩٢٦هـ)، **فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن**، ط١، ٥م، (تحقيق محمد الصابوني)، دار القرآن الكريم: بيروت، ١٩٨٣م.

- ابن باديس،عبد الحميد محمد (ت:١٣٥٩هـ)، **تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**، ط١، م١، (تحقيق أحمد شمس الدين)، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٩٩٥م.

- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب (ت:٤٠٣هـ)، **إعجاز القرآن**، ط٥، م١، (تحقيق السيد أحمد صقر)، دار المعارف: القاهرة، ١٩٩٧م.

- البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت:١٠٩٣هـ)، **خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب**، ط ٤، ١٣م، (تحقيق عبد السلام محمد هارون)، مكتبة الخانجي: القاهرة، ١٩٩٧م.

- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد (ت:٥١٠هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)**، ط١، ٥م، (تحقيق عبد الرزاق المهدي)، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٩٩٩م.

- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر (ت:٦٨٥هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ط١، ٥م، (تحقيق محمد المرعشلي)، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٩٩٧م.

- الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت:٨٧٥هـ)، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، ط١،٥م،(تحقيق محمد معوض وعادل عبد الموجود)، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٩٩٧م.

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت:٢٥٥هـ)، **البيان والتبيين**، ط ٧، ٤م، (تحقيق عبد السلام هارون)، مكتبة الخانجي: القاهرة، ١٩٨٨م.

- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت:٤٧١هـ)، **دَرْج الدُّرر في تفسير الآي والسُّور**، ط١، ٢م، (تحقيق طلعت الفرحان ومحمد أديب شكور)، دار الفكر: عمّان، ٢٠٠٩م.

- ـــــــــــــــــــــــ، **دلائل الإعجاز في علوم المعاني**، ط ٣، م١، (تحقيق محمود محمد شاكر)، مطبعة المدني: القاهرة، دار المدني: جدّة، ١٩٩٢م.

- ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله (ت:٧٤١هـ)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، ط١، ٢م، (تحقيق عبد الله الخالدي)، دار الأرقم بن أبي الأرقم: بيروت، ١٩٩٦م.

- ابن جماعة، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن إبراهيم الشافعي (ت:٧٣٣هـ)، **كشف المعاني في المتشابه من المثاني**، ط ١، م١، (تحقيق عبد الجواد خلف)، دار الوفاء: مصر، ١٩٩٠م.

- ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي (ت:٣٩٢هـ)، **الخصائص**، ط٤، ٣م، (تحقيق محمد النجار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، ١٩٩٩م.

- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، (ت: ٥٩٧هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، ط١، ٤م، (تحقيق عبد الرزاق المهدي)، دار الكتاب العربي: بيروت، ٢٠٠١م.

- ـــــــــــــــــــــــ، **المدهش**، (د.ط)، م١، (تحقيق حامد البسيوني)، دار الحديث: القاهرة، ٢٠٠٤م.

- ابن حمدون، بهاء الدين أبو المعالي محمد بن الحسن بن محمد (ت:٥٦٢هـ)، **التذكرة الحمدونية**، ط١، ١٠م، (تحقيق إحسان عباس وبكر عباس)، دار صادر: بيروت، ١٩٩٦م.

- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي (ت:٧٤٥هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، (د.ط)، ١٠م، (تحقيق صدقي محمد جميل)، طبعة دار الفكر: بيروت، ١٩٩٩م.

- الخنساء، تماضر بنت عمرو (ت:٢٤هـ)، **ديوان الخنساء بشرح ثعلب**، ط١، م١، (تحقيق أنور أبو سويلم)، دار عمّار للنشر والتوزيع: عمّان، ١٩٨٨م.

- الدينوريّ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت:٢٧٦هـ)، **تأويل مُشْكِل القرآن**، ط ٢، م١، (تحقيق السيد أحمد صقر)، دار التراث: القاهرة، ١٩٧٣م.

- الرازي، أبو عبد الله زين الدين محمد بن أبي بكر الحنفي(ت:٦٦٦هـ)، **أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب التنزيل**،ط١،م١،(تحقيق عبد الرحمن المطرودي)،دار عالم الكتب: الرياض، ١٩٩١م.

- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الملقب بفخر الدين الرازي (ت:٦٠٦هـ)، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ط٣، ٣٢م، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٩٩٩م.

- الرمّاني، أبو الحسن علي بن عيسى (ت:٣٨٤هـ)، **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، ط ١، م١، (تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلّام)، دار المعارف: القاهرة، (د.تا).

- الزّبَيدِي، أبو العباس أحمد (ت:٨٩٣هـ)، **التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح "مختصر صحيح البخاري"**، ط١، م١، (تحقيق عماد عامر)، دار الحديث: القاهرة، ٢٠٠٥م.

- الزجّاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل (ت:٣١١هـ)، **معاني القرآن وإعرابه**، ط١، ٥م، (تحقيق عبد الجليل شلبي)، عالم الكتاب: بيروت، ١٩٨٨م.

- الزركشي، محمد بن عبد الله (ت:٧٩٤هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، ط١، ٤م، (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار إحياء الكتب العربية: القاهرة، ١٩٥٧م.

- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت:٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، (د.ط)، ٤م،(تحقيق عبد الرزاق المهدي)، دار إحياء التراث العربي: بيروت، (د.تا).

- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت:١٣٧٦هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط١، م١، (تحقيق عبد الرحمن بن معلا)، مؤسسة الرسالة: بيروت، ٢٠٠٠م.

- أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت:٩٨٢هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (د.ط)، ٩م، دار إحياء التراث العربي: بيروت، (د.تا).

- السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي (ت:٤٨٩هـ)، **تفسير القرآن**، ط١، ٦م، (تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس)، دار الوطن: الرياض، ١٩٩٧م.

- سيبويه، أبو بِشْر عمرو بن عثمان بن قنبر، (ت:١٨٠هـ)، **الكتاب**، ط٣، ٨م، (تحقيق عبد السلام هارون)، مكتبة الخانجي: القاهرة، ١٩٨٨م.

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت:٩١١هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، (د.ط)، ٤م، (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، ١٩٧٤م.

- ـــــــــــــــــــــ، **تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك**، (د.ط)، ٢م، المكتبة التجارية الكبرى: مصر، ١٩٦٩م.

- ـــــــــــــــــــــ، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، ط١، ٣م، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٩٨٨م.

- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت:١٢٥٠هـ)، **فتح القدير**، ط١، ٦م، دار ابن كثير: دمشق، ودار الكلم الطيب: بيروت، ١٩٩٣م.

- ابن الضريس، أبو عبد الله محمد بن أيوب بن يحيى (ت:٢٩٤هـ)، **فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة**، ط١، م١، (تحقيق غزوة بدير)، دار الفكر: دمشق، ١٩٨٧م.

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير (ت:٣١٠هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ط١، ٢٤م، (تحقيق أحمد شاكر)، مؤسسة الرسالة: بيروت، ٢٠٠٠م.

- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي (ت:٥٤٢هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز**، ط١، ٥م، (تحقيق عبد السلام محمد)، دار الكتب العلمية: بيروت، ٢٠٠١م.

- عياض، أبو الفضل بن موسى بن عياض بن عمرون السبتي، (ت:٥٤٤هـ)، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، ط٢، ٢م، دار الفيحاء: عمان، ١٩٨٧م.

- الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير (ت:٧٠٨هـ)، **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**، (د.ط)، ٢م، (تحقيق عبد الغني الفاسي)، دار الكتب العلمية: بيروت، (د.تا).

- الغزالي، أبو حامد محمد (ت:٥٠٥هـ)، **إحياء علوم الدين**، ٤م، دار المعرفة: بيروت، (د.تا).

- غلام ثعلب، أبو عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد، (ت: ٣٤٥هـ)، **ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن**، ط١، م١، (تحقيق محمد التركستاني)، مكتبة العلوم والحكم: المدينة المنوّرة، ٢٠٠٢ م.

- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت:٣٩٥هـ)، **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، ط١،م١،(تحقيق محمد بيضون)، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٩٩٧م.

- ابن فورك، أبو بكر محمد بن الحسن الأنصاري الأصبهاني (ت:٤٠٦هـ)، **تفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون- آخر سورة السجدة**، ط١، م١، (دراسة وتحقيق علاء عبد القادر بندويش)، نشر جامعة أم القرى: السعودية، ٢٠٠٩م.

- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت:٨١٧هـ)، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، (د.ط)، ٦م، (تحقيق محمد علي النجار)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية و لجنة إحياء التراث الإسلامي: القاهرة، ١٩٩٦م.

- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد (ت:١٣٣٢هـ)، **محاسن التأويل**، ط١، ٩م، (تحقيق محمد باسل)، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٩٩٧م.

- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري، (ت:٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، ط٢، ٢٠م، (تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش)، دار الكتب المصرية: القاهرة، ١٩٦٤م.

- القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت:٤٦٥هـ)، **لطائف الإشارات (تفسير القشيري)**، ط٣، ٣م، (تحقيق إبراهيم البسيوني)، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، (د.تا).

- القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق (ت:٤٦٣هـ)، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، ط ٥، ٢م، (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد)، دار الجيل: القاهرة، ١٩٨١م.

- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت:٧٥١هـ)، **التبيان في أقسام القرآن**، (د.ط)، م١، (تحقيق محمد الفقي)، دار المعرفة: بيروت، (د.تا).

- ______________، **التفسير القيم**، ط١، م١، (تحقيق إبراهيم رمضان)، دار ومكتبة الهلال: بيروت، ١٩٨٩م.

- ______________، **تفسير المعوذتين**، ط٣، م١، (مراجعة محمود غانم غيت)، مكتبة القاهرة ومطبعة النصر: مصر، ١٩٨٤م.

- ______________، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ط ٢٧، ٥م، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٩٩٤م.

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي (ت:٧٧٤هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، ط٢، ٨م، (تحقيق سامي سلامة)، دار طيبة للنشر والتوزيع: (د. مكان)، ١٩٩٩م.

- الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر المعروف بتاج القرّاء (ت:٥٠٥هـ)، **أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحُجة والبيان**، ط٢، م١، (دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا)، دار الاعتصام: القاهرة، ١٩٧٦م.

- ابن المثنى، أبو عبيدة معمر (ت:٢٠٩هـ)، **مجاز القرآن**، ط١، ٢م، (تحقيق محمد فؤاد سزكين)، مكتبة الخانجي: القاهرة، ١٩٦١م.

- مجاهد، أبو الحجاج بن جبر القرشي (ت:١٠٤هـ)، **تفسير مجاهد**، ط١، م١، (تحقيق محمد أبو النيل)، دار الفكر الإسلامي الحديثة: مصر، ١٩٨٩م.

- المحاسبي، أبو عبد الله الحارث بن أسد (ت:٢٤٣هـ)، **فهم القرآن ومعانيه**، (د.ط)، م١، (تحقيق حسين القوتلي)، دار الكندي ودار الفكر: بيروت، ١٩٧٨م.

- المراغي، أحمد بن مصطفى (ت:١٣٧١هـ)، **تفسير المراغي**، ط١، ٣٠م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده: مصر، ١٩٤٦م.

- ابن مضاء، أحمد بن عبد الرحمن القرطبي (ت:٥٩٢هـ)، **الردّ على النحاة**، ط ٢، م١، (تحقيق شوقي ضيف)، دار المعارف: القاهرة، ١٩٨٢م.

- ابن معصوم، علي بن أحمد بن محمد (ت:١١١٩هـ)، **أنوار الربيع في أنواع البديع**، ط١، م١، (تحقيق شاكر هادي)، مطبعة النعمان: النجف، ١٩٦٩م.

- مقاتل، أبو الحسن بن سليمان بن بشير (ت:١٥٠هـ)، **تفسير مقاتل بن سليمان**، ط١، ٥م، (تحقيق عبد الله شحاته)، دار إحياء التراث: بيروت، ٢٠٠٢م.

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت:٧١١هـ)، **لسان العرب**، ط٣، ١٥م، دار صادر: بيروت، ١٩٩٣م.

- النابغة الذبياني، (ت:١٨ ق.هـ)، **ديوان النابغة**، (د.ط)، م١،(تحقيق كرم البستاني)، دار صادر: بيروت، (د.تا).

- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت:٦٧٦هـ)، **تهذيب الأسماء واللغات**، (د.ط)، ٤م، (عُنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية)، دار الكتب العلمية: بيروت، (د.تا).

- ابن هشام، أبو محمد جمال الدين الأنصاري (ت:٧٦١هـ)، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ط٦، م١، (تحقيق مازن المبارك ومحمد حمد الله)، دار الفكر: دمشق، ١٩٨٥م.

- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري (ت:٢١٨هـ)، **السيرة النبوية**، ط١، م١، (تحقيق جوده محمد جوده)، دار ابن الهيثم: القاهرة، ٢٠٠٦م.

- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، (ت: ٤٦٨هـ)، **أسباب نزول القرآن**، ط١، م١، (تحقيق كمال بسيوني زغلول)، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٩٩٠م.

- ________________، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، ط١، ٤م، (تحقيق وتعليق الشيخ عادل عبد الموجود وآخرين)، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٩٩٤م.

المراجع:

- الأسد، ناصر الدين،(٢٠٠٩م)، **ألفاظ من القرآن الكريم**، ط١، عمّان: دار الفتح للدراسات والنشر.

- إسماعيل، عزّ الدين،(١٩٧٤م)، **الأسس الجمالية في النقد العربي**، ط٣، القاهرة: دار الفكر العربي.

- أنيس، إبراهيم، (١٩٦٣م)، **دلالة الألفاظ**، ط ٢، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

- الباز، عوني، (٢٠١٠م)، **من اللمسات البيانية والإشارات العلمية في القرآن الكريم**، ط١، عمّان: دار البداية ناشرون وموزعون.

- بدوي، أحمد أحمد، (١٩٥٠م)، **من بلاغة القرآن**، ط ٣، القاهرة: مكتبة النهضة.

- البغدادي، جلال الحنفي، (١٩٩٧م)، **شخصية الرسول الأعظم قرآنيا**، ط١، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام.

- البوطي، محمد سعيد، (١٩٩٦م)، **من روائع القرآن، تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عزّ وجلّ**، (د.ط)، بيروت: مؤسسة الرسالة.

- جعفر، السيد عبد المقصود، (١٩٩٢م)، **مقدمة في خصائص الخطاب القرآني بين العهدين المكي والمدني**، ط ١، مصر: دار الطباعة والنشر الإسلامية.

- الجندي، درويش، (١٩٥٨م)، **الرمزية في الأدب العربي**، ط ١، القاهرة: مكتبة نهضة مصر.

- جوارنة، أحمد محمود الصالح، (٢٠٠٩م)، **التقديم والتأخير في الجملة العربية** في **السور المكية**، (د.ط)، إربد- الأردن: المركز القومي للنشر.

- جويو، جان ماري، (١٩٤٨م)، **مسائل فلسفة الفن المعاصرة**، ط١، تر: سامي الدروبي، القاهرة: دار الفكر العربي.

- جيرو، بيير،(١٩٩٤م)،**الأسلوبية**،(د.ط)، تر: منذر عياشي، حلب- سوريا: مركز الإنماء الحضاري.

- حامد، عبد الحافظ سلامة، (٢٠٠٤م)، **ومضات من نور القرآن الكريم**، ط١، القاهرة: مركز الكتاب للنشر.

- حريز، سامي محمد هشام، (٢٠٠٦م)، **نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم، نظريا وتطبيقيا**، ط ١، عمّان: دار الشروق للنشر والتوزيع.

- حسّان، تمّام،(١٩٩٣م)، **البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنصّ القرآني**، ط ١، القاهرة: عالم الكتب.

- حطيني، يوسف، (٢٠٠٩م)، **ملامح السرد القرآني، دراسة في أنماط القصّ والتلقي والشخصيات والبيئة القصصية**، (د.ط)، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العربي.

- الحيالي، معن توفيق، (٢٠٠٨م)، **النداء في القرآن الكريم**، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

- الخالدي، صلاح عبد الفتاح،(٢٠٠٢م)، **عتاب الرسول في القرآن، تحليل وتوجيه**،دمشق: دار القلم.

- ـــــــــــــــ،(١٩٩٢م)، **لطائف قرآنية**، ط١، دمشق: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع.

- ـــــــــــــــ، (١٩٨٥م)، **مفاتيح للتعامل مع القرآن**، ط١، الزرقاء: مكتبة المنار.

- الخالدي، كريم حسين ناصح، (٢٠٠٧م)، **الخطاب النفسي في القرآن الكريم دراسة دلالية أسلوبية**، ط١، عمّان: دار صفاء للنشر والتوزيع.

- خضر، محمد زكي محمد، (٢٠٠١م)، **ذِكْر القرآن الكريم للرسول- صلى الله عليه وسلم-**، (د.ط)، عمّان: (د.ناشر).

- خليل، إبراهيم،(٢٠١٤م)، **الأسلوبية العربية مدخل إجرائي**، ط١، عمّان: جهينة للنشر والتوزيع.

- ـــــــــــــــــ،(١٩٩٧م)،**الأسلوبية ونظرية النص**،بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر

- ـــــــــــــــــ،(١٩٩٣م)، **أوراق في اللغة والنقد الأدبي**، عمّان: دار الينابيع للنشر والتوزيع.

- ـــــــــــــــــ، (٢٠٠٢م)، **في النقد والنقد الألسني**، إربد: دار الكندي.

- ـــــــــــــــــ، (٢٠١٣م)، **مقدمة في علم أصوات اللغة العربية**، عمّان: أمواج للطباعة والنشر والتوزيع.

- دراز، محمد بن عبدالله، (٢٠٠٥م)، **النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم**، (د.ط)، الكويت: دار القلم للنشر والتوزيع.

- دي بوجراند، روبرت،(١٩٩٨م)، **النصّ والخطاب والإجراء**، تر: تمام حسان،القاهرة: عالم الكتاب.

- الرافعي، مصطفى صادق، (٢٠٠٥م)، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، ط ٨، بيروت: دار الكتاب العربي.

- ـــــــــــــــــ، (١٩٧٤م)، **تاريخ آداب العرب**، (د.ط)، بيروت: دار الكتاب العربي.

- ربابعة، موسى، (٢٠١٠م)، **قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي**، ط ١، عمّان: دار جرير للنشر والتوزيع.

- رضا، محمد رشيد بن علي، (١٩٩٠م)، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، (د.ط)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للنشر.

- زايد، علي، (٢٠٠٢م)، **عن بناء القصيدة العربية الحديثة**، ط٤، القاهرة: مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع.

- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، (١٩٩٧م)، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ط٢، دمشق: دار الفكر المعاصر.

- الزرِكْلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، (٢٠٠٢م)، **الأعلام**، ط١٥، بيروت: دار العلم للملايين.

- السامرائي، فاضل صالح، (٢٠٠٨م)، **أسئلة بيانية في القرآن الكريم**، ط١، الشارقة- الإمارات: مكتبة الصحابة، والقاهرة: مكتبة التابعين.

- ـــــــــــــــــ، (٢٠٠٦م)، **التعبير القرآني**، ط ٤، عمّان: دار عمّار.

- ـــــــــــــــــ، (٢٠١١م)، **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل**، ط ٧، عمّان: دار عمّار.

- السعدني، مصطفى، (د.تا)، **البناء اللفظي في لزوميات المعري دراسة تحليلية بلاغية**، (د.ط)، الإسكندرية: منشأة المعارف.

- سلّام، محمد زغلول، (١٩٦١م)، **أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري**، ط ٢، القاهرة: دار المعارف.

- سلطان، منير، (د.تا)، **الفصل والوصل في القرآن الكريم**، ط ٢، الإسكندرية: منشأة المعارف.

- أبو شادي، مصطفى عبد السلام،(١٩٩١م)،**الحذف البلاغي في القرآن الكريم**، (د.ط)، القاهرة: مكتبة القرآن.

- شاكر، محمود محمد، (٢٠٠٢م)، **مداخل إعجاز القرآن**، ط١، مصر: مطبعة المدني، جدّة: دار المدني.

- الشرقاوي، عفّت، (١٩٨١م)، **بلاغة العطف في القرآن الكريم دراسة أسلوبية**، (د.ط)، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

- بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، (١٩٦٢م)، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ط٣، القاهرة: دار المعارف.

- _____________، (د.تا)، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ط٧، القاهرة: دار المعارف.

- _____________، (١٩٦٨م)، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ط٢، القاهرة: دار المعارف.

- _____________، (١٩٦٧م)، **كتابنا الأكبر**، السودان: (د. ناشر).

- _____________، (١٩٧٢م)، **من أسرار العربية في البيان القرآني**، بيروت: دار الأحد.

- الشايع، محمد بن عبد الرحمن بن صالح، (١٩٩٣م)، **الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم**، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان.

- الشعراوي، محمد متولي، (١٩٩٧م)، **تفسير الشعراوي**، (د.ط)، القاهرة: مطابع أخبار اليوم.

- شملول، محمد، (٢٠٠٠م)، **تأملات في إعجاز الرسم القرآني وإعجاز التلاوة والبيان**، ط٢، دبي: (د. ناشر).

- شيخون، محمود السيد، (١٩٨٣م)، **أسرار التكرار في لغة القرآن**، ط١، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.

- الصابوني، محمد علي، (١٩٩٧م)، **صفوة التفاسير**، ط١، القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع.

- الصالح، صبحي، (١٩٥٨م)، **مباحث في علوم القرآن**،(د.ط)، دمشق: مطبعة الجامعة السورية.

- أبو صفية، جاسر، (٢٠١٠م)، **أمية الرسول والعرب وقضايا نقدية في اللغة والأدب**، ط١، عمّان: دار فضاءات للنشر والتوزيع.

- الضالع، محمد صالح،(٢٠٠٢م)، **الأسلوبية الصوتية**، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

- ضيف، شوقي، (٢٠٠٠م)، **محمد خاتم المرسلين**، القاهرة: دار المعارف.

- الطائي، كمال الدين، (١٩٧١م)، **موجز البيان في مباحث القرآن**، بغداد: مطبعة سلمان الأعظمي.

- طبل، حسن، (١٩٩٨م)، **أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية**، ط١، القاهرة: دار الفكر العربي.

- الظواهري، كاظم، (١٩٩١م)، **بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم**، ط١، عمّان: دار الصابوني.

- عاشور، قاسم، (٢٠٠١م)، **لطائف قرآنية في ١٠٠٠ سؤال وجواب**، ط١، الرياض: دار طويق للنشر والتوزيع.

- ابن عاشور، محمد الطاهر، (١٩٨٤م)، **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير والتنوير)**، (د.ط)، تونس: الدار التونسية للنشر.

- عباس، فضل وسناء،(٢٠٠٧م)، **إعجاز القرآن الكريم**، ط٧، عمّان: دار النفائس للنشر والتوزيع.

- عباس، فضل، (١٩٨٥م)، **البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)**، ط ٢، إربد- الأردن: دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع.

- ____________، (٢٠١٠م)، **لطائف المنان وروائع البيان في نفي الزيادة والحذف في القرآن**، ط١، عمّان: دار النفائس للنشر والتوزيع.

- عبد المطلب، محمد، (١٩٨٤م)، **البلاغة والأسلوب**، (د.ط)، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.

- ____________، (١٩٩٥م)، **جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم**، (د.ط)، بيروت: مكتبة لبنان، والجيزة- مصر: لشركة المصرية العالمية للنشر.

- العثيمين، محمد بن صالح بن محمد، (٢٠٠٢م)، **تفسير جزء عمّ**، ط ٢، إعداد وتخريج فهد بن ناصر السلمان، الرياض: دار الثريا للنشر والتوزيع.

- ____________، (١٩٩٢م)، **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، (د.ط)، جمع وترتيب فهد السلميان، السعودية: دار الوطن.

- العرابلي، أبو مسلم عبد المجيد، (٢٠١٠م)، **أسرار زيادة وحذف الياء وإبدالها في الرسم القرآني**، (د.ط)، عمّان: دار يافا العلمية للنشر والتوزيع.

- العمري، أحمد خيري، (٢٠١١م)، **البوصلة القرآنية، إبحار مختلف بحثا عن خريطة للنهضة**، ط ٥، دمشق: دار الفكر.

- العيد، يُمنى، (١٩٨٥م)، **في معرفة النصّ**، ط ٣، بيروت: دار الآفاق الجديدة.

- غريب، روز،(١٩٥٢م)، **النقد الجمالي وأثره في النقد العربي**، ط ١، بيروت: دار العلم للملايين.

- فضل، صلاح، (١٩٩٨م)، **علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته**، ط١، القاهرة: دار الشروق.

- القرني، عائض، (٢٠٠٤م)، **اللؤلؤ المكنون في تفسير جزء عمَّ يتساءلون**، ط١، بيروت: دار ابن حزم.

- قطب، سيّد، (١٩٨٧م)، **التصوير الفني في القرآن**، ط ١٧، القاهرة: دار الشروق.

- ____________، (١٩٩١م)، **في ظلال القرآن**، ط ١٧، بيروت: دار الشروق.

- الكردي، عز الدين محمد سليمان، (٢٠٠٧م)، **التقديم والتأخير في القرآن الكريم**، ط ١، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر.

- كشك، عبد الحميد،(د.تا)، **تفسير سورة الحاقة**، (د.ط)، القاهرة: المختار الإسلامي للطبع والنشر.

- الكوّاز، محمد كريم، (٢٠٠٥م)، **الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم**، ط ١، بنغازي- ليبيا: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

- المسيري، منير محمود، (٢٠٠٥م)، **دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم دراسة تحليلية**، ط١، القاهرة: مكتبة وهبة.

- مصطفى، إبراهيم وآخرين، (١٩٦٠م)، **المعجم الوسيط**، القاهرة: مجمع اللغة العربية.

- مصلوح، سعد، (١٩٩٢م)، **الأسلوبية دراسة لغوية إحصائية**، ط ٣، القاهرة: عالم الكتب.

- المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد، (١٩٩٢م)، **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**، ط١، مصر: مكتبة وهبة.

- الملائكة، نازك، (١٩٨٩م)، **قضايا الشعر المعاصر**، ط ٨، بيروت: دار العلم للملايين.

- أبو موسى، محمد، (١٩٨٤م)، **الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم**، ط١، القاهرة: مكتبة وهبة عابدين.

- ____________، (١٩٨٠م)، **خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني)**، ط٢، القاهرة: دار التضامن للطباعة.

- ابن نبي، مالك بن عمر بن الخضر، (٢٠٠٠م)، **الظاهرة القرآنية**، ط٤، (تعليق إشراف مالك بن نبي)، دمشق: دار الفكر.

- نزال، فوز سهيل كامل، (٢٠٠٣م)، **لغة الحوار في القرآن الكريم دراسة وظيفية أسلوبية**، ط١، عمّان: دار الجوهرة.

- الهاشمي، أحمد،(١٩٩٩م)، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، (د.ط)، بيروت: المكتبة العصرية.

- الهاشمي، محمد علي، (١٩٨٣م)، **شخصية الرسول ودعوته في القرآن الكريم**، ط٣، بيروت: عالم الكتاب.

- هلال، ماهر مهدي، (١٩٨٠م)، **جرْس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب**، (د.ط)، بغداد: دار الحرية للطباعة.

- ياسوف، أحمد، (١٩٩٩م)، **جماليات المفردة القرآنية**، ط٢، دمشق: دار المكتبي.

- ياكبسون، رومان، (١٩٨٨م)، **قضايا الشعرية**، (د.ط)، تر: محمد الولي ومبارك حنّوز، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.

- اليسوعي، فيكتور، (١٩٦٤م)، **النزعة الكلامية في أسلوب الجاحظ**، القاهرة: دار المعارف.

الرسائل والأطروحات الجامعية:

- إبداح، عبد الرحمن سعود إدريس، (١٩٩٢م)، **أدب الخطاب في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

- أحمد، عصام أسعد، (٢٠١٢م)، **المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها، دراسة تطبيقية في سور جزء عمّ**، رسالة ماجستير، (غير منشورة)، الجامعة الإسلامية، غزّة، فلسطين.

- حمادي، جبير صالح، (١٩٩٩م)، **التصوير الفني في القرآن الكريم، دراسة تحليلية في جهود الباحثين،** (أطروحة دكتوراه)، (غير منشورة)، جامعة بغداد، بغداد، العراق.

- الرقب، محمد سلمان مرزوق، (٢٠٠٩ م)، **ظاهرة تصعيد الخطاب في السور المكية (المدثر والقيامة) أنموذجين**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

- الشتري، صالح عبد الله، (٢٠٠١م)، **المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية**، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.

- الشمّري، وداد، (٢٠٠١ م)، **التوازي في القرآن الكريم**، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، بغداد، العراق.

- عبد الغفار، هدى عطية، (٢٠٠١م)، **السجع القرآني، دراسة أسلوبية**، رسالة ماجستير، (غير منشورة)، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر.

- العموش، خلود، (١٩٩٨م)، **الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النَصّ والسياق**، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

- قبها، مهدي عناد، (٢٠١١م)، **التحليل الصوتي للنصّ، بعض قِصَار سور القرآن الكريم أنموذجا**، (رسالة ماجستير)، (غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

- اللامي، كريم، (١٩٩٧م)، **الدلالة الصوتية في القرآن الكريم**، (رسالة ماجستير)، (غير منشورة)، الجامعة المستنصرية، بغداد، العراق.

- م.حمد، عبد الصمد عبد الله، (١٩٩٥م)، **خطاب الأنبياء في القرآن الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية**، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.

- الملا، عبد الله صباح ناصر، (٢٠٠٠ م)، **السؤال والجواب في السور المكية من القرآن الكريم: دراسة موضوعية**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة الكويت، الكويت، الكويت.

- المنصوري، عبد الواحد، (١٩٩٥م)، **الإيقاع أنماطه ودلالاته في لغة القرآن الكريم دراسة أسلوبية دلالية**، (رسالة ماجستير)، (غير منشورة)، جامعة البصرة، البصرة، العراق.

الدوريات:

- البع، محمد رمضان، (٢٠٠٩م)، دلالة الأصوات في فواصل آيات جزء عمَّ، دراسة تحليلية، **مجلة جامعة الأقصى**، مج ١٣ (ع.٢).

- التميمي، عبد الكريم خالد، (٢٠١٠م)، الحذف والتقدير رؤية في الأسلوب القرآني، **مجلة آداب البصرة**، (ع.٥١).

- الخطيب، أحمد سعد، (٢٠١٢م)، من أساليب القرآن الكريم في كَسْرِ أفق التوقّع، **مجلة الدراسات القرآنية**، (ع.١٠).

- خليل، أنسام خضير، (٢٠٠٦م)، الإيقاع الموسيقي في الفواصل القرآنية، **مجلة كلية الآداب في جامعة بغداد**، (ع.٢).

- ـــــــــــــــ، (٢٠١١م)، الجرْس والإيقاع في الفواصل القرآنية، **مجلة كلية الآداب في جامعة بغداد**، (ع.٩٨).

- الشبل، يوسف، (٢٠٠٨م)، أسلوب الالتفات في القرآن الكريم، دراسة تفسيرية، **مجلة الدراسات القرآنية**، (ع.٢).

- الشلوي، بريكان سعد، (٢٠١٠م)، التقديم والتأخير في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة نحوية دلالية، **مجلة جامعة الطائف للآداب والتربية**، مج١ (ع.٤).

- العبد، محمد سليمان، (١٩٨٦م)، من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، **المجلة العربية للعلوم الإنسانية**، مج ٩ (ع. ٣٦).

- عتيق، عمر عبد الهادي، (٢٠٠٩م)، الأسلوبية الصوتية في الفواصل القرآنية، **مجلة المنار**، مج ١٦ (ع.٣).

- العمار، عبد العزيز، (٢٠١٢م)، خصائص الخطاب المكّي في سورة القارعة، **مجلة الدراسات القرآنية**، (ع.١٠).

- القماز، يوسف عواد، (٢٠٠٣م)، ظاهرة القسم بواسطة الحروف في القرآن الكريم (دراسة تحليلية)، **مجلة مؤتة للبحوث والدراسات**، مج ١٨ (ع.٢).

- المدني، علي محمد نور، (٢٠٠٩م)، السلوك الانفعالي في أسلوب الاستفهام دراسة لغوية تحليلية نفسية، **مجلة جامعة الملك عبد العزيز للآداب والعلوم الإنسانية**، مج ١٧ (ع.١).

- اليافي، نعيم،(١٩٨٥م)، ثلاث قضايا حول الموسيقى في القرآن، **مجلة التراث العربي**، (ع.١٧).

DIVINE DISCOURSE OF THE PROPHET MUHAMMAD- PEACE BE UPON HIM – IN THE MECCAN SOWAR , A STYLISTIC STUDY.

By

Eiad Amien Abdullah Hamed

Supervisor

Dr. Ibrahim Khalil. Prof

ABSTRACT

it included the Dissertation on the introduction and four chapters and an epilogue, offered provided where the problem of the study and its importance and objectives, according to the most previous studies, and touched on to talk about the curriculum, the classroom was the first of the concept of divine discourse language idiomatically then reported the characteristics of the Meccan Sowar and what distinguishes it for civil, and then divided the divine discourse of the Holy Prophet into three sections, section addressing God the Holy Prophet nominations, and another department involving the faithful with the Prophet when the speech, and the third section a speech to the unbelievers addition to the speech of God the Holy Prophet, and the second chapter to talk about the privacy of style divine discourse in the level voice and miracle of music.

And it was the third quarter for the privacy of style divine discourse in the semantic level, talked in which the diversity of my style news and construction in the discourse, as we find some verses contain methods, others regard one of them, and have been talking about doing it Voslob Prevention Voslob appeal Valastfham Swearing, and is characterized by each of these methods, and how the Lord Mackie in the Koran? How

many responded? And singled fourth chapters some aesthetics method that we find in a divine discourse, as a way of introduction delays and repetition, deletions and pay attention, and after the extrapolation of the Koran unearthed many Meccan verses related to these chapters and you analyzed and discussed, said the views of many commentators, ancient and modern, and addressed to the opinions of some linguists and grammarians; to integrate work and sits on this picture, has concluded the Dissertation to a number of conclusions and recommendations, remind the conclusion that, God willing, God grants success.